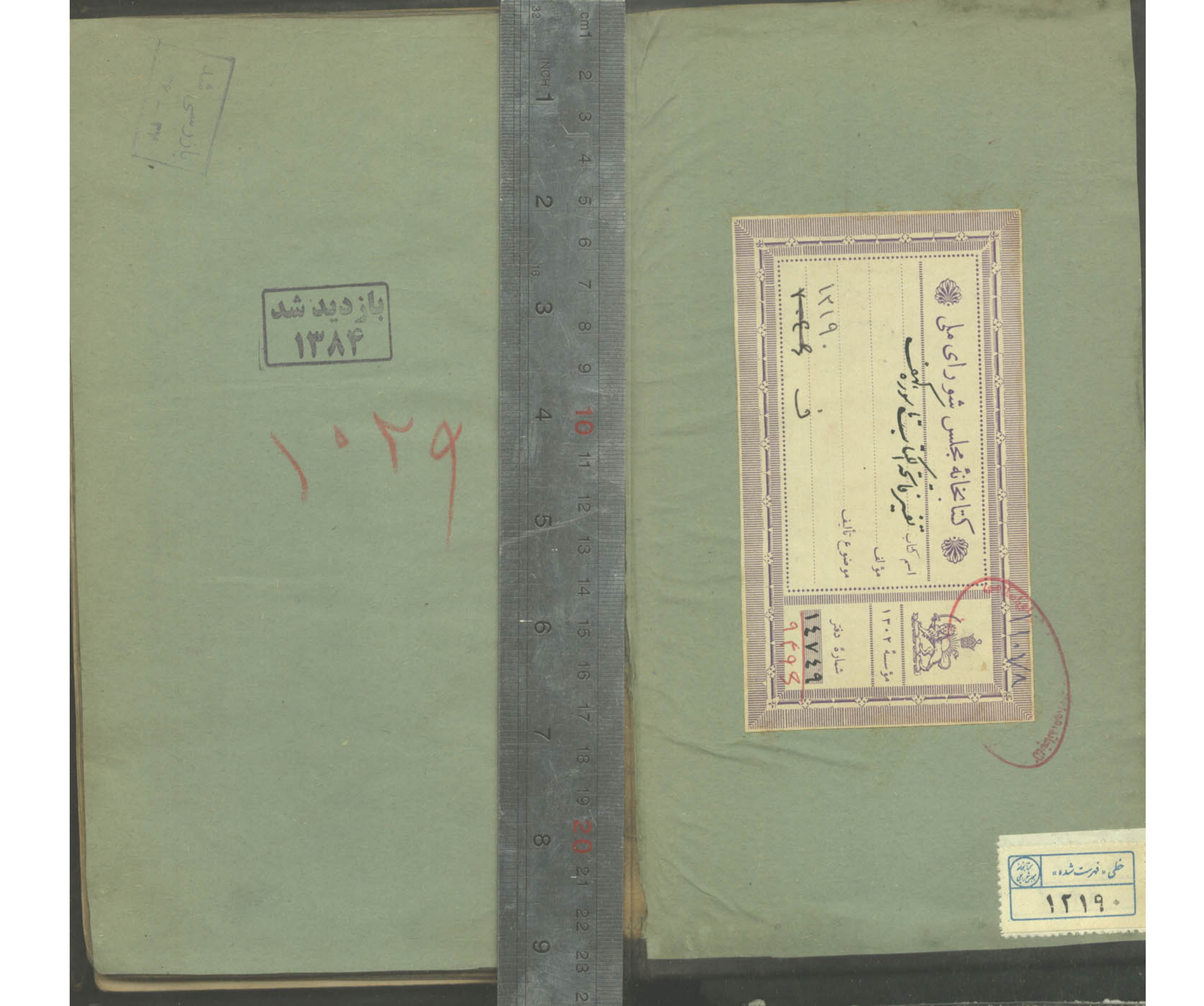
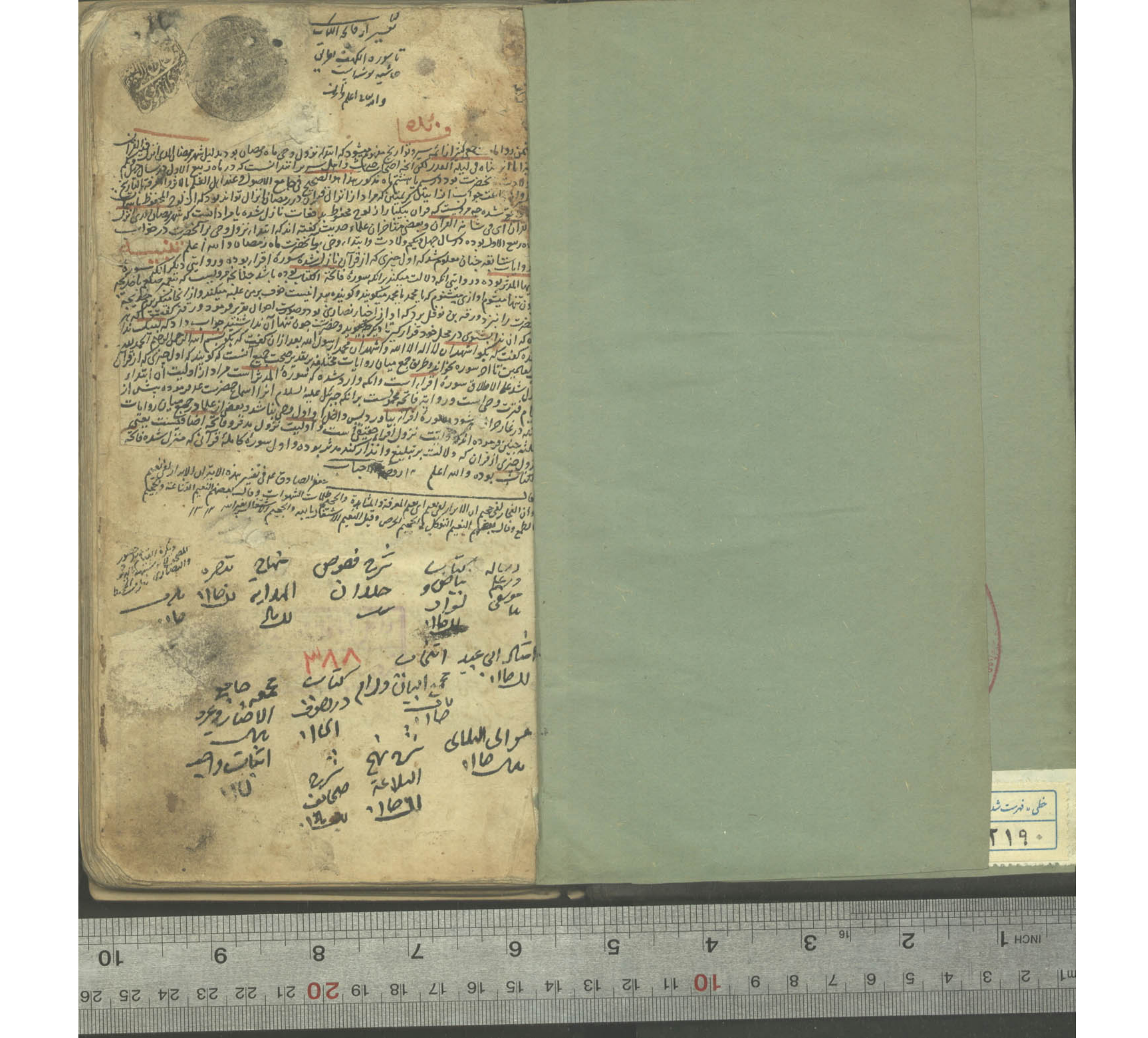

بازدید شد
۱۳۸۴
۱۰۲۵
کتابخانهٔ مجلس شورای ملی
۱۲۱۹۰
مؤسسهٔ ۱۳۰۲
شمارهٔ دفتر
۱۴۷۴۹
خطی «فهرست شده»
۱۲۱۹۰



بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وعليه التوكل

اللهم كما دللتنا على مسالك مقتضاك قد لنا على مدارك
مرتضاك وكما دللت السنتنا في مساق تلاوة كتابك وعسلت
لنا في ما بين مذاق حلاوة خطابك فذلل جوارحنا اليمن لاجتماع
على حسن الاتباع وعدل كوادحنا بشامل اصطناع الخير وكمال
الاضطلاع بالامر وكما يسرت لنا الضرب في الحزون اللفظية
والدأب في شجونها التي عليها مباني المعاني وهن جهاز المشاهد
وعليها المجاز الى المقاصد بوسائط التعلم وضوابط التفهم فيسر لنا
التوفيق لتحقيق مناط الحكم والتلفيق لاستنباط الاحكام بالهام
وتحديث من لدنك واسهام وتوريث مما عندك حتى يصير مكتسب
العلم مثمرا للهداية ومشعرا بالدراية بموهب العلم فنقتبس بما حدثتنا
انوار المعالم ونلتمس بما ورثتنا انوار المعارف بحيث تلغى فضول
اللغظ وخبول الغلط فيما نحاول من تحرير التفسير وتاصيل التاويل
وصل اللهم على افضل الخلايق المتحلي باحسن الخلائق محمد سيد
الانبياء وعلى آله الاصفياء واصحابه الاتقياء وبعد فلئن كان من
بلاد الاسلام قبيلي وعلى وهاد الاستسلام سبيلي ومن تلاد القرآن
والاحاديث دليلي لكن في تضاعيف الدرس والغلس كواكب

تعاسيف

تعاسيف للاستقامة في احوالي ولا استدامة لافعالي
يتعاقب فيَّ الانتباه والاشتباه ويتقارب لديَّ الغيبة
والشهود والخيبة والسعود فتارة في الابتلاء بطوف وطيف
من هنات الغفول فيما بين سنات الذهول مورث
للتعامي في مرامي التجاهل ناكث لعهد التحامي عن مرامي التكاسل
وتارة في اجتلاء مرآة التدبر ومرآة التذكر بصقال الحضور
وصواب الخطور الى ان تاثر القلب بما تكرر من وقع قوارع القرآن
عليه وتيسر من جمع صوادع الفرقان لديه فاستفاد من ملازمة
استقراء نجاد الفكر ومداومة استيراء زناد الذكر انشراح
الصدور للاحتظاء بوارد الانوار وانفساح الامر للقضاء والاقتضاء
بشاهد الاخبار حتى تراءى له اهلة الادلة بادية هادية الى
تبصير التعبير وتيسير التفسير في بعض الآيات قاصرا عن بلوغ الغايات
فنُدبت الى تحرير ما سنح من ظريف طريفها وتحبير ما انقدح من
طالع لامعها ليقع رواء لغلة الصادي وشفاء لعلة الشادي
وآية للاستبصار وراية للاستبشار فاجبت مسعفا بالمطلوب
متحفا بالمرغوب مع تجمع العوائق وتنوع العلائق بعبارات
رشيقة واشارات انيقة والله تعالى هو المدعو لابداء العصمة

واسداء النعمة اذ هو ما يشاء قدير وبالاجابة جدير

تفسير سورة فاتحة الكتاب

بسم الله الذى تحق له الالاهية واختص جناب عزته باستحقاق
توجه السائله نحوه الرحمن الذى عم ببعض رحمته كل الموجودات
الرحيم الذى خص بكل رحمته بعض الخلايق وهم عباده المؤمنون
فالجزء للكل عارية يشوبها الاسترداد والاستنفاد والكل
للبعض بهجة عارية عن شوايب التنقيص ونوايب التنغيص الحمد
لله فباسمه استنشاء الرحمة وبحمده استبقاؤها ومن رسم اسمه حصول
النعمة وفضولها كما ان من عقد حمده فروع الرحمة واصولها بل
باسمه يفتتح سور المكرمة وصدور المرحمة كما ان بحمده يختتم فصولها
وبشكره يعتصم عند توهم انفصال منها وانفصالها فتحل باسمه ان
رمت ان يحلك غمامها وتول حمده ان اردت ان يحلك تمامها
وعلى الجملة الحمد اعلى مقام للعبد واولى مرام له رب العالمين
فاحمده على عموم ما اولى غيرك فضلا عما اجرى لك خيرك اذ هو
يستحق الحمد منك على ما اعطى من سواك كما انه يستحق الحمد ممن سواك
على ما اعطاك اذ فضل الله تعالى عليك ينبعث سراياه سرايته
الى جميع الناس الرحمن باعداد الرحمة واعتادها قبل الاستحقاق

الرحيم بتواصل امداد الرحمة وتكامل اعدادها بعد الاستحقاق
مالك يوم الدين ويوم التكليف لكن فى يوم الدين ينقطع
دعاوى الملك ويندفع فحاوى الشرك اياك نعبد اذ تعبيد
سبيلك بالتعبد واياك نستعين اذ يتعذر سلوكه بغير اعانتك
فكان العبادة اشارة الى اكتساب تحقيق الجهد والاستعانة
عبارة عن اجتذاب توفيق الرشد اهدنا الصراط المستقيم
فالوصف بالمستقيم زايد عن الوصف بالقويم فكان هذا
الصراط الذى يهديك الله اليه يطلب منك الاستقامة له ايضا
فان السين تستعمل للطلب فكانه يطلب منك ان تستقيم له كانه
استقام لك ويحتمل ان المستقيم هو القويم الذى يهديك الى
طريق اقوم واقرب مما انت عليه واصوب مما انت فيه اذ الاسلام
يهدى الى الايمان والايمان يهدى الى الاحسان والاحسان
يهدى الى الله تعالى وايضا فان المستقيم هو ما كان على وجهة
المقصد ويقربك منه وكلما قربت من المقصد زادك امانا
من الضلال وضمانا للصواب فاذن المستقيم هو الطالب
للاقوم الادوم المفيد للاقرب الاصوب صراط الذين انعمت
عليهم بتلفيق جواذب التوفيق ومقابلة يمن اقبالهم بابتغاء الجهد

بحسن القبول والوفاء بتمام الرعاية وحماية البداية غير المغضوب عليهم الذين سلبوا النعمة بعد أن أعطوها جزاءً لما صدر منهم من المعاصي ولا الضالين الذين تركوا النعمة استنامة عن استدامتها واستزادتها باداء وظايف التشكر والقضاء بعواطف التذكر فالاولون طردوا والآخرون بعدوا فهم تركهم النعمة وهولاء تركوها وبهم اهلكوا وهولاء ما نجوا وبهم حرموا واخرجوا غضباً وغطباً وهولاء حرموا انفسهم وخرجوا ضلالة وسواء رأيك ۵

ومن سورة البقرة

الم ذلك الكتاب هدى للمتقين الذين يؤمنون

قوله عز وجل لا ريب فيه اذ غيب الريب فيك ولو استقمت له كما استقام لك لاهتديت الى الايمان وهديت الى الايقان لكن لما اعوججت برى صدرك حك الشك وعى قلبك عين الرين فامتريت ثم افتريت هدى للمتقين اذ من التقوى اضاءة الابصار واستضاءة البصائر كما ان بالهوى اختفاء الآثار وانطفاء الانوار والشمس مع كمالها في الاستنارة وجمالها في الاستطارة لا ينتفع بها الا عين باصرة فمن بصره التقى فهو يستفيد من القرآن الهدى الى الله والى سبيله الذين يؤمنون بالغيب حين سمعوا فارتسموا مواجب الايمان والتزموا مذاهبهم من اقامة الصلاة وادامة الصلات

آمنوا بما سمعوه مفصلاً وبما لم يسمعوه مجملاً وكما تحققوا فيما فهموا صدقوا بما لم يفهموا وعلى ذلك السنن جرى اولى البدايات حتى تبوءوا صاروا في اخرى النهايات ايمان الغيب وايقان المشاهدة وحينئذ تحقق لهم الهداية من ربهم ففي الاول اوعتوا في الاهتداء بايمان الغيب قبولاً لما تصوروا من قضاء الجايرات عقلاً ونقلاً فصدقوا ايجاباً على انفسهم اداء المفترضات صرفاً وعدلاً تصنعاً على وفق التسمع وذلك هداية الجوارح وفي الاخر اورثوا الهداية بايقان الشهادة اقبالاً على ما تحققوا اقتضاء لحقوق العبودية من التخلق بالاخلاق وذلك هو الهداية المتمكنة في الجوانح واذا توافق الاهتداء والهداية فقد حق الفلاح وصدق النجاح وهذا احد المعنيين المفهومين من قوله وبالآخرة هم يوقنون والمعنى الثاني انهم بالغيبة وبالبعث يوقنون ويحتمل ان الايمان بالغيب هو الاستدلال بما شهدوه بحواسهم على ما غاب عنها بالشاهد على الغايب ويحتمل ان المراد بايمان الغيب انه لا يبتغا احوالهم وافعالهم واقوالهم فيما غابوا عن اعين الناس او شهدوا وليسوا كالمنافقين الذين يراؤون الناس بايمانهم وكانوا اذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وعلى ذلك دل قوله تعالى

ليعلم الله من يخافه بالغيب وقوله سواء عليهم لم يقل سواء عليك
ولهذا اوجب عليه الانذار اقامة للحجة عليهم وان لم ينجع فانه ينفعه الانذار
وان لم ينفعهم وقوله كما آمن الناس فاثروا رضى الله على رضى غيره
ولم يكترثوا فى ملازمة الايمان بتنقص المال وتناقص الجاه ولم يبالوا
بفوات المرادات فتلقوا مشابه المكاره فيما تجروه بطيبة نفس و
توقوا المناشط والمغابط رغبة فيما عند الله قالوا انؤمن كما آمن
السفهاء فعدوا قلة المبالاة بالخزانات والنقصانات المالية و
النفسية سفها فان السفه هو اتلاف شى من غير التفات الى اجتذاب
خير واجتناب ضير فحكم تعالى بالسفه عليهم فانه لما كان الانفاق فى
غير محله سفها فترك الانفاق فى محله سفه وبخل افترنا فى قرن فقال
الا انهم هم السفهاء وقوله ذهب الله بنورهم اشارة الى ان
من تزيا بزى الايمان برهة من الدهر متحريا بذلك جلب
منافع العاجلة معرضا عن صوب مطامع الآجلة فكانه هو الذى
استوقد نارا فاضاءت ما حوله مدة حيوته فاذا انقضى اجله
وانتهى امده ذهب النور والضياء وبقى النار وصلاؤه او اشار
بذلك الى ان من تدرع بدارع الايمان ظاهرا وتعرى عنها باطنا
فمثله كنار موقدة وليس مع صاحبها قداح ولا زناد يستعيد بها

اعادة الزائل ولا شى يستديم به اجادة الحاصل من النار
والنور فهى تضئ ساعة او اكثر او اقل ثم تختفى وتنطفى وفى مثل
الآخر حين قال او كصيب من السماء اشار الى ان من تخلق
ببعض اخلاق الايمان وتعوق عن بعضها فلم ينقطع بالكلية
عن اهواء النفس ولم يتبتل بالحقيقة الى الله تعالى والى امره
فكلما عرض له خلق لا لبس عليه وقابس عليه اضاءة الحجة وبان
له الحجة فيسلك حالئذ طريق الهداية ويترك فريق الغواية
واذا عن له خلق لم تتلبس به فيظلم سبيله ويتم دبيله وذلك
قوله كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا وقوله
يكاد البرق يخطف ابصارهم شبه ما ترى اى لهم من انوار الايمان
واثاره بالبرق لما به من سرعة الوميض الذى لا يرى فهو كسرعة
النضيض الذى لا يروى وليس المراد ان البرق بتوتر يخطف
الابصار فيذهب بها بل لضعفه يخطف الابصار عن رويته فهو
يتلاشى قبل ان ينفتح البصر لرويته واما قوله يكاد سنا برقه
يذهب بالابصار فذلك وصف لقوة ذلك البرق وشدة تلالئه
اذ مفاجاة النور الباهر تبهت الابصار وقوله اعبدوا ربكم
لعلكم تتقون قد تبين ان الغرض عند اعتاد نظام السعادات

من استعداد سهام العبادات وانسداد سهام العادات هو التقوى
فكان العبادة شجرة وثمرها التقوى والمقصود من الشجرة الثمرة
وقد دلك على ذلك حين ذكر الصيام فقال كتب عليكم الصيام ثم قال
لعلكم تتقون وكذلك حال الصدقة والقرابين وان التقوى هي
المتناولة من الصدقات لا جثمانها قال تعالى لن ينال الله
لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى ونسبة التقوى الى صور العبادات
كنسبة العيار الى اشكال الحلي ومعلوم ان اختلاف الاشكال مع
تساوي العيار لا يوجب تفاوتا في القيمة وتوافق الاشكال مع
تباين العيار لا يقتضي تساوي القيمة قوله فأتوا بسورة من مثله
من للتبيين كما في درهم من الدراهم الصغار ونظيره قوله تعالى فاجتنبوا
الرجس من الاوثان ويحتمل ان المراد فأتوا بسورة من مثله اي
من مثل محمد الذي هو من البشر ان كنتم تدعون انه تقوله من
نفسه وقوله وقودها الناس والحجارة اي الاصنام التي هي من الاحجار
كما قال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم او المراد
شدة النار وحدتها اذ يتقد بها الحجارة والناس وقوله
واتوا به متشابها في الجودة واللذة لا عجم ولا ثفل ولا نفاية آخره
الذي من اوله وقشره الطف من لبه وقيل متشابها في الطعم وان كان
مختلفا في اللون وقيل على العكس وقوله وعلم آدم الاسماء كلها
ليتعرف بها المسمى فالمسمى يعرف والاسماء يعلم واسماء الله الحسنى يتعلم
لفظها ثم اتصافا وتخلقا فيحصل من علم الاسماء والاتصاف والتخلق
بها معرفة الله تعالى الذي هو المسمى بهذه الاسماء والملائكة لما لم يرشحوا
لتلك الاوصاف والاخلاق سوى ما ظهر عليهم آثاره وبهر على
وجوه احوالهم انوارها لم يعلموا هذه الاسماء والاوصاف اذ ليس
فيما بينهم ما يقتضي الحلم والعفو والقهر والمغفرة الى غيرها من الاوصاف
والاخلاق فلما استغنوا عن الثمرة والنتيجة عن لواحق المثمر و
المنتج وانبأ آدم عليه السلام اياهم بتلك الاسماء بتعريضهم لتلك
الاوصاف والاخلاق ليستعملوها مع بني آدم في تدبيرهم وان
استغنوا عنها فيما بينهم وقوله اسجدوا لآدم كان آدم
قبلة والسجود لله او السجود الخضوع والتذلل له او السجود القيام
بكفالة مصالحه والدوام على الحالة المناجحة وقوله ولا تقربا
هذه الشجرة نهيا تأويلا قوله تعالى ولا تقربا على ان ذلك
نهي عن الاكل فحسب وان مقاربتهما ليست بضائرة ولا منهي
عنها فقربوا فاهتبل الشيطان منهما فرصة حين الما بالمحظور
متأولين راكبين متن الرخصة فصار ارض حالهم دحضة للغوذه

قلّ ما يثبت عليها واقف فكيف بمن يمشي عليها فزلّت الاقدام بذلك
الاقدام وذلك قوله فاز لهما الشيطان وقوله واستعينوا بالصبر
والصلوة فالصبر اصل التقوى وفصله والصلوة مشرق شمس الرضوان
وبها موثق جنس الاحسان وانها اي الاستعانة بهما فان الاستعانة
بالامر تكبر الا على الخاشع الذي حمله الاستصغار نفسه على استعظام
امر الله وقوله يسومونكم سوء العذاب من قولهم سمت الابل
اي رعيته في المرعى فكانهم جعلوا سوء العذاب مرعى لبني اسرائيل
يحملونهم عليه حتى تذللوا تحت وطأة معاش السوء وتزيلوا من
وناءة مهراش العذاب وقوله بلاء من ربكم عظيم اي في ذبح
الابناء بلائية ليبلغ نفاركم من فرعون وحذاركم منه مبلغا لا يتصور
معه خلف ولا الف وفي تنجيتكم بلائية ليتم استيناسكم برسل الله
واقتباسكم من كتب الله وقوله اثنتي عشرة اسباطا انما
انث فانه اراد اثنتي عشرة فرقة ثم اخبر ان الفرق اسباط
وليس الاسباط بتفسير ولكنه بدل من اثنتي عشرة لان التفسير لا يكون
الا واحدا منكورا كقولك اثني عشر درهما وقوله لن نصبر على
طعام واحد انهم لما اختصوا بمنّ الكتاب وسلوى السنة ولا يستروح
اليهما الا ذو قلب سليم من الطوارق النفسانية والعوائق والعلائق

الدنياوية وهم كانوا بمعزل عن التخلي مستحسناتها والتخلي
عن مستهجناتها فانه لا يسكن الى المعادن السماوية ولا يتعلق
بالموافق العلوية الا من تعالى عن مهواة الاهواء البشرية
وتعادى عن الاسترسال في مومات الاراء الشهوانية ولا ريب
ان من طمع في امتراء اخلاف الارض والاستذراء بارياحها
فلا غرو ان يتخبط تحت وطأة الارض واذا صدروا عن تلك
الموايد وحاشا وعن تلك الموارد عطاشا قيل لهم اهبطوا مصرا
حين احتويتم الكرامة وازدريتم السلامة فابطأتم عن التعالي
نحو المعالي واخطأتم في التهادي نحو المهاوي فحينئذ ضربت
عليهم الذلة والقلة ولزمتهم مخزنة المسكنة فلما رجعوا اعا
اليه ندبوا اعتقوا طردا وردا فباؤا بغضب فهبة العقاب
خلعتهم بسوقهم وخيبة الثواب بين ايديهم بعوقهم لان طمعهم
كان في غير مطمع وسيّبوا سرحهم في غير مرتع والدنيا وطالبها
يشبّه بالنمل وما يظفر بها من حبات البيادر اذ النمل
لا يظفر من البيادر الا بحبات ملقاة على ظهر الطريق لا التفات
من صاحبها اليها ولا احتفال له بها فاذا التقط النمل من
تلك الحبات متنوزا بها من الذلة ومتكثرا بها من القلة فمن

ترصد ليسأل الاهل متذللا وهو يتمكن من حيازة جميع ما في البيدر
فما اهونه وابين فقره حيث افتقر الى النمل وتذلل له والعز كل
العز لمن ظفر بما في البيدر ثم الغضب نتيجة الكفر والكفر نتيجة القتل
والقتل نتيجة العصيان والعصيان نتيجة الاعتداء كما بين تعالى
في سياق الآية بقوله ذلك بانهم كانوا يكفرون الى آخر الآية
وقوله صفراء فاقع لونها فقوله فاقع صفة لقوله صفراء
اى خالص الصفرة وهو في محل المبتداء ولونها خبر المبتداء
ثم استانف فقال تسر الناظرين والتاء ضمير البقرة وقوله
ومنهم اميون لايعلمون الكتاب الا اماني الامنية الصورة الحاصلة
في النفس من تمني الشئ والتمني تقدير الشئ في النفس وتصويره
فيها وذلك قد يكون عن تخمين وقد يكون عن روية لكن اكثره
يكون عن تخمين اذ اكثره التمني ما لا حقيقة له ثم لما كان الكذب
تصور ما لا حقيقة له صار التمني والامنية كالمبتداء للكذب فعبر عن
الكذب بالامنية والتمني ومن هذا قال [illegible] رضي الله عنه
ما تغنيت ولا تمنيت منذ اسلمت ومن هذا الوجه قال بعض المفسرين
الا اماني اى الاكاذيب يعني يعدون الكتاب كذبا وقال بعضهم معناه
الا تلاوة مجردة عن اتباع اوامره والتدبر لمعانيه والتفكر في مبانيه

من حيث ان التلاوة اذا كانت كذلك تجرى عند صاحبها مجرى
امنيته واذا انضم الى اعمال اللسان اعمال الاركان بالامتثال
يسمى ذلك تلاوة اذ في التلاوة معنى الاتباع يقال تلاه اذا تبعه
واذا اجتمع في التلاوة القول والعمل والمعرفة والتدبر فتلك
قراءة اذ في القراءة معنى الجمع يقال قرأت الشئ اذ جمعته
وضممت بعضه الى بعض ولهذا استحق على القراءة والتلاوة
الامتداح دون التمني ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا ما
يبادر الى ما نزل به جبرئيل عليه السلام على قلبه بتحريك اللسان
قيل له ولا تعجل بالقرآن ولا تحرك به لسانك وسمي تلاوته على هذا
الوجه تمنيا ونبه على ان للشيطان تسلطا على مثله في امنيته
من حيث ان العجلة من الشيطان فقال تعالى وما ارسلنا من
قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته
وكان القراءة على هذا الوجه هو تمني القراءه او كذب القراءة
ويحتمل ان يكون المراد لا يعلمون الا ما يقدرونه على حسب اهوائهم
اذ المنى التقدير وقوله بلى من كسب سيئة فبلى معناه
بل زيدت فيه الياء للوقف وكسب سيئة جعلها سببا للزرق
وكسبا للرزق فلم يحدث لعه بنوبة لتوبة فاتاه الحوب من كل

صوب و واتاه الذنب من كل اوب حتى احاطت به خطيئته
فمنعه محيط والخطايا عن مجاوزة المناهى ومجاوذة المناهى عمته
و دفعه عن ملابسة للاوامر وملابسة الاوامر اياه حتى استحق
النار والخلود فيها وقوله وبالوالدين احسانا وذى القربى
واليتامى والمساكين لما كان الاحسان فعليا لا يدخل تحت
طوق البشر ان يسع به جميع الناس فلابد من ان يتخصص بعض
الخلق به و لهذا خصص ذوى القربى وذوى الحاجة الحاقة
بالاحسان اليهم ولما كان الحسن القولى لا يضيق نطاق طوقه
عن تقديم تلك الخطية الى الجميع وتعميم هذه القضية كما قال
قولوا للناس حسنا ونظير ذلك قوله عليه السلام احسن الى
جارك تكن مؤمنا واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما
وقوله افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فعد اخراجهم
كفرا و فداءهم ايمانا وانما جعل العمل بالكتاب ايمانا وترك العمل
به كفرا من حيث ان الايمان هو التصديق ومن صدق بالكتاب
قولا لكنه لم يعمل بموجبه فقد كذبه فعلا وكيف يعادل مجاز القول
حقيقة الفعل وشهادة القول على غيبة الفعل مردودة وقوله
الا خزى فى الحيوة الدنيا واى خزى اشد من خزى من يقر

ولا يوفى ما اقر به اداء ولا يفى بموعده قضاء وروح القدس
قيل هو جبرئيل عليه السلام اذ هو كان ياتى الى الانبياء
بما يحيى به القلوب الميتة ولا تتطهر به الابدان النجسة وقيل
هو الانجيل اذ به تحصل الطهارة والحيوة وقيل هو اسم الله الاعظم
الذى كان به يحيى الموتى ويبرئ الاكمه والابرص والغلف فيما
قيل جمع اغلف وهو الذى فى الغلاف يقال سيف اغلف
وهذا كما قال بعضهم قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وقيل الغلف
بسكون اللام وضمها جمع الغلاف ككتاب وكتب وعلى هذا
معناه قلوبنا اوعية العلم فلا حاجة بنا الى الاخذ عنك
والتعلم منك فلنا غنية بما عندنا فرد قولهم بقوله بل لعنهم الله
بكفرهم اذ ذلك تعريض منهم بان كلامك ليس بمفهوم فبين الله
تعالى ان عدم فهمهم لا لخلل فى الكلام بل لكفرهم الذى ابعدهم
عن القبول والفهم واذا لم يفهموا فقليلا ما يؤمنون اى
قليل منهم يؤمنون وما صلة او معناه بقليل من الكتاب
يؤمنون وهو ما يوافق اهواءهم بئسما اشتروا اى باعوا فان
الاشتراء يستعمل فى البيع والشرى وفى استعمال لفظ الاشتراء
ههنا تنبيه على انهم كانوا يزعمون ان ما يتداولونه اشتراء

للنفس وحضوضها وعند ابرام العقد تبين انه بيع لا شرى
وقوله فباؤا بغضب كحصل من البغي على غضب توصل من
الكفر وقوله وما يكفر بها الا الفاسقون الخارجون عن
(انكارها) اتباع اوامرها فيقتضي بهم الامتناع عن الاتباع فعلا الى
(قون) قولا وذلك هو الكفر وعلى ذلك فلا يؤمن بها الا الصاد
الداخلون في جماعة امتثال الامر وقوله واتبعوا ما تتلوا
(التلاوة) الشياطين على ملك سليمان اي يتقولونه باستعمال لفظ
في التقول لان ما ياتي به الشيطان من الاكاذيب يرى الناس
ان ما يجري على لسانه فهو كلام الله يتلوه وقوله على ملك سليمان
وكانوا ينكرون نبوته ويزعمون به ان مبنى ملكه على السحر وان
(بتال) استخاره للشيطان والجن والانس كان من جهة السحر فانه
لما توفي استخرج من تحت كرسيه كتب السحر ولئن كان ذلك
صدقا انما دفنها هناك لئلا يستعملها الناس ولا يتمكنون من
استخراجها ويحتمل ان ذلك اختلاق من السحرة وافتعال عليه
بعده لتفخيم السحر وقد قيل معنى على ملك سليمان على ذهاب ملكه
على ما ذكر من قصة انتزاع ملكه بسبب سلب الخاتم من زوجة
سليمان وما اشنع هذا البهتان وقوله بلى من اسلم وجهه لله

بان

بلى فذلك ما توجه اليه نفسه فتركه لله فصار محسنا بايثار مراد الله
فكان قوله اسلم وجهه لله اي ترك مراد نفسه لله وقوله وهو
محسن اي اشتغل بمراد الله وهو من تحقق له اسلم فلانا اذا خذله
وقوله فله اجره عند ربه اذ من اسلم مراد الله لنفسه فتركه و
صار ساعيا باختيار مراد نفسه فله اجره عند اعضائه اما برؤية
ما يريد ان ينصره واما باستماع ما يجب ان يسمعه واما بتعاطي
ما يجب ان يتعاطاه واما بالمشي الى حيث يريد المشي اليه و
اما بالتكلم بما يريده وهذه المرادات تفنى قبل فناء الاعضاء
او تفنى مع فناء الاعضاء والحزب الاول اجرهم عند ربهم لا
عند اعضائهم فيبقى ولا حصر ولا عد لذلك الاجر ثم اتى باوفى
عبارة في بيان ذلك الاجر فنفى الخوف عنهم حقا ونفى الحزن
مطلقا وقوله واذا ابتلى ابراهيم ربه على ما كان تحرر
من دعوى حق عبوديته لله تعالى وتقرر من فحوى صدق حريته
عما سوى الله ولا ريب ان استقامة المضاء الصحيح في القضاء
الصريح انما يكون بعد انقضاء البينة القائمة وارتضاء الحجة الحاكمة
بثبوت المدعى بكلمات سكتت الدعاوى الى العادة وثبتت
المساعي للعبادة وعبرت عن استدعاء الاجابة افعالا وذكرت استدعاء

الاصابة احوالا فاتمهن جهدا وحدا يقابله جام الفضل وذو الهم
الطول سلامة وكرامة قال انى جاعلك للناس اماما يستفيدون
بكامل فضايلك ويستفيدون شامل نصيبهم اذ الدال على الخير كفاعله
ثم ابتلى الله تعالى الخلق ليقع الحكم بالثواب والعقاب على اعمالهم التى
هى الشهود على الاحوال لا على علم الله الذى لا يتصور للخلق الا
الاهتداء الى معرفته ولا يخفى ان القاضى اذا قضى بعلمه ربما يتوهم
به العدول عن العدل وورد فى التفسير ان الكلمات هى السنن
العشر كما ورد به الحديث او مناسك الحج او الهجرة او قرى الضيف
او ذبح الولد او الاستسلام للنار والكل يندرج فيما ذكرنا و
قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا تقديره
واذ قلنا للناس ثوبوا الى البيت حجا وعمرة وامنا واتخذوا من
مقام ابرهيم مصلى اى ولّوا وجوهكم نحوه فى الصلوة ومقام ابرهيم عليه
السلام فيما قيل جميع الحرم وقيل هو الحجر الذى وضع ابرهيم عليه السلام
قدمه عليه فغسل زوجة ابنه اسمعيل عليه السلام راسه وهذا
هو الصحيح فقد روى انس بن مالك ان عمر قال يا رسول الله لو
صلينا خلف المقام فانزل الله تعالى واتخذوا من مقام ابرهيم
مصلى وقوله ربنا تقبل منا فالتقبل يقال فى القبول بنوع

تكلف

تكلف من جهة ان ما يراد ان يتقبل لا يكون للقبول بمستحق وانما
يتقبل عن كرم وفضل واغماض والقبول يقال فيما كان بمحل ان يقتبل
من جهة ان الماتى به على قضية السبق عند الاقتضاء موصوف بوفق
الارتضاء ومن هذا لم يكن ابرهيم عليه السلام يرى ما اتى به
بمحل ان يقبل فلم يتجاسر ان يقول اقبل منا ولما رجع العبد من نفسه
وهواها الى الله ورضاه قابله الله تعالى فى توبته بحسن القبول
وعامله فى اوبته بكريم فضله وعميم طوله فقال وهو الذى يقبل التوبة
عن عباده ويعفو وقوله فى قصة امرأة عمران وولدها فتقبلها
ربها فذلك اشارة الى ان فى البداية كان تقبلا عن اغضاء
لكن لما كان التقبل هو الترقى فى القبول كان التصبر فى مقامات
الصبر والتعفف ترقى فى العفة صار التقبل فى النهاية قبولا حسنا
وقوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك والاسلام المطلوب ههنا
ليس هو ناصية الاسلام النافية عن القلب تعظيم غير الله تعالى
وعن الجوارح الانقياد لخلاف امر الله لغيره واذا كان المطلوب ما ذكرنا
فلا يكاد يتخصص بها الا القليل فانه لو تخصص بها الناس كلهم لما اطرد
امر العالم على نسق الانتظام اذ لا بد من اراذل كما لا بد من افاضل
فى تولى القيام بعمارة العالم وتمشية اموره ولا ريب ان الفضل

يتاتى فيما بين الفضول وان اللب يتاتى فيما بين الجلف والقشور
ومن اجل هذا اختص في الدعا ولم يعم وقوله الا من سفه نفسه
قيل تقديره سفه في نفسه فنصب بنزع الخافض وقيل تقديره سفه
نفسه وقيل نفسه لكن صرف الفعل عنه نحو قوله بطرت معيشتها و
وقوله ولقد اصطفيناه في الدنيا بان خلصناه من النار والخلة
الولاية الخاصة التي نفت عن ساحة جميع المآثم والجرائم واوفت
لراحة جميع المكارم والمراحم وخصصناه بالنور مع الهداية الى جميع
مسالك العبادة وكل مناسك السعادة وخلعنا عليه حلة الخلة
فضلا على النبوة وجملناه بزة العزة في الفتوة والطقنا له
لسان صدق وبيان حق بشهادة له في كافرين وانه في الآخرة
لمن الصالحين لاعلى مقامات العلو والسمو واو في كرامات
الدنو والدنو او من الصالحين الذين هم اهل الشفاعة للجماعة
في الآخرة او هو اهل لا يسبق بالحكمة والمرحمة كما قال عليه السلام
يحشر الناس حفاة عراة وان اول من يكسى ابرهيم عليه السلام
وهو من قولهم صلح فلان لكذا ولصنعة كذا وهذا الشيء صالح لك
يعني من بابتك قوله فان آمنوا غيبا بمثل ما آمنتم به مشاهدة
او آمنوا انفسهم يقينا بمثل ما آمنتم به ايقانا ولم يقل فان آمنوا كما آمنتم

وقوله صبغة الله قيل دين الله وتسمية بها لان لاعمال الدين
من الصلوة والعبادات اثرا وسمة في الرجل كما يكون للصبغ
في الثوب وقيل صبغة الله اشارة الى ما اوجده الله تعالى فينا
من بداية العقول وميزنا بها من البهائم ورشحنا بها لمعرفة وطلب
الحق وهو المشار اليه بقوله فطرة الله التي فطر الناس عليها او
كل آدمي فطر على امكان معرفة للاشياء على ما هي عليه وذلك
مضمن في غريزة كل آدمي كالدهن في اللوز والماء في الارض
وهذا هو الاستعداد للادراك ولكان الفطرة ما فطر عليها
والصبغة كانها ترتيب الآلات وتركيب الدلالات وقد قيل
انما ذكر لفظ الصبغة فان عيسى عليه السلام لما قصد يحيى بن
زكريا قال جئتك لاصطبغ منك فاغتسل من نهر الاردن
فلما خرج نزل عليه روح القدس وكانت النصارى اذا ولد لاحدهم
ولد واتى عليه سبعة ايام غمسوه في ماء لهم يقال له ماء عمودية يزعمون
ان ذلك صبغة لهم فقال تعالى صبغة الله اي اتبعوا هذا الدين اذ
هذه الصبغة طهرتكم من كل درن ونسك لا ما تزعمون ثم بين
بعد ذلك فقال تعالى ومن احسن من الله صبغة وقوله
جعلناكم امة وسطا اي خيارا او الوسط وان كان يستعمل فيما كان

بين طرفي الكمال والنقصان لكن المراد ههنا ما ذكرنا وهو
ماخوذ من واسط القلادة وانما جعلهم وسطا فان امر هذه الامة
كلها بين الطرفين ومن هذا استوى حالهم وبالهم على عرش الاعتدال
وفرش الامتثال فكان علمهم على عملهم وعملهم على علمهم فلم يتجاوز نظرهم
قدمهم ولم يتخلف قدمهم عن نظرهم فلم يتخذوا دون الكمال مقاما
ولا وراءه مراما فلا بخس ولا وكس ولا سرف ولا صلف فانهم
جمام الكيل وصاتهم تمام الوزن ولا يخفى ان العدل فيما بين
الاركان والاخلاط والامزجة مادة الصحة وان الميل فيها جادة
المرض فاذا تبين ان الوسط هو المحمود وان شئت فانظر الى الشجاعة
وتوسطها بين الجبن الذي هو النقصان والتهور الذي هو العدوان
والى السخاء وكونه وسطا بين السرف المذموم والبخل المذموم
فالذم للطرف وللوسط الشرف وقوله لتكونوا شهداء على
الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا فشهادتهم على سائر الامم هو باظهار
ما صدر من هذه الامة مما اقتضاه الله منهم وارتضاه من تزكية النفس
لامتثال اوامر الله اقداما واحجاما وتحليتها بالشفقة على خلق الله
اراحة بالخير وازاحة للشر وتسوية القلب ووجهه لله عبودية له
وحرية عما سواه وعمن عداه ولم يكن حال الامم السابقة كذلك اذ

الاولون سعوا في تكثير العبادة وهذه الامة سعوا في تقليل العادة
فكانت عبادة الاولين عادة وعادة الاخرين عبادة اذ هم تلقوا
الخير طلبا فلم يحصلوا الا على محدود معدود من الخير وهؤلاء تنقوا
من الشر هربا فتنصلوا عن كل سوء وما يفضي اليه فصارت اقوالهم
وافعالهم واحوالهم كلها خيرا يقصر عن ذرعه باع الحد والعد وذلك
شهادة منهم على الامم اذ اعطى الكل ما اعطى هذه الامة من الاستعداد
فيستادى منهم ما ادى هؤلاء فكانهم شهدوا على ان في طوق كل
البشر ما اتينا به فيطالبون باداء المتوقف فيه وقضاء المتخلف
عنه وحينئذ لا طريق الى درك الغايب فينقدح الحكم بالعذاب اذ
ابواب مناقشة الحساب اذا انفتحت تحتذ بها انياب مهارشة
العذاب واول ما ينبعث الخلق للجزاء يتلى على رؤس الخلايق
ايات جلال الله ويشرق انواره ويعلى رايات استغناء الله
تعالى عن الخلق ويبرق اثاره فهناك يعلوا السابق من دهشة
الهيبة حيرة ويعروا اللاحق من وحشة الخيبة ضجرة وتقتضي هذه
الحالة ان يطالب الظالع بادراك شاو الضليع وانى بذلك
وقد تعذر السير وتوعر المسير ولا يزال كذلك حتى يحين وقت
النزول عن عالي درجات الجلال الى داني درجات الرحمة

بشفاعة الشافعين فيتماسك بها عن الزلل ويتدارك بها شعوب
الخلل ويتبدل الحال فيحصل الرضا بميسور الضعفاء ويقال للاقوياء
سيروا سير اضعفكم فيظهر كون البضاعة المزجاة سببا للمنجاة
ويحاسب الخلق على منهاج درج عليه الاتباع اللاحقون وذلك
مقتضى رحمة الله التي عمت مواهبها وتمت رغائبها وعلى ذلك
يفضل السابقين في محاسباتهم كالابق في الاول على اللاحقين
مطالبات فيوثر السابق اللاحق بافضل له وان احتاج اليه
جريا على نهج ما تعوّدوه من مكارم الاخلاق استعمالا للايثار
وعدولا عن الاستيثار وذلك حقيقة الشفاعة لاحرمناها فاذن
تبين ان شهادة هذه الامة على الامم من هذا الوجه ثم تنقلب
الشهادة شفاعة وكذلك شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم
على امته وعلى سائر الانبياء ثم تصير الشهادة شفاعة وقوله
ولكل وجهة اى لكل نبي وجهة شريعة التي هي الذريعة الى
الله تعالى وقوله هو موليها اى الله موليها اذ هو الشارع
تعالى وتقدس وقيل اى لكل امة وجهتهم قبلتهم التي يولون
وجوههم في الصلوة اليها وعلى هذا هو متصل بما قبله من قوله تعالى
ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا قبلتك اذ لكل

اهل ملة قبلة هو موليها اى مولي اليها وعلى هذا هو ضمير الله
اى الله هو المولى اليها وقيل لكل وجهة اى لاهل كل بلدة وجهة
اذ اهل العراق يتوجهون في صلوتهم الى الباب واهل الشام
الى الميزاب وكذا اهل كل صوب وعلى هذا هو ضمير المولى اليها
وقيل اى لكل شخص وجهة نيته وما ينطق عليه طويته فيما يتحراه
قولا وفعلا وحالا اذ لكل صانع في صنعته مقصد هو الداعي
الى تلك الصنعة من استعمال المصنوع بجنسه او لكون المصنوع
وسيلة الى تحصل مهماته وتوسل اغراضه وقد قيل معناه ان للناس
كلهم الان وجهة واحدة وهي الاسلام اذ الاديان به نسخت
ويحتمل ان المراد به ان الله تعالى حمل الناس في ترتيب امور دنياهم
واخرتهم على احوال متفاوتة وجعل بعضهم اعوان بعض فواحد
يزرع وواحد يطحن وواحد يخبز وكذلك في امور الدين واحد
يحفظ الحديث وواحد يطلب الفقه وواحد يشتغل بعلم آخر
وهم في الظاهر مختارون وفي الحقيقة مسخرون مجبرون والى ذلك
اشار صلى الله عليه وسلم بقوله اعملوا فكل ميسر لما خلق له وجعل
لكل سبيلا في الوصول اليه تعالى اذا راعى ما هو بصدده و
ادى الامانة فيه وعن هذا قال بعضهم حين سئل عن تفاوة الناس

فی افعالہم فقال کل ذلک طریق الی الله تعالی اراد ان یعمرها بعبادة

فبین تعالی فی ہذه الآیة ان لکل منہم طریق وصول الی الله اذا تحری

وجه الله ولہذا عقبه بقوله فاستبقوا الخیرات ای لا یعزب عنک ارادة

الخیر وتحری وجه الله فی کل حالة کنت فیہا وقوله فاستبقوا الخیرات

ای الی الخیرات وفی حذف الی اشارة لطیفة فان الاستباق

الی الخیرات هو التسابق مع الغیر فی الخیر لئلا یسبقک الیه مثل

ان ورد مسکین ان یتقرب الی الله تعالی بجبر فقره فرام واحد

ان یسد خلته فتسبقه الیه فذلک استباق الی الخیرات واستباق

الخیر هو ان یعرض لک خیر لکنه فی معرض ان یفوتک ان لم تعجل الیه

فذلک استباق الخیر ویمکن ان یکون استباق الخیر من وجه آخر

وهو ان تاتی باقدام التلقی والاستقبال قبل ان یاتیک و

قوله اینما تکونوا یات بکم الله جمیعا فمن ابتغی رضی الله و

بذل مجهوده فی ابتغائه بلغه الله بغایته وهداه بلطفه سبله ولو قعد

به مرض او عجز لا تقصیر فیه من الطالب فہذا ایضا غیبة لا تقتضی

خیبة وقد قال صلی الله علیه وسلم فی حدیث اذا مرض العبد المؤمن

قال الله عز وجل انا قیدت عبدی فاکتبوا لعبدی ما کان یعمله او

کان ینوخاه فی صحة ومن تخلف عن مواضع الامتثال فیانیه الله بعذره

ویوفقه مواقف الحساب والعذاب وقوله لئلا یکون للناس

علیکم حجة الا الذین ظلموا منہم ای لئلا یحتج علیکم احد الا هو

ظالم او المراد اقصدوا بالحجة دفع الناس الا الظالمین المعاندین

فی الاحتجاج اذ الظالم لا حجة له فی الحقیقة وذلک کقول الشاعر

ولا عیب فیہم غیر ان سیوفہم بہن فلول من قراع الکتائب

ای وذلک لیس بعیب وقوله فاذکرونی اذکرکم فذکر العبد

لله بترکه التکبر وذکر الله للعبد بمنحه التواضع وذکر العبد لله بترک

الطیش والجزع والحرص وذکر الله للعبد باعطاء الحلم والصبر و

القناعة فکانه قال اذکرونی تصبرا اذکرکم تصبیرا واذکرونی

استعفافا واذکرکم اعفافا والی ذلک اشار صلی الله علیه وسلم بقوله

من یتصبر یصبره الله ومن یستعفف یعفه الله ومن یستغن

یغنه الله وقوله یا ایہا الناس کلوا مما فی الارض حلالا طیبا

کانه قال رخص لعموم الناس الارتزاق والارتفاق بجمیع ما فی

الارض بشرط التقید بالحلال ولما خاطب المؤمنین حماہم الاسترسال

فی المسارح ومنعہم استدخال جمیع المنایح ولم یاذن لہم الا فیما خصص

لہم فقال یا ایہا الذین آمنوا کلوا من طیبات ما رزقناکم ثم اکتفی

من عموم الناس بان لا یتبعوا خطوات الشیطان اذ قصی ما

يتوقع منهم ترك الشر واستدعى من المؤمنين القيام بشكر نعمائه والمقام على
ذكره لآية شهادة وعبادة فالاولون امرهم بالسعى من الكفر والآخرون
امرهم بتلق الشكر وقوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم اى
تراودون الخيانة فالاختيان تحرك شهوة الانسان لتحرى الخيانة
وليس هو الخيانة وقوله ويسئلونك عن الاهلة اى عن الفايدة فى
تفاوتها زيادة ونقصان دقة وعظما فى اوائل الشهر واواسطها
واواخرها وقوله مواقيت للناس يتعلق بها امورهم فى المعاملات
والمكاسب والزراعات ونبه بذكر الحج على ما يتعلق بها من فرايض
العبادات وانما خص الحج بالذكر من حيث انه اعظم العبادات
اثرا فى رعاية الوقت اداء وقضاء اذ لا يعتبر فى قضاء سائر
العبادات وقت معين واتيان البيوت من ظهورها مثل لمراجعتهم
النبى صلى الله عليه وسلم فيما ليس مختصا بعلم النبوة ويمكن تعرفه من
غيره صلى الله عليه وسلم فان ذلك عدول عن المنهج والباب المستفتح للدخول
هو ان يراجع فيما يرجع الى العلم المختص بالنبوة وهو تحرى التقوى واليه
الاشارة بقوله ولكن البر من اتقى قوله الشهر الحرام بالشهر الحرام
فاذا تركت انت الاعتبار بالشهر الحرام او البلد الحرام وهتكت فيهما
الحرمة فكيف يراعى الحرمة لما فيك ومن يمنع القصاص عن اللاجئ الى الحرام

يقول لو قيل فى الحرم يسوغ ان يقتل هو فى الحرم قصاصا اذ هو هتك
حرمة الحرم وكذلك الرسول صلى الله عليه وسلم لو اطعته فى الله حين امرك
او زجرك فاذا اتكلم لك عند الله شفاعة تقبل شفاعته وقوله فمن
فرض فيهن الحج فيه دلالة على ان وجوب الحج عند حصول الاستطاعة
على التراخى وقوله واذكروه كما هداكم تنبيه على توخى المقابلة
والموازاة بين الذكر والشكر ومن نعمة الهداية اى اذكروه كما يستحقه
على ما هداكم وقوله فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله هو اشارة
الى انه حين قضى مناسك القربات وانقضى مسالك العبادات
واجباتها وابعاضها وتعطلت الجوارح من الاعمال البدنية فحينئذ
لا بد من العدول الى ذكر الله الذى هو من اعمال القلب وقوله
اولئك لهم نصيب مما كسبوا اشارة الى ان الاجابة للدعاء هى الاثابة
على المعمول لا على المقول اذ احال تخصيص النصيب على منسوبة المكسوبة
وقوله واذكروا الله فى ايام معدودات اشارة الى ان من صحب الذكر
اياما والف الفكر فيه دواما حتى تمكن الذكر من القلب وتلون به ثم
سرى الى القالب انواره وجرى فى الجوارح آثاره فالفه الذكر فلا
يكاد يفارقه الذكر ولو فارق هو الذكر اذ كلامه بالله وسكوته بالله
وهذا كله نتيجة ملازمة الذكر اياما وقوله فلا اثم عليه لمن اتقى.

تنبيه على ان الاعتبار بالتقوى فقط وقوله ويشهد الله على ما في قلبه يعني
به ان شهادة الخلق بينا هامن اللسان فتقبل وتؤدى قولا وشهادة
الله من حيث القلب والاعتقاد وقوله اخذته العزة بالاثم
اى بسبب الاثم الذى ارتكبه تعزز وتكبر حين خوف بالله وقيل دعته
العزة العزة وعصبية الجاهلية الى ان يأثم فعلى هذا تكون
العزة سبب الاثم وعلى الاول يكون الاثم سبب العزة وقوله
يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة اى في وفاق الوفاق
وصلح الصلاح وامان الاذعان مراعين سبيل المرافقة و
الموافقة مع المؤمنين متابعين قبيل اهل الايمان في سابغة
الباطن الظاهر في اعمال البر وموالفة الجوارح والجوانح في احوال
الخير فان من فارقك وانت مؤمن فانى تستتبعه او فارقته
وهو مؤمن فكيف تستشفعه وقوله كافة يشير الى ما ذكرنا من
ان المطلوب هو حصول الجمعية في النفس والاجتماع في الجنس اذ التفرق
يباينه التوثق فمتى تخلى بعض الاعضاء بالمجاهدة في الطاعة ومساعدة
الجماعة بالبر وتخلى بعضها عن المعاضدة والمرافدة ميلا الى الاضاعة
فانى يستتم حال الرجل ولم يتم نصاب ايمانه عن وقص النقص
ولم يتوق نصيب اسلامه عن بخس الخلف ووكس الضعف واستعمال الكافة

بمعنى الجميع من حيث ان الجميع هم الذين يحصل بهم الكف التام
والحف الرام وكان الخطوة في الباب لمن خطا خطوة
الشيطان فسبق الشر شارا ثم لحق الخير تداركا ولهذا اعقبه
بقوله ولا تتبعوا خطوات الشيطان ومن امتع بالخليتين
واشبع من الغلتين فليحذر الغفول المعدى للزلل والذهول
المؤدى بالخلل واليه الاشارة بقوله فان زللتم من بعد ما جاءتكم
البينات ويحتمل ان معناه ادخلوا في السلم كافة انفسكم عما
يناقض السلم ويعارض السلامة من ابية العصبية وحمية
الجاهلية فانها تستاصل ارومة الانقياد وتستاكل جرثومة
الاذعان وقوله هل ينظرون اى ينتظرون يقال نظر وانتظر
بمعنى وظلل الغمام يحتمل ان يكون اشارة الى ممطرات العذاب
وقوله ومن يبدل نعمة الله تنبيه على ان نعمة الله لا تتبدل
بلاء الا بمقتضيات كسب الايدى فاذن من ارتكب المعاصى فقد بدل
نعمة الله لديه نقمة عليه وقوله والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة
يفسره قوله فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون على الارائك
ينظرون وقوله فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا اى الى
ما اختلفوا كقوله هدانا لهذا وقوله من الحق فمن للتبيين

اى هدوا الى بيان المختلف فيه وذلك المهدى اليه هو الحق
وهو يضاهى الجمعة بين السبت والاحد ويضاهى الكعبة من بين
سائر القبل ويضاهى شهر رمضان من بين سائر اوقات الصوم
وقوله باذنه قيل بعلمه وقيل بامره والاذن يقال لمن يسمع
ويعبّر به عن العلم اذ هو مبدا العلم فينا فكان هداية الله تعالى
بالاعلام ويحتمل ان المراد بقوله باذنه ان الاختلاف وقع باذنه
اذ المسائل التى هى فى محل الاجتهاد اذ لم يكن منصوصا عليها
من جهة الشارع ساغ لمن استجمع شرايط الاجتهاد وضوابطه
تحرى الاصوب وتوخى الاقرب الى الحق فهم وان اختلفوا عن الحق
الماذون فيه فالكل بمعزل من الضلال وان اختص بعضهم بالهداية
وهو الذى اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله اختلاف
امتى رحمة وقوله قل قتال فيه كبير تنبيه على ان ليس كل القتال
فيه كبيرا فان قتال النبى صلى الله عليه وسلم اهل مكة لم يدخل فى
هذا الحكم ولهذا ذكر القتال بلفظ النكرة وقد تم الكلام على قوله
قل قتال فيه كبير وقوله وصد عن سبيل الله يعنى صد عن سبيل الله
وعن المسجد الحرام وقيل هو مجرور بواو القسم وقوله ماذا ينفقون
قل العفو فسّر العفو بانه ما فضل عن حاجة نفسه وعياله اذ الانفاق على

النفس والعيال راتب واجب والانفاق على الغير تبرع وتطوع
ولا يحمل الاعتياق عن الفرايض بعوارض النوافل وقد يفسّر
العفو بانه السهل المتيسر الذى لا يشق على الرجل اعطاؤه يقال
خذ ما عفى اى سهل وصفا وذلك اشارة الى ان الصدقة
والنفقة اذا كان ما اخرجته بموقع الارادة منك فربما تحن
نفسك الى المنفق فتلتفت اليه تشوقا يعقب حسرة او تكلفا
يحدث ضجرة وبذلك ينزع روح الصدقة ويرفع روح النفقة
ويحتمل ان المراد استعمال العفو مع السائل وان صدر منه
اضجار اذ الحذية انما تكون رضية اذا لم يصحبها اذية وقوله
والله يدعوا الى الجنة والمغفرة باذنه ويهدى اليها بامره كانه
يدعوهم الى الجنة بالاسلام ويهديهم اليها بالايمان وقوله
ويسئلونك عن المحيض قل هو اذى اى فى محل الحرث اذ لا يقبل
البذر ما دام ذلك الاذى فيه وذلك لان الرحم دفاقة
لدم الحيض وما كان من طبيعته الالقاء فكيف يتصور منه التلقى
ولهذا امر الرجال باعتزال النساء فى المحيض اذ لا يتوقع من الرحم فى
تلك الحالة قبول النطفة فيكون المجامعة فى ذلك تضييعا للبذر وتعطيلا
لمحل الحرث وقوله ان تبروا وتتقوا وتصلحوا يعنى اذا اقللتم

اليمين كنتم اقدر على البر والتقوى والاصلاح بين الناس فانكم
اذا عرفتم بعلة الايمان والتحرج عنها قدرتم على الاصلاح بايمانكم
فانه يسكن اليها ويوثق بها وقيل معناه لا تجعلوا الحلف بالله مانعا
من ان تبروا وتتقوا اى اذا حلف احدكم عن شئ هو خير فلا يتحرجن
عن الاتيان بما هو خير من اجل اليمين كما قال تعالى ولا ياتل اولوا
الفضل منكم الآية وقوله واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن
فامسكوهن اى قرب انقضاء عدتهن وقد يعبر عن القرب
من الشئ ببلوغه كما يعبر بالبلوغ عن التوغل يقال بلغت البلدة
اذا قربت منها ويقال بلغت البلدة اذا توغلتها ودخلتها وعلى
هذا اراد بقوله واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن
اى انقضت عدتهن فان نكاح الازواج انما يكون بعد انقضاء العدة
والامساك المامور به هو الرجعة وهى قبل انقضاء العدة وقوله
وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف فيه دلالة على ان الام
تستحق اجرة الارضاع فى مال الاب سواء كانت فى نكاحه ام لا
وقوله ولا تضار والدة بولدها فيه دلالة على تقدم جانب
الام فى حق الولد على جانب الاب لفرط شفقتها على شفقة الاب
وقوله وعلى الوارث مثل ذلك اى على الرضيع فيما قيل اذا كان

وارثا وله مال ففى ماله اجرة ارضاعه وقيل اى على الباقى من
الاجداد والجدات عند وفاة الوالدين فان الوارث هو الباقى
وقوله ولا جناح عليكم ان تسترضعوا اولادكم اى اذا امتنعت
او تزوجت فلا جناح فى استرضاع غيرها وفيه دلالة على جواز
الاستيجار على الارضاع وقوله فلا جناح عليكم فيما فعلن
فى انفسهن اى من التزويج وعليكم خطاب الاولياء وقوله
ولا تعزموا عقدة النكاح عنى به بت القول معها وليس ذلك
نهيا عن حكم الضمير فان التعريض مباح فضلا عن الضمير وقوله
ولا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن
فريضة نزلت فى المفوضة اذا لم يسم لها صداق وطلقها زوجها
قبل المسيس وقبل فرض الصداق فلها المتعة ولا مهر لها وتقدير
الآية ما لم تماسوهن ولم تفرضوا لهن فريضة ونظيره قوله تعالى
وارسلناه الى مائة الف او يزيدون فدلت الآية على صحة النكاح
بغير المهر وقوله الا ان يعفون اى النساء يعفون وجمع المؤنث
فى الفعل المضارع يستوى فى الرفع والنصب والجزم وقوله
او يعفو الذى بيده عقدة النكاح وهو الزوج فيما قيل وهو الاصح
وتقدير الآية الا ان تعفو المراة عن النصف الواجب لها فتتركه

للزوج او يعفو الزوج عن النصف الذى له استرداده فتركه لها
جملة الصداق وقد قيل هو كناية عن الولى والاول اصح وقوله
حافظوا على الصلوات امر بالمحافظة على جميع انواع الصلوات مفروضاتها
ومسنوناتها والصلوة الوسطى هى المفروضة فحينئذ قول من قال
هى الظهر وقول من قال هى العصر وقول من قال هى المغرب
وقول من قال هى العشاء وقول من قال هى الصبح يكون الجميع صحيحا
وقوله فان خفتم فرجالا اى ان لم تتمكنوا من اقامة الصلوة على
هيئة القنوت وهى توفية الصلوة حقوقها لخوف العدو فصلوا
مشاةً على ارجلكم او ركبانا على ظهور الدواب وقوله والذين
يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصيةً لازواجهم وقد قرئ وصيةٌ
بالرفع وتقديره عليهم وصيةٌ واذا قرئ بالنصب فتقديره ليوصوا
وصيةً لازواجهم بان يمتعن متاعا الى الحول او تقديره كتب الله عليهم
وصيةً لازواجهم ومعنى الآية انه لو اوصوا بان يمتع ازواجهم سنةً
كاملةً ولا يخرجن فلا باس وان خرجن قبل الحول فلا يلزم من الاقامة
وقد قال بعض الناس الآية منسوخة وانما كان ذلك فى اول الاسلام
حين كانت عدة الوفاة حولا كاملا ولم يكن لها الميراث فنسخت
بآية العدة واية الميراث وقوله وللمطلقات متاع بالمعروف

يشبه ان المتاع زاد سبيل السراح والمهر عتاد دخيل النكاح فاوهن
براى امراة سالت الطلاق طلبا للمتاع واهون بولايتها ويشبه بهذه
المستدعية طالب الدنيا فان الدنيا متاع المبعدين والجنة مهر المقربين
فيا قبح من رضى بالتبعيد رغبة فى متاع الدنيا ويا نجح من لم يركن الى
متاع الدنيا فطلب مهر القرب حتى يفوز بالمهر الوفر ونيل الخير
وقوله وما لنا الا نقاتل فى سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا
وابنائنا لما كانت الداعية الى القتال دفع بلية الانفس ومنع
اذية الاموال والديار لم يلحقهم من الله تعالى نصرة ورهقهم من
انفسهم خذلان التولى ولو تحركت الدواعى لاعلاء كلمة الله لنزلت
ايات الثبات والقرار قبل ظهور بدايات الفرار واستعلت
رايات الاقبال بدلا عن خفض رايات الادبار وقوله بقية
مما ترك آل موسى وآل هرون والهاشخصهما وتلك البقية فيما قيل
عصا موسى وهرون وقيل رضاض الالواح المنكسرة وقيل
التورية ونهر طالوت يشبه به الدنيا اذ لا بد لك من مجاوزتها
وعليها سبيلك الى المقصد ومن شغف بها فى رها تمليا منها وتحليا
بها فليس هو من الامر فى شئ ومن رضى منها بالاغتراف للكفاف
وحظى فيها ببضاعة القناعة فهو الذى لم يتعوق بمثبط ولم يتعلق بمحيط

وعاضده عفو السير وساعده ضعف النهر حتى جاز سالماً وفاز غانماً
وقوله فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه فيه دلالة على أنّ
الايمان هو الامتثال عند الامر والانكفاف عند الزجر وقد يتوهم أنّ
من شرب لم يعبر النهر ولم يجاوزه وليس كذلك فان الذين قالوا
لا طاقة لنا اليوم هم الذين شربوا فتحقق أنّ من شرب ومن لم يشرب
فقد جاوز النهر لكن عند روية جالوت تميز الفريقان فقال الفاسقون
جبناً وضراعةً لا طاقة لنا اليوم وقال المؤمنون ثقةً وشجاعةً كم من
فئة قليلة غلبت وقوله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
فهذا الدفع يضاهي دفع الله تعالى عن الخلق بسخونة المسخنات
برودة المبردات وعلى العكس ومنع ضرر الميبسات برطوبة المرطبات
وعلى العكس واصحاب كل داء ما يلايمه من دواء فمن عرض له عارض
ينازعه فيما تسلمه من دعة الصحة وسعة السلامة فاهتدى الى ما اتاح
الله من دافع فاقامه امامه فالدافع ينفي الفساد من صلاحه والكساد
من رباحه وقوله ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم اي
لو شاء مشية مجبرة لما اختلفوا وانخرطوا باجمعهم في غمار المؤمنين و
نظيره قوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم ولو شاء
ربك لجعل الناس امةً واحدةً ولكنّ التكليف يضادّ المشية فكانه لم يشأ

وكلفهم فاختلفوا وقوله ولو شاء ربك الله ما اقتتلوا اي لو شاء ام
المؤمنين بترك القتال مع الكفار لكن شاء فامرهم ان يقتتلوا
وهو يفعل ما يريد وقوله وسع كرسيه السموات اي احاط
بالسموات والارض وكرسيه فيما قيل العلم ولكانّ الكرسيّ
مُطلَعُ بحار العلم كما ان العرش منبع عيون المعرفة والفرق بين
المعرفة والعلم ان الناس يشتركون في العلم بالثوب انه ثوب
متفاوتون في المعرفة به وقوله لا اكراه في الدين قيل هو منسوخ
بآية السيف ويحتمل ان يكون المراد من اللفظ ان من رام
من نفسه او من غيره اعتلاء ذرى الدين واجتناء جنى اليقين
دون ابتناء ذرى ارتكاب الاوامر والاعتناء بعرى اجتناب
المناهي فهو يصلد زنده ويرقد جده ويفسد جهده بل لابد
من ممارسة الاعمال البر على وفق الدأب وملابسة الاحوال
الخير على نسق الوصوب حتى يتذلل له صعاب مسالك الايمان
وينخفض له حداب مدارك الاحسان وهو يضاهي صنعة الصياغة
لو الزمتها من لم يعان تلك الصنعة ولم يعاين صانعها لكنت
تضرب في حديد بارد وتستد في جليد جامد ولو باشرها بالات التعلم و
ادوات التعرف لساعده المراد في ادنى زمن وساوقه المراد دون

اعلى ثمن ولهذا اعقب الآية بقوله فمن يكفر بالطاغوت اى
بما يصده عن الله وعن سبيله ويومن بالله وبما ياتى من قبل رسوله
فقد استمسك بالعروة الوثقى وفيه اشارة الى ان مقدمة الايمان
بالله وبلحق الكفر بالطاغوت وبالباطل كما ان مقدمة الكفر بالله
هو الايمان بالباطل قال تعالى والذين آمنوا بالباطل وكفروا
بالله وقوله استمسك اى طلب التمسك واستعمال هذه اللفظة
من ادل دليل على انه لابد فى التعالى من التمسك بالحاصل
من الدرجات والاستمساك بالمتوقع منها وقوله بالعروة الوثقى
اشارة الى انه لايتطرق اليها الاختلال ولا يسوءها الانحلال فالمتمسك
بها آمن عن انفصامها وانجذامها لكنه لا يامن من السقوط
عند تخليتها وعند ذلك يتبين ان الخلل لو ظهر فهو اتى من قبل
التمسك لا من قبل انفصام العروة ويحتمل ان المراد به ان من
اكره على دين فاعترف به ودخل فيه من غير طواعية له فيه فلا حكم
لهذا الدين المكره عليه فى القيامة كما قال تعالى الا من اكره
وقلبه مطمئن بالايمان ويحتمل ان المراد ان حمل الانسان على ما يكرهه
من امور الدين ليس باكراه فى الحقيقة بل حمل على نعيم الابد كما قال عليه
السلام عجبت لاقوام يقادون الى الجنة فى السلاسل ويحتمل ان الدين

اريد به الجزاء ومعناه ان الله ليس بمكره على الجزاء بل يفعل
ما يشاء كما يشاء لمن يشاء وقوله وهى خاوية على عروشها
قيل خالية عما بها من العروش يقال خوت الدار اذا خلت وقيل
ساقطة على سقوفها وابنيتها وبقاء الطعام وهو التين الرطب
او بعض الفواكه الرطبة فيما قيل والشراب على حالهما دون ان
يتطرق اليهما التسنه مع ما بهما من التموه واستلزام الحارج ما فيه
من استمساك الحيوة بطلب البدل عما يتحلل ايتان دلتا على
تيار القدرة ورايتان نصبتا للاهتداء الى ذخائر الخبرة وقوله
ارنى كيف تحيى الموتى لم يصدر عنه عليه السؤال عن شك فى الاحياء
وانما هو سؤال عن كيفية الاحياء ومن يرى شيئا مصنوعا
لا يرتاب فى صنوعه لكنه ربما يلتبس عليه وجه صنوعه وكيفيتها فيسال
عنها فكذلك علم ابرهيم عليه السلم قدرته على الاحياء لكنه لم
يعلم كيفيته فسال عنها وقوله مثل الذين ينفقون اموالهم
فاستوعبوا جنس الاموال بالانفاق منها ونوعها واصلها وفرعها
فى سبيل الله فمن لم يصل بعد الى المنزل ولم يتمكنوا فى محل القرب
فهو فى السبيل ثم سبيل الله كل ما يقربك منه كمثل حبة انبتت
سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ولما كانت اعمال الجوارح

مقدرةً موقتة غير دائمة فتقريبي ثوابها وان بلغ حد التكثير فهو لا
يخرج عن التقدير فقدر الحسنة بعشر امثالها الى سبعماية ضعف
وقد يفضي توافر العدد عند انقطاع المدد الى النفاد ولربما تقصر خطى
العدة ومدى المدة عن قضاء الوطر وان استوفى منها منتهى الحظ
وينبئك عن ذلك حال الامطار واعداد القطر والظمآن عندها
لا يرضيه الالف الى استيفاء الالف من عدد القطر ولا يرضيه
ريا وكذلك حالك في الطعم اذا غلب السغب وظفرت بالحبات
الصغار فكيف يتيسر لك التعفف المغني عن التكفف وفضاعة المجاعة
ها هنا حليفك وهناك دهش العطش اليفك واعمال القلوب
بمعزل عن ان يحيط بها العدد او ينقطع عنها المدد اذ لا يخلو عنها
مكان ولا زمان في ممالك البدن ومسالك الزمن اذ هي تستوعب الاحوال
وتستوهب الاشغال وخير صاحب القلب موجود غير مفقود في حالة من
الاحوال فانه وان فقد صورة فلا يفقد قوة واذا كان كذلك
فثوابه يكون كذلك اذ لا استداد فيه ابطل الاعداد وكيف لا يمتنع
صاحبها العين العد التي هي العون الجد فانها مع توحدها وانتفاء
تعددها تربي على الحاجات وتزيد على الداجات بل يفيض الفيض
منه على الفضا المستقين بدلاء الجوارح ووشاء الكوادح عن اطواء الجوانح

الذين تضلبهم تتابع الاستجداء وما حفظهم توادع الرواء بل جرّهم
ضيق حالهم الى التعرض للتعوض حين فقدوا سعة المنح ودعة المنيح
وقوله والله يضاعف لمن يشاء وهو لاهم طلاب الرضا اذ تضعيف
المجاهدين محصور ونشر بغيهم مقصور واصحاب الرضا سبق مواهبهم الحد
ولم يلحق رغائبهم الكلّ العد ولهذا وصف عطاء من شاءهم بالكثرة و
هم الذين طلبوه ولم يطلبوا منه شيئا وكانهم شاؤه وهو شاءهم و
وصف جزاء من طلبوا منه شيئا بحد محدود وعد معدود وقوله
قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى ولم يقل و
رحمة فان الرحمة تقتضي دفع انفصاد القلب بالرحمة الفعلية
وربما يكون المسئول منه غير واجد لم يتصدق به وانما ذكر المغفرة من
حيث ان الناس يتأذون من السائلين وخصوصا اذا كان المسئول
منه غير غني فيغفر السائل ولا يظهر التأذي منه فيقول له المعروف
وقوله ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضاة الله فالرضي
عن الله اذا ابتغى مرضاته فهو الذي ذكره الله تعالى ها هنا فالمجاهد
في سبيل الله ينفق ليتوسل بانفاقه الى وصول المنزل وحصول
المقصود والراضي يتحوت بالانفاق ماله ويثبت بالادفاق حاله او المجاهد
ينفق لتوقع القبول والراضي لخوف الرد ونفقة المجاهد خير لنقيضه ونفقة الراضي

شكر على قبيصته ومن هذا افترق السعيان وتفاوت الصدقتان فكان
مثل نفقة المجاهد كمثل الجنة ومثل نفقة الراضي كمثل الجنة والجنة لابد من
تجديد الزرع كل سنة والجنة يستفاد ثمارها ويقتطف جناها في إبانها
على تكرر الاعوام وتغير الاقسام من غير استيناف سعي وتحمل او استشراف
كدح وبرح في الارض وحرثها وتحصيل البذور وبثها ومع ذلك يقصر الحبات
مع تعددها عن الجنة مع توحدها وقوله اصابها وابل فاغناها بعده عن
طلب سقيا ولم يدع عليها من جوالب النقصان وشوائب الحدثان بقيا
فآتت اكلها ضعفين من تجانب الشر وتقارب الخير الذين هما من
موجبات التقوى ومقتضيات الرضوان وقوله فان لم يصبها
وابل فطل اي لم يكنها الوابل غاية مرادها فيمده بطل مع الوابل
حتى يصير حبل الدين بمثاني قواه مبرما واصل اليقين بمباني تقواه
محكما وكان الوابل اشارة الى المكتوبات والطل اشارة الى المندوبات
او الوابل عبارة عن التعظيم لامر الله والطل اشارة من الشفقة
على خلق الله ثم انواع القربات التي تصدر عن المحسن صورتها التعظيم
لامر الله لكن في ضمنها الشفقة على خلق الله فان لم يتحقق صورتها
فان رجاحات الخلائق مستفادة من بركة طاعتهم اذ لولا هم لما استدر
عليهم البركات ولما اندفع عنهم المهلكات وقوله الشيطان يعدكم

الفقر ويامركم بالفحشاء فابعدوا شانه لكي لا يقرع سمعكم نداؤه
ولا يصدع جمعكم دعاؤه ولا يهولنكم صوت اغواله واقواله ولا
يغولنكم بيات خيله ورجله فانك ان تبعد منه تصم صدى استغوائه
وتامن وادي استيلائه والله يعدكم مغفرة منه وفضلا فتقربوا
اليه بترتيب الوسائل وتهذيب الحوائل تستفد مسامعكم الحظوة
بلطائف المواعيد ومجامعكم بعواطف المواجيد وقوله
ونكفر عنكم من سيئاتكم انما جعل الصدقة مكفرة لبعض السيئات
دون الكل فان التعظيم لامر الله الذي هو حقيقة الايمان يقع مكفرة
مكفرة لجميع السيئات فان من رضي الله عنه يرضي الله عنه الخلق
ولا يبقى عليه سيئة والصدقة التي هي من قبيل الشفقة على خلق
الله لا تقع الا كفارة لبعض السيئات من حيث لو انه لو اغضب
الله فلا ينفعه ارضاء الخلق ولو كانت سيئاته من قبيل اذى
الخلق فصدقته وان كانت اراحة للمساكين فلم يتضمن ازاحة
الاذى عن المظلومين ومن هذا وقعت الصدقة بانفرادها
مكفرة لبعض السيئات وقوله ليس عليك هديهم لما
اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرة القضا كانت معه اسماء بنت
ابي بكر فجاءتها امها وجدتها وهما مشركتان تسألانها فقالت

لا اعطيكما شيا حتى استامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكما لستما
على ديني فانزل الله تعالى هذه الآية وامرها بالتصدق عليهما
وقوله الفقراء الذين احصروا في سبيل الله اما صورة واما صفة
فان الفقير المحصر في سبيل الله فعن قريب يكون خضرا عند الله ولا حصار
في سبيل الله صفة تظهر بتوافق جذبة التوفيق ورغبة الجهد فهو
طالب مطلوب ومحب محبوب وعن المحصر في سبيل الله عبر صلى الله عليه
وسلم فيما حكاه عن الله تعالى في صفة اوليائه اذا علمت ان الغالب
على قلب عبدي الاشتغال بي جعلت شهوته في مسئلتي ومناجاتي
واذا اراد ان يسهو عني حلت بينه وبين السهو عني فهذا هو الاحصار
في سبيل الله وقوله الذين ينفقون اموالهم بالليل لاهل القناعة
والنهار لاهل السؤال وبالليل في الحقوق التي تجب لانفسهم عليهم
فينفقون فيها لحصول القوة على العبادة وبالنهار في الاوامر
الربانية انخلاعا عن ربقة العادة ولا يخفى ان الانفاق على النفس
صدقة من قبل ما يؤول اليه من التقوي على الامتثال كما اشار اليه
صلى الله عليه وسلم في الحديث والانفاق على المساكين صدقة بالصورة
وقوله سرا وعلانية فالمراد بالسر ما ينفقه لله خالصا ابتغاء مرضاته
وبالعلانية ما ينفقه للخلق لا على سبيل المراءاة بل على سبيل

ان يقتدى به الاغنياء في الصورة اذ التبليغ بالفعل ابلغ من التبليغ
بالقول او يقال اسر ليسلم على زحمة روية الخلق ويحظى برحمة روية الخالق
علانية لئلا يستوحش في سبيل الله تعالى من قلة الرفقاء فيرونه سالكا سبيل
الله فيرافقونه شيا باقدام الصدقة ويوافقونه وشيا بالاقلام الشفقة
وقوله يخبطه الشيطان ان يصرعه ويطاه بالقدم والمس الجنون
وقوله ولا ياب الشهداء اذا ما دعوا الى تحمل الشهادة او الى ادائها
فقد قيل بهما وقوله ولا تسأموا ان تكتبوه اي كتاب وجوب الحق
ان كان صغيرا او كبيرا اي الحق الواجب قليلا كان او كثيرا وقوله
ولا يضار كاتب ولا شهيد اي لا يكتب ما لم يمل عليه او يشهد بما لم يستشهد
عليه ويكون تقديره لا يضارر ولا يضارر وقد قرئ كذلك وقيل
معناه لا ينبغي ان يدعى الكاتب او الشاهد الى ذلك وهما في شغل
يتضرران بتركه وعلى هذا تقديره لا يضارر على ما لم يسم فاعله وقد
قرئ ايضا كذلك وقوله فسوق بكم اي خروج بكم عن الامر
وقوله ومن يكتمها فانه آثم قلبه احال بالاثم على القلب مع ان الرجل
بمعزل عن ان يواخذ بما في قلبه وذلك لان العفو انما يتطرق الى ما
تضمنه القلب والجوارح فيه مشروح لكنها انكفت اوللكوادح فيه
مسح لكنها انكفات فذلك لا يلحقه عتاب ولا برهة عتاب اذ لم يبد منه

من نواصي المعاصي شعرة ولا من صغير الشر شعيرة وقد ظهر للخير فيه
تباشيره بالاعراض عن استتمام ما عرض له وبان للشر تقاصيره بانقباض
ابنية ثبتة تغنية كيف وقد انطفى منه نايرة الفساد واختفى شاهرة
البعاد فاما كتمان الشهادة فهو شغل عزلت المشاعر يعني الحواس عن
اشعاره ولا آراب عن قضاء لا آراب به فكان تخصص القلب بتوليه تفرد
باستقلال اعباء لا اثم كما تفصل عن استقلال اعباء البر بالشهادة وقوله
ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب
من يشاء ذكر المفسرون ان هذه الآية منسوخة بقوله لا يكلف الله نفسا
الا وسعها وقد نطق به الحديث ثم الذي لا بد لك ان يتنبه له ان ما نسخ من
هذه الآية العذاب لا الحساب وانما وسوست به نفسك وجوانحك
وان احتبست عنه جوارحك لا تؤاخذ به لكنك تتعوق به عن التفوق
الى اعالي الشهادة والتوقي في ذرى توالي السعادة فان خطور العادة
تبكي شطور العبادة ويدلك على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
فيما رواه عثمان رضي الله عنه ان العبد المؤمن اذا توضأ فاحسن الوضوء
ثم صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء غفر له ما تقدم من ذنبه
فاذن لو حدث فيهما نفسه بشيء فقد فاته فوائد الحظية المرضية
وغافصه انفلات المقصود المشهود فهذا لا يؤاخذ بما حدث لكنه لم يظفر

بصيغة المفعول عن الجميع والخبر ان بغفران الكل وقوله والمؤمنون
كل آمن بالله قد اتى بصيغة التوحيد وذلك لان كلا لفظه واحد وان
كان معناه الجمع وكان فيه اشارة الى ان الايمان القولي الذي هو الاقرار
باللسان يتساوى فيه جميع المؤمنين فكلهم في الاقرار بمثابة واحدة
اذ التفاوت يرجع الى الاعمال والتصديق فلما اذعنوا كلهم متوين
لعبودية وتمسكوا بالايمان القولي وتدارك فيه السابق و
اللاحق واتفقت كلمتهم واجتمعت اراءهم على ذلك عبر تعالى
عن ايمان جميعهم بصيغة التوحيد فقال والمؤمنون كل آمن بالله
وقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها فيه اشارة الى معنى
لطيف وهو ان التكاليف النفسانية تنحصر في مضايق الوسع
فان محال الافعال النفسانية معدودة فتعددت التكاليف
بعدد وتعدد محال الافعال وليس كذلك التكاليف الروحانية
والقلبية وهي المعرفة والتصديق فانه لو تعرى في زمن الازمان
او حالة من الاحوال عن المعرفة الروحانية والتصديق القلبي
فلا يتسامح بذلك عند اطلاق اسم الايمان سواء كان في المرض
او الصحة وعند الامن والفزع والتكاليف النفسانية قد
يتسامح بتركها في حالة العجز وفي بعض الاحوال الاختيارية وقول

ولا تؤاخذنا ان نسينا اى تركنا المامور نسيانا او اخطانا
اى ارتكبنا المنهى عنه خطاء ثم انما لا تؤاخذنا بالنسيان اذا تعودنا
لا يترك المامور به ذاكرا واذا ظهر منه استمرار الاتيان عند الذكر فلو
تركه ناسيا فى وقت لا يؤاخذ به وكذلك الخطاء انما لا يؤاخذ به اذا كان
لا يرتكب المناهى متعمدا فاما اذا كان يترك المامور به مع الذكر فهو مؤاخذ
بالمتروك ناسيا او ذاكرا وكذلك لو كان يتعمد ارتكاب المناهى فهو مؤاخذ
بعمده وخطائه ومن تعود ترك المامور عمدا فلو تركه ناسيا فى وقت
فذلك ترك العبادة على العادة لا نسيان لها واذا كان متعودا
بفعل الذنب متعمدا فاذا وقع فى ذنب خطاء فهو نتيجة استرساله فى الذنوب

من سورة آل عمران

قوله هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن
ام الكتاب واخر متشابهات فكانه نبه على ان العلم بالمتشابهات
يتولد من العمل بالمحكمات فكان الآيات المحكمات هى العملية و المتشابهات
هى العلمية والاعتقادية من رام العلم بالمتشابهات دون العمل
بالمحكمات فقد خبط وركب الشطط وذلك هو الزيغ عن الحق المطلوب
والروغ الى الباطل المهروب منه وانما قال ام الكتاب ولم يقل
امهات تنبيها على ان المحكمات ما لم يجتمع انحاؤها يشبون الاشتال

والاستعمال ويستطلع ارباؤها يعيون الاجابة عند الامابة فلا مطمع
فى استنتاجها فلا يصير العمل بالآية الواحدة المحكمة سببا لحصول
كل العلم او بعضه او بعض العلم من نتائج كل العمل فانظر الى الاناث
اللاتى هن محال الاحتراث وحصول النتاج منهن مشروط ببلوغ
نصاب الكمال صورة وسبوغ ثياب الجمال صفة فاذا استوفين
العدة والعدة يتيسر توليدها ويتصور تمهيد ارحامها الغزار
تحت النطف وقد يقال المحكم هو ما يبين تعريبه واتفق تفسيره
ويطلق على مراد بعينه لا معدل عنه او ما يعلم على التفصيل وقتا
وقدرا وكيفية والمتشابهة بخلاف ذلك وذلك كوقت الساعة
واشراطها يتطرق الى بيانها الاحتمالات والاشكالات ومن
اقسام المتشابه اللفظ الواحد المحتمل للمعانى المتعددة وعند ذلك
استخراج علم المتشابه اذا كان من هذا الوجه انما يكون المحكم اذ
لا يختار من المعانى المتعددة والمحتمل الا ما وافق المحكم المتفق
عليه والراسخون فى العلم هم الذين رسخوا فى العلم فاورث العلم
فيهم جلاء اقران الاضغان من الجوانح وخلاء الجوارح من حوادث
الفواحش ثم احدث فى مرآة البصائر الجلاء ودون مرآة النواظر
الانجلاء فيترائى الاشياء لصاحبه كما هى ويكدح فى اداء الممنهى للمستحق

كما اقتضاه قضاء الربوبية ومضاء العبودية ومن سلك مذهب
العلم وترك مكسب العمل به فهو وان توغل العلم فلم يتوغله العلم ولم
يتخلله فكان كالحجر له رسوب في الماء وليس للماء فيه نضوب فهو بائن
للعلم وان كان معانقا له وقوله هب لنا من لدنك رحمة
كأنه تنكب طريق التوسل الى الرحمة بمكسوب جهد نفسه حين تطلب
حقيق التوصل اليها بمنسوب حمد الله تعالى اذ مضمون فحوى الاستر فاق
يدفع مظنون دعوى الاستحقاق والرحمة اذا وقعت في مقابلة عمل
ربما يجزئها قصر الحصر ويحصنها حجر القلب وهي اذا استميحت من صرف
العطاء او استبيحت على طرف الدعاء ربما يتاح لهم مزايا ها ويباح
لهم صفايا ها على وجه يقصر عن ذرع جمعها باع الحد ويستهل حزن
وزنها نزاع العد اذ الاحسان يغني عن العدل والميل يربي
على الكيل وعند الفضل يسقط طلب المثل ولا يخفى ان العبد
وان شد في طريق الاستداد وجد بوثيق الاجتهاد بحيث لم يدع
طاقة من قواه الا اتى بها مبرمة ولا وثاقة من تقواه الا وقد
اتى عليها محكمة فهو مع ذلك لو اقتضي منه عدل النوء كفاء ومثل
الرحمة وفاء لما تيسر له قضاء الدين الذي لزمه من نظرة العين
فكيف اذا انضم اليه المطالبة بدين السمع وزين الجمع وقوله

كدأب آل فرعون اي دابهم كداب آل فرعون وقوله
زين للناس حب الشهوات ربنا مالهم للابتلاء وتهديهم فيما بال
اراهم زوالها وقوله والمستغفرين بالاسحار انما مدحهم على
انهم استغفروا عن الذنب قبل حصوله اذ دفع المبادي اهون
من قطع التمادي وذلك كمن اعلمه تبصرة التفسرة او عرض النبض
حصول الامتلاء من الاخلاط وتقدم الافراط فاستعمل الدواء قبل
ظهور الداء واقدم على دفع البشم قبل وقوع الالم وهذا هو داب
اهل الحزم وباب اولي العزم فاما المتخلف المسوف فيروم الانتعاش
بعد الزلل والارتياش بعد الخلل ولكان السابق يستقبل ركائب
الذنوب وجوالبها بصرفها لئلا تنزل واللاحق يستدبر نوائب
الخطايا وعواقبها التي لترحان وشتان ما هما فانه استغفر بالسحر
لدفع خطايا النهار الآتي والآخر استغفر عشيا كانه شرب شيا
ليستفرغ جنايات النهار الماضي وقوله شهد الله انه لا اله الا
هو فشهادة الله تعالى لنفسه انه انطق كل شي بالشهادة على وحدانيته
اما صورة واما بالقوة وشهادة الملايكة بذلك هو اظهارهم افعالا
يؤمرون بها كما امروا وشهادة اولي العلم اطلاعهم على تلك
الحكم الدالة عليها واقرارهم بها وهذه الشهادة تختص باولي العلم

فاما الجهال فمبعدون عنها قال تعالى ما اشهدتهم خلق السموات
والارض ولاخلق انفسهم وقوله اوتوا نصيبا من الكتاب
اى نصيب التلاوة باللسان دون العمل بالجوارح والتخلق
فى الجوانح وقوله قل ان كنتم تحبون الله اى تقصدوا طاعته
فاتبعونى يحببكم الله اذ طاعة الله انما ينجع اداؤها وينفع قضاؤها
اذا وقع على نهج اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وسنته يحببكم الله
اى بقبولها ومغفرة الذنوب وقوله انى نذرت لك ما فى بطنى
محررا فتقبل منى قد ظهر اثر القبول على صفحة الحال وجبهة المآل
بان وضعها انثى فانه لو كان ذكرا لم يؤمن ان يتعلق بالام
نوع تعلق او تعوق هو فى نفسه يوضع تخلق جبل عليه الذكران
من انف الابية وصلف الحمية فلما كانت انثى انحسم مادة الموانع
وانطمس جادة الدوافع وظهرت بحسن قبول الله تعالى وقوله
انى وضعتها وقد ظنت هى ان ذلك نقصان ولم تعلم ان الغواص
لا يتاح له الا الصدف الذى لا يتحقق مكان الدر منه لئلا يدعوا
نفسه الى الكتمان او الاخفاء ومن هذا الوجه جرى تضمين مريم
درة عيسى عليهما السلام ثم ظنت حنة ان ولدها تغشى بيت المقدس
وتخدم زواره فاذا هى انثى تكون كلا لا بد لها من حامل رفيق

وكافل شفيق فحسبت حنة لذلك فلاح على وجه الحال تباشير القبول
والاقبال بان كفلها زكريا عليه السلام فى الظاهر فقام باسباب
كفايته وهو اشرف الخليقة فى عصره وتكفل الله تعالى فى الحقيقة بامرها
فضلا على وساطة الاكتساب وحياطة الاسباب واليه اشار تعالى
بقوله يا مريم أنّى لك هذا قالت هو من عند الله ولا يخفى ان العبد
اذا قام بتحقق العبودية وتخلق الطاعة تكفل السيد برزقه التام
ورفقه العام والابق المارق من العبيد لا يحظى بجمال التقبل
ولا بكمال التكفل ومن تولاه الله بلطيف ولايته فى وديعة كلايته
فلربما يحفظه على ايدى اعدايه كموسى عليه السلام ورباه فى حجر اعدى
اعدايه فرعون فاقامه على رواية تغذيته ولربما يشيد مبانى فضل
القبول على ايدى هذه الام الابنية كما قال تعالى حين وصف سليمان
عليه السلام وما اتاح له من الفضل وسخرنا له الريح تجرى بامره رخاء
حيث اصاب والشياطين كل بناء وغواص وذلك لانه تعالى هو
القادر الرزاق الفعال لما يريد حسب ما يريد والخلق كالادوات
المستعملة لا يعملون الا ما سخروا له ولا يفعلون الا ما اقدروا عليه
وقوله الا تكلم الناس ثلثة ايام لما بشره الله تعالى بالولد على
خلاف العادة طلب الاستثبات لتلك البشارة اوارادة معرفة وجه

لاسعاف بتلك البشارة فجعل آيته ان منع لسانه عن مكالمة الخلق الا على سبيل الرمز عند ضرورة الافهام ثلثة ايام ومع امتناع مكالمة الناس كان يقدر على الذكر والتسبيح ولكان منع كلام الناس دفع جزاء لما صدر منه من مراجعته لله تعالى حين قال انى يكون لى غلام وبالنظام عن فضول العادة وفضولها قوام الموقوف على الاقتصار على الضرورة ونظام العكوف على الاقتدار عليها و انطلاق لسانه بالتسبيح لم لما تشعشعت من اقواله ورم لما انتشر من احواله وذلك الاسكات كالحمية بها رفع الداء المختفر والانطاق كاستعمال الدواء التى به دفع الداء المنتظر والقاء الاقلام فيما قيل قرعة من قبيل التفادى عن تكفلها اذ سنتهم المحلف فاقلت تراجعا وتتابعا والاصح انها كانت من قبيل التنافس وقوله فاكتبنا مع الشاهدين على صدق الرسل او الحاضرين عندك او الشاهدين لك على انفسنا بوجوب حق الربوبية عليها وقوله لن يتقبل من احدهم ملء الارض ذهبا اى لو ساوم به ما عند الله من الكرامة بالثواب لا يتقبل منه ثم قال ولو افتدى به لو بذله فى طلب السلامة من العذاب لا يجاب اليه وقوله لن تنال البر معالى الامور التى يرتضيها الله ومكارم الاخلاق التى يحبها الله حتى تنفقوا مما تحبون

اذا استغنا بكم بما تحبون بعوقكم عن الاشتغال على ما يحب الله والاشتغال به وفى انفاقكم المحاب وارفاقكم بها حصول التحمس او بالفوز عما به يتخلف وبحوز ما اليه يتشوق فانك اذا ظفرت من الشفقة بتباشير صبحها على اسارير نجمها فناهيك بشموس جمال التعظيم للامر يشرق على رؤس جبال التفخيم للاجر وقوله وما تنفقوا من خير فان الله به عليم يعلم فيثيبكم بخير مما انفقتم او فوات المال والحال انفاقا تعقب ثبات الماء السخاء وجماعة القناعة ارفاقا وقوله كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه وذلك لحم الابل وانما حرمه على نفسه اما نذرا نذره توقعا لاندفاع الم فى سعة المبترح وانقطاع بلائه فى دائه المبترح او وصف له طبيب حتى راى انتماه الى الاسى لعرق النساء احتماه عن لحوم الابل وهو كان يحبها وعلم انه لا يتيسر له التقييد بقيد الطبع عما يحبه الا بايد الشرع فوسم تلك اللحمة بميسم الحرمة كى ينصرف عنها نهمة السدم وصدمة القرم بالكلية وكذلك داب الصالحين حين يراودون مصالح الابدان لا يتهيأ لهم الا بمساعدة مناصح الاديان و قوله مقام ابرهيم عليه السلام وهو حجر تاثر بوطاءة ابرهيم عليه السلام من غير ان يتاثر منه قدمه فتشرف ذلك الحجر بذلك الاثر

وكل شيء ابيح لك مداخلته واتيح لك مزاولته من الاحوال والافعال والاعراض والاعيان فتاثر مقامك بمقامك من غير ان تتاثر بتلك العوارض فذلك المقام خال بالنسبة اليك وحالك بالنسبة اليه مقام والمقيم بمثل هذا المقام لا يقام ولا يلام بل هو فيه محمود وبه محمود وقوله ومن دخله كان آمنا اى البيت ثم امنه بشرط التوقى عن استصحاب مايضاد الحرم وحرمته فان المنتهك لما نتهك المحارم او فتك بالجرائم فيه فهو الذى لم يعظم حرمة الله فى الحرم ولا خلاف اى من قتل فى الحرم انه يقتل فى الحرم واليه الاشارة بقوله تعالى الشهر الحرام بالشهر الحرام وبقوله اقتلوهم حيث ثقفتموهم واباح رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل الفواسق فى الحل والحرم وذلك لما فى طباع السباع من عادية بادية عن محاومها وكل ما فى دارة العادة وكارتها تحصل خاينة بائنة منها ولكون الغراب خافشة الفاحشة ولما فى الكلاب الوحاش من الهراش ولروغ الحية والعقرب الى اللذعة وتحول الحداة فى كل حوليس فيما بين طورى الذكورة والانوثة فكل هذه مشروعة بابطال عهدا ماتها واخلال عقد ضمانها اذ هذه الخلال مخلة للعصمة محلة للنقمة وقوله ومن كفر فان الله غنى عن العالمين اى من لم مع حصول شرايط الاستطاعة وفيه دلالة على ان الكفر

قد يكون اعتقاديا وقد يكون عمليا فالاعتقادى كفر بالله تعالى والعملى ايمان بآيات الله وكنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله وانما اخر الايمان عن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر اشارة الى انهم يعلمون ان من ايتمر وانتهى بامرهم ونهيهم فى الله هو الذى هداه وان كان الامر والناهى دعاه وان من لم ينجع فيه وعظه ولم ينفعه لفظه فيؤمنون بالله انه يعلم تبرئة من التقصير فى التبصير لكن الله تعالى لم يهده وان الله تعالى يثيبه فيما اقدم عليه وفى الاية التى ياتى بعدها قال تؤمنون بالله واليوم الآخر وتامرون بالمعروف اى حملهم الايمان على الشفقة على الخلق بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر ويحتمل ان يقال ان الاولين لم يشغلهم دعوة الخلق وجوابهم لهم قبولا وردا عن الله تعالى والايمان فلا يحملهم القبول على موافقتهم وموافقتهم على خلاف الايمان ولا الرد على العدو فى طريق المجازات والآخرون لما يسرفوا بتعظيم امر الله تشوفوا الى التفخيم الاجر امرا بالمعروف ونهيا عن المنكر وقوله ليس لك من الامر شيء اى لا تلعنهم ولا تدع عليهم اذ ما جعلنا امرهم اليك انما امرهم الينا لو شئنا عذبنا او تبنا عليهم ويحتمل ان المراد بذلك انا لو استجبنا لك فى اهلاكهم ولعنهم فقد عرضت

دعوتك اياهم عن الفايدة فانهم ان امنوا واجابوا ترجع انت منهم
بعايدة الاجابة وفايدة الدعوة اذ الدال على الخير كفاعله وان لم يؤمنوا
ولم يهلكوا فلا بد لك من ان تصير معهم على اذى التبليغ فتستعيد حميد
من صبرك وحلمك فلا يكونوا خلوا من الفايدة واذا اهلكوا فليس لك
من امر الدعوة شئ اذا ما وجدت الاجابة فيكون لك اجر الدلالة
ولم يبقوا متمردين حتى يبيد تحميل الصبر جزيل الاجر وقوله وسارعوا
الى مغفرة من ربكم امر السابقون بطلب المغفرة متسارعة و متتابعة
في المشي بسعي اقتضاء الاحتظاء من البر ورعي الانتفاء والاتقاء
من الشر واعمال جنايب الرغايب في سبيل الله شفقة على الخلق و
نفقة بالحق صدقة بحاصل النائل على السائل والعائل في حالتي
السراء والضراء فيستديم المسرة شكرا اذا سر فسر ويستقيم لدى
المضرة صبرا فيدفع البوس والباس بان نفع الناس اذ بالراحة
انتفاء الاذى عن الساحة بل هو في السراء يعلم انه لم يستحقها وانما
هي محض فضل الله وفيض طوله وينبغي لصاحبها حين يتمنى دوامها
وتمامها ان يلازم الشكر بدنا ومالا مقالا وفعلا مظاهرة بين اثواب
جماله ومثابرة على ابواب كماله ثم يعلم في الضراء انه استحقها من
جهة توانيه في المامور وتدانيه للمحظور واذا كان كذلك

فلا بد من درء السيئة بالحسنة وانما خص السراء والضراء بالذكر
فانما داعيا البخل عند كثرة المال منافسة فيه للاستنماء وعند قلته
حاجة اليه ثم اتساق نظم فيض العطايا انما يكون بموانعه اتفاق
كظم غيظ الاذايا فان الرجل اذا غاظ غاض ماعين عونه و انقاض
بنا فضل طوله اذ الغيظ مع علمه اذ مذاق كظمه مر وهضمه ومساق
متوعر لا يكاد يسيغه متجرع الا وهو متوجع الالم الى ان يتلذذ بروب
من رشح الصفح بصحبة او بتهنا بشرب من صفو العفو يعقبه
اذ برد المعافاة يسكن حر المكافاة واذا غار ما فار من سورة
حدتك وثورة شدتك لما نامك واصابك فعليك تثبيت
نفسك بان تقابل سوء معاملة صاحبك بحسن مجاملتك معه اذ
درء سيئته بحسنتك مما يسعد وقعه ويحمد صنعه وانت اذا
امرت نفسك بمعروف الاحسان الى من اساء اليك فقد نهيت
صاحبك عن منكر الاساءة اليك قال تعالى ادفع بالتي هي
احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم ثم الاحسان
ذاك الى المسيء احمد صنعا واسعد شرعا من الاحسان الى المحسن اذ هما
عدل غاية التقصي عن مذمة الملامة والاول فضل بداية
التقصي في الكرامة ومن هذا اصاد محبة الله مقتضاه فان هذا

التخلق مرتضاه ثم عدل عن ذكر السابقين الى اللاحقين فانتزعهم [جعهم]
عن دبرة التباعد الى قبلة الاقتراب بالاستغفار واستنقاذهم
على حلة التقاعد برحلة الانتداب للايتمار فقال والذين اذا فعلوا
فاحشة يتوغل في محظور وتورد عليه عن تعمد او ظلموا انفسهم لا غيرهم
بتغول في مامور تغافلا عنه او تكاسلا ثم حل به الندم بعد ما زل
به القدم فاشتغل بالاستبراء عن خبث ذلك الحدث والاستفقا
عن وضر ذلك الخود بدلالة فكر تروى من عين تذيا بشعار احسان
الفضل ودثار تقوى العدل فصار صائب التبصرة صادق التفرة
حتى دعاه ما تيسر له من جمع اسباب المعذرة الى قرع ابواب
المغفرة استكافة بانامل الضراعة واستعانة بوسائل الشفاعة
ولا يخفى ان عند فسحة الاستكثار من البر ينتظم سبحة الاستغفار
للشر وقوله ولم يصروا على ما فعلوا ولا ريب ان من الحبس عن
المامور به ثم احتبس في المزجور عنه وعني بسراح سربه توقفا
للنجاح ادبه وهو قد حل كوة في مخيم الاصرار وحل حبوة عند
مخيم الاشرار حتى انقضت عليه عدة الجرائم واوفى على نشوزه
مدة المآثم فلم يزل نليا بمقامه متكيا على مرامه حتى دانه عظام
ايجاب وخانه نظام المتاب وهوى الى هوة الهوى حتى اصيب [صيب]

بزداته الردى فحق له التبار وحاق به الخسار وهم يعلمون ان من
امراد الاصرار تقض لمعاقد العزم وان الاقلاع بالتوبة عن الحوبة
وما ينوب به فيها من خلوآنا قضها ورحضا عارضها فرض لقواعد الجزم
او هم يعلمون ان من لا يرجع عن قريب بطواعية يرجع بهوى بعيد
بكراهية او معناه لم يصر على ذنب علموه دينا اولئك جزاؤهم مغفرة
من ربهم فالمسارعون يطلبون المغفرة ويأتونها فيدركونها في محالها
والمتابعون يطلبهم فتأتيهم وهم بعد في محالهم اذ الاولون اضاءهم
انوار المجاهدة في السبيل آثار المكابدة مع الدليل حتى حلوا [بانوار]
في منازل المغفرة وحل لهم مناهلها والآخرون استضاءوا
حصول المغفرة لديهم وقبول المعذرة منهم حتى رحلوا عن مواسم [المآثم]
وعدلوا عن مذلة المضلة ومزلتها الى سواء الصراط والثوا على
الرباط فصارت الموارد مصادر بل الاولون دعوا فاجيبوا والآ [خرون]
دعوا فاجابوا جنات تجري من تحتها الانهار وجنة السابقين
لم يتعدد اذ ضاق عن حصر حصر مساق مددها نطاق العدد
فقد سمعت بانه قصر عن ذرع عرضها وجميع بعضها كل السموات
والارض بطولها وهذه جنات يعبر عن نهايتها ببيان الحد
خالدين فيها والخلود جزاء كما انطوى عليه عقايده من جميل

طيبة الدوام وحسن نية المقام على مقام التوبة من غير تخيل ناقض لعارض
ولا تحول عنه بندامة او سامة ونعم اجر العاملين اذ علمهم وان وقع قضا،
لواجب شكر النعمة والعصمة لا اقتضا، للمطالب المتوقعة او الرواتب
المتطلعة اليه فالله تعالى تلطف باجراء ايات الاجر وتعطف بايتا نعمايات
الثواب وقوله وتلك الايام التي هي ظروف صروف الترفيه
بالسلوى والتنبيه بالبلوى واوقات شتات الريب وبنات السيب
وازمنة اسرار الاوامر الابلا وتخفيف المحنة وتضعيفها نداولها
بين الناس ارقا في معارج الفضل وابقى على مدارج العدل
وامالة لطول الدولة واقصا لحول الصولة وليعلم الله الذين
آمنوا اذ الايمان اذا طابقه اتساق نظم ادالة الاوليا من غير
تخلل مانع ثم رافقه اتفاق هضم اذالة الاعداء من غير تمثل دافع فلا
يتبين ان الباعث على ذلك الايمان ولا يتعين اذ ربما دعا الى
ذلك الايمان نهر موافقة مقتضى الطبع لاموافقة مرتضى الله فاذا اتفق
النصر والكسر وتصاحب الرفاهية والكراهية والايمان في الرجل
في امن من التاثر بالعوارض الحادثة وفي صون من التغير بالنواقض
الناكثة علم ان الايمان لم يشهد الا باجابة داعية من قبل الله تعالى
وانه لم يعهد بارادة ساعية من جهة الهوى ويتخذ منكم شهدا اشهدهم الله

بلطايف تحايف فضله ومزايا عطايا طوله فيكون الشهيد بمعنى المشهود
او يتخذ منكم شهدا الله اذ اسلامهم انفسهم هنالك شهادة باسلامهم
وشهادة تكفر خصمهم بالله فيكون الشهيد بمعنى الشاهد والشاهد
اذا جرحه الخصم لا يرد شهادته بل يحكم بها على الخصم والله لا يحب
الظالمين اشارة بذلك الى انه لا ينبغي ان يظن ان استيلا
الكافر على المؤمن بقتل واستعلاه عليه بصول او حول يهون
قيل نصر الكافر والظالم فان الله لا يحب الظالم ولكن احب
ان يرزقه الشهادة ولا تتاتى هي الا كذلك فيسلط عليه
حتى يمر تعالى على المؤمن مقتضية ومرضية فيقع الشهادة تمحيصا
للمؤمن من الذنوب وتخليصا له من تبعة الحساب ثم يحق
بالكافر ما يحق له فيمحقه وعن ذلك عبر حين قال تعالى
وليمحص الله الذين امنوا ويمحق الكافرين وقوله اذ تحسونهم
باذنه اي تقتلونهم محسة اي اصابة حاسة كما يقال كبده وراسه
اذا اصاب كبده وراسه واذا قتل الرجل فقد اصيب حواسه
وقوله اذ تصعدون قيل معناه تصعدون في الارض اي
وليتم مدبرين قاصدين المدينة بهزيمة اذ من ولى مدبر المصلحة
ثم كر راجعا فلا يستحق اللوم وقيل الاصعاد هو الذهاب في انحدار

كما ان الصعود الذهاب فى المكان العالى فكان للاول قصد الصعيد
وللآخر ذهاب عن الصعيد وقوله فاثابكم غما بغم اى عاقبكم بسبب
انكم عصيتم الرسول صلى الله عليه وسلم بمخالفتكم اياه وعصيانكم
امره وقوله لكيلا تحزنوا على ما فاتكم اى لتعلموا ان مخالفتكم
الامر اشد عليكم مما فاتكم من الغنيمة ومما اصابكم من الهزيمة والقتل
فلا يشغلكم بعد ذلك خوف فوات الغنيمة ولا خوف البيات
المفضى الى القتل والهزيمة مراعاة الامر بالطاعة والمسارعة
فيها بحسب الاستطاعة وقيل لا زائدة كقوله تعالى لئلا
يعلم اهل الكتاب ومعناه لتأسفوا على ما فاتكم من الظفر
وعلى ما اصابكم من القتل عقوبة على ما صدر منكم من الخلاف وقوله
وليبتلى الله ما فى صدوركم من دفاين الضغاين من المنافقين و
والانشراح للانفصاح بالخير والانكداح فى الجهاد من المؤمنين
وليمحص ما فى قلوبكم فيظهر شقاق النفاق من قوم ومصاص
الاخلاص عن آخرين اذ عبر فى تلك الحالة كل عما فى ضميره ليميز
بسيره وقوله ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة حملا يعوقه
يؤوده ثقلا حتى تتجه صعاب العقاب وينبو لدى الخطاب عن
الجواب وقد قال صلى الله عليه وسلم حين ذكر الغلول وعظمه

الا لا الفين احدكم يجئ يوم القيمة على رقبته بعير له رغاء يقول
يا رسول الله اغثنى فاقول لا املك لك من الله شيئا فقد
بلغت الحديث وكانه يشير الى النعم التى ابيحت لنا تناولها والنعم
التى ابيحت لنا تناولها لم تستحق بذاتها ولا بانفسها التعرض
لنائلة العقاب ولا التعرض فى نائلة الثواب لكنها اذا تناولها
الانسان على حسن تجويز الاذن ثم تداولها على قدر تيسر الامر
فقد استعلت لقبول راحة الثواب وان تعاطوها للاستكثار
او للاستطالة برسم الاسلال او وسم الاغلال فقد صرفت عن
سنن التحصيل على حسن المآب وقذفت فى عين التوصل
الى سوء العذاب فاذن تخاصم المغلول قبل ان تخاصم المغلول
منه فان ما تطرقت الخيانة من النعم فقد صار مادة للفجور منه
ومحلق وجادة للشهود عليه بنطق وكذلك كل ما لم يذكر اسم الله تعالى
عليه ولم يقصد به الاستعمال فى مندوب او مباح تقويا على طاعة
او توقيا عن اضاعة فقد يحرر به دعوى الخصوم ويقرر به فحوى الخصام
كما قال صلى الله عليه وسلم من قتل عصفورة عبثا يجئ يوم القيمة
فيقول يا رب سله لما قتلنى من غير فائدة فتبين بذلك
انك ان رميت الى غير غرض فقد اضللت سهمك وان تداويت

من غير مرض فقد اعللت جسمك وقوله تعالوا قاتلوا في سبيل
الله او ادفعوا فالقتال هو الحاح مساهم النكاية في الخصم ولاضاعة
قواصم الرماة وامرار الشدّ عليهم ولاحراد فيهم على البدّ سوا،
سدّوا في العزيمة متقبلين اوندّوا في الهزيمة مدبرين واما الدفع
فلان يصير حملتهم موضوعة وصولتهم مدفوعة فاذا استقام ميلهم و
استنام وتفرق شملهم وتمزق فحينئذ لابد من الانصراف و
الانكفاف وهذا الدفع يستعمل في المسلم اذ صار سائلا او متطا ولا
نحو مالا او نفس او مال المسلم وكذلك حال البغاة ومن هذا الوجه
نقول لم تقدم امير المؤمنين علي كرم الله وجهه مع البغاة الا على سبيل
الدفع والردع فانه ضرب اولا في سبيل الجدال مقالا ثم لما لم ينجع
ذهب في سبيل القتال فعلا ثم كان لا يتبع مدبرهم ولا يثخن كسيرهم
ولا يقتل اسيرهم ولا يستعمل اسلحتهم ولا خيولهم ولا يسلط يد السبي
والجبي على ذراريهم واموالهم ومن هذا لما قيل له لم تقتل ولا تسبي
فقال حتى ينظران عايشة رضي الله عنها في سهم من تقع فقالوا
كيف نسبي زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف نسبي
من كان معه زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله يستبشرون
بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم اي يطلبون السرور والبشارة بمن

تقدم عليهم من اخوانهم كما تبشر بقدوم الغايب اهله وذلك كما
قال ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين
يرغبون في الجهاد طلبا للشهادة واذا استشهدوا لحقوا بهم فيستبشرون
بلحوقهم بهم من خلفهم وقد روي انه يؤتي الشهيد بكتاب فيه من يقدم
عليه من اهله وقوله تخوف اولياءه اذا اولياؤه هم الذين
يخافون والمؤمنون لا يخافون بتخويفه او المراد تخوفكم اولياءه
او تخوّف باوليائه كقوله لتنذر باسا شديدا وقوله
ولا تحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم وان تضمن تغيرهم
خير المؤمن ليتمكن هو من اقامة الجهاد رغبة في الاستشهاد
وادامة الجهاد ومثابرة على المصابرة والمجاملة في المعاملة معهم
بالسكون في قرار الحلم والركون الى وقار العلم عند اهتياج حيش
الطيش منهم وانعياج خيل الجهل منهم فاذن ابقا الشرير اشقا
له وقد تستلزم انقاء المؤمن فيكون خيرا لغيره وشرا له ثم قال
انما نملي لهم ليزدادوا اثما واللام لام الصيرورة لا لام العلة وتقديره
ليصير عاقبة انقائهم ازدياد الاثم فكان املاءهم ابلاء عذرهم لعبرة
ما عندهم مستبعاد الخير الذي لم يكن ملكا لهم ويرد عليهم معاد الشر الذي
كان ملكا لهم فكان الكافر محيل بالخير محال عليه بالشر حتى يخلي ساحته

من الحسنات ويلي راحة من السيئات فينجي له ما سبقت عليه
من كل العذاب المهين والى ذلك اشار تعالى بقوله ما كان الله
ليذر المؤمنين على ما انتم عليه من اشتباه الاحوال محبوبها ومحجوبها
واختلاط الافعال قبيحها وصبيحها حتى يميز الخبيث من الطيب بان
يراح الخبيث عن موطن اما بانذا الكافر او الفاجر اياه او بابانه المؤمنين
رفاق وفاقه وبالغاية اياهم حق الخلة وصدق الخلة امضاء لجراية
الصدقة والشفقة ويتاح للمؤمن الطيبات الصادرة من الكافرين
والفاجرين الذين تصورت فيهم من غير تصديق في اقامتها ولا
تحقق بادامتها ولا مساعاة في مراعاتها ولا صارت مصنعتهم [مصنيعة]
وتنزلهم منزلة معزلة تعز لا كل من الطاعة منها وتاكل الحاصل
فينفض حيث المؤمنين بعضون قباله الحواله الى مجموع خبيثهم المصنوع
فيركم جميعا ويجعل في جهنم وينضاف الطيب الى الطيب ويكون
الجنة مثوى صاحبه وماواه وقوله ولا تحسبن الذين يفرحون
بما اتوا مشاهد القربات ومعاهد المبرات بدارسة اقوالها
ومقايسة باشكالها من غير مطالبة لافعالها ومحارسة لاحوالها
ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا وسناء الثناء ما يحصد جنايا المزايا
وعقائل الفضائل لا ما يفضله فحاوى الدعاوى وحنف الصلف

ومن تخلف افعاله عن مقاله فهو الملوم المذموم والممقوت [المكبوت]
لا المحمود المرفود وهو المزجور لا الممدوح فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب
او مجازة للثواب ولا ريب ان من دعي الى الصلوة اجابة فاتى
المسجد اجابة لكنه لم يصل فهو في موطن العتاب على الاتيان بغير
الصلوة والعقاب على ترك الصلوة ولهذا قال تعالى ولهم عذاب
اليم اذ الشراب لا ينجي من الغلة ولا يشفي العلة وقوله
الذين يذكرون الله قياما للطاعة وقعودا عن المعصية وعلى
جنوبهم سكونا عن الدواعي النفسانية والبواعث الطبيعية وسكنة
الى مصدوق وعد الله تعالى وموثوق عهده فحظوا في القيام بمقام
الشكر ورضوا في القعود بمقاعد الصبر فصار التحكيم بالتسليم والتحكم
بالتوكل لهم ساكنا والرضا بالقضاء لهم وطنا واذا توافق انوار
الذكر وانصار الفكر وتوافق اعمال الجوارح واحوال الجوانح
تارج هواء المثول من عرف القبول وتبرج فضاء الاقبال منه
بظرف الافضال وعذاذ ورواج طيب الهواء روحا وخصيب الفضا
كدحا ترقب الدعاء الاجابة وتقارب التقرب التقريب او يقال
يذكرون الله قياما اخذا في الامر بمجامع العزم وبذا في النهي
بدوافع الحزم اقناعا للنفس في المطالب بالضرورات واستبعاعا

فى المكاسب بالفضول فضلا على المحضورات وقعودا انتهازا
للفرصة واهتزازا بالرخصة اذ التمحض بالترخص وان لم يكن فيه
تباعد فهو تقاعد عن تشمير ساق الجد وتغير للسباق نحو الجد فاولوا
العزم والحزم اهل التخصيص بالمزايا السنايا والعطايا بالهنايا
وطلاب الرخصة اهل التخلص من اذايا البلايا وشظايا
الرزايا وعلى جنوبهم اجابة عن اهابة دواعى الطبيعة قضاء لديون
اقتضايها واداء لعيون احتظا بها تناولا لباجات الحاجات
وتداولا لاسباب الاكتساب فذاك وان عد تفجيعا لكنه لم
يكن منهم تضييعا اذ ابتغاؤهم وان كان لواعى الطبيعة فهو لمتابع
الشريعة فالعبادة دعتهم الى العادة تارة بالتعوى عن المحظور
وتارة للتعوى على المامور فتصير عادة عبادة لما تهيا بها مداخلها
وتوطأ بها مخابلها فيثاب على نومه لما صارت سببا لقوته ويتفكرون
فى خلق السموات والارض فالفكر المستقيم اذا احاطهم بعد ما احاط
به الذكر المستديم فهو احل مطية للاقبال نحو القبول وبه نازل
عطية للافضال لكن لابد للفكر من ان يكون الذكر زايده
وقايده بل سابقه وسائقه اذ سياه البداية اذا استنبطها شغفه
المجاهدة فدلاؤها ولاء المعاودة الى المكابدة وسوانيها مداومة

العكوف على معاهد الحضور والوقوف فى مشاهد الامور واذا انتها
زجاج الفكر وجعل فيها سراج الذكر واذا لم يستضى بهواء البال
بانوار الاذكار فوطئت فضاء الحال بالفكر عن عثرة او عثرة
فلربما تنكسر الآنية بحلطك او تحت خبطك فبقيت حيران حيران لا
ظرف لك ولا دهن سلبت من الذهاب وكنت لا اياب ثم
التفكر انما هو فى الخلق والرزق والزمان والمكان وانواع النظر
واوزاعها وانها لم خلقت فاذا البصرت بنظر الفكر التالى لاثر
الذكر ان الكل اوجد بوجوها لمناحج الانسان وتبويبا لمصالحه
من رزق به القوام اورفق به النظام والانسان اوجد لعبادة
الله تعالى فخلق الكل وقضى بها حق الانسان وخلق الانسان
لتقضى حقوق الله تعالى وهذا الذى عبر عن قولهم ربنا ما خلقت
هذا باطلا وانما يعد الخلق باطلا من صاد باطلا فى مضاء الحقوق
عن قضاء الحقوق وعاطلا عن حلية ادايها سبحانك ان يكون
شئ من خلقك باطلا لا طائل تحته فانك تريهم فى الابادة جواد
الاعادة وفى الابلاء مواد الايلاء ومن توقف فى محمل الحق عن
الاداء وتخلف بعده عن القضاء تكون النار جنته والثبور درسه
فيجزى عذابا ويخزى عقابا وقوله فاستجاب لهم ربهم اى طلب

الاجابة لهم من انفسهم اذ جابتك لدواعي الله استجابتك من الله
وانما تجاب كما تجيب حين تدعى فاذا تركت الاجابة حين دعيت
وتبركت بالافصاح في الدعاء والالحاح فيه فقد تمنيت حين دعيت
وثم لا دماً يا وقل يا يصير زناد الاماني ورايا وينبهك على ما ذكرنا
قوله تعالى عقيب ذلك انّي لا اضيع عمل عامل منكم اشارة الى
ان عمل العامل من قبيل الذي يتبين به اقدار الاجابة لا امل
الآمل فانك تعطى ما تسأل لكن على وفق استحقاقك لا على
قدر استرزاقك وقوله من ذكر او انثى بعضكم من بعض
قالت ام سلمة يا رسول الله لا اسمع الله تعالى ذكر النساء في الهجرة
بشيء فنزل لا اضيع عمل عامل منكم سواء كان ذكرا او انثى ومن
للتبيين وبعضكم من بعض معناه ان حكم الانثى كالذكر اذ الذكر
من الانثى والانثى من الذكر فاذا استويتم في تديّن الدين وعبرة
الهجرة وتوظيف التكليف يكونون سواءً في حساب الثواب
وقوله يا ايها الذين امنوا انفسكم من عذاب الدنيا
برسم الاسلام ووسم الاستسلام ثم آمنوها من عقاب الدنيا العقبى
بتصديق الايمان وتحقيق الايقان وانما قلنا ذلك فان الاسلام
مؤمن لك في الدنيا والايمان محسن اليك في العقبى ثم امنوا الغير بزاد

التقوى وشعار التقوى وانما شرطنا ايمان الغير في عقد الايمان من حيث
ان مؤمن النفس في الحقيقة آمن وليس بمؤمن حتى يأمن منه الغير
فحينئذ يكون مؤمنا ولهذا المسائل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي
الايمان افضل فقال من امنه الناس على مالهم واموالهم اصبروا مع الله
على الطاعة وعن المعصية وصابروا مع الخلق اجتهادا واشتدادا
على الكفار والاناة واعانة مع المؤمنين ورابطوا والمرابطة ضربان
مرابط في ثغور المسلمين هي محافظة عليها باعداد العتاد والامداد
وملاحظة اليها باعين الحارسة ونواظر الحراسة لئلا يحل بساحة
المسلمين ساحت البيات او باغت الغوات او يؤدي براحتهم
اقتسار الاعداء وانكسار الارداء والضرب الثاني مرابطة النفس البدن
فانها كمن اقيم في ثغر وفوض اليه مراعاته فيحتاج ان يراعيه غير مخل به
واذا فهمت فالاستواء على الصراط هو الرباط كل الرباط اذ الرباط
حمل الغير على الخير وهذا هو حمل النفس عليه وهو احق واشق واتقوا الله
اذ التقوى يعود كوادح العبادة بالاستسهال وتقيد جوارح العادة عن
الاسترسال وابنية صالحات الاعمال وفايحات الاحوال
اذا اسست على قواعد التقوى ورصصت بمعاقدها تصير منزلة
لركائب الفلاح عليه ومثابة لرعائب النجاح سنية ثم احال

بالفلاح على التقوى فقال واتقوا الله لعلكم تفلحون

من سورة النساء

قوله تعالى واتقوا الله الذى تساءلون به اى يسأل بعضكم
بعضا بالله فتقول اسألك بالله او انشدك الله او تطلبون به الحقوق
واشار بذلك الى انكم تامرون غيركم بتقوى الله فيكم باداء ما فرض
عليهم لما اعترض عنكم من المهمات الفادحة والملمات السانحة
فلا تدعوا ما تدعون اليه وانتهوا عما تنهون عنه وقوله والارحام
اى اتقوا الارحام اى تقطع من اصلها او تمنع من وصلها فالاول رعى
امر الحق بالتعظيم والاخر سعى فى الاشفاق على الخلق بالتنعيم ان الله
كان عليكم رقيبا يرقب لكم حفظا ان قاربتموه بوشك الطاعة فيتوكلوا
عليه عند المكاره وهو يرقبكم لحظا بالعناية اى راقبتموه بترك الاضاعة
فلا تتوغلوا فى المتابعة اذ المناهى تشوه عقبة الرقبة والملاهى
تيه فى غفل الشغل وامثال ذلك قاطعة لفوائد المراقبة مانعة
عن عوائد المقاربة وقوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء
اى ادركن يقال طابت الثمرة اذا ادركت والمراد انكم اذا خفتم
فى مناكحة اليتيمة طلا ايامها فاصبروا حتى يدركن كال نصاب البلوغ
حلا وجمال نصيب السوء حلا اذ هن حينئذ محل ان يكون على اخص

بايساق اليهن من الازواج عوالة لا يكون فى الطبع عنه حول فهو
حالتئذ عن القسوط المودى للسقوط عن مراتب الديانة ومناصب
الصيانة وقوله ذلك ادنى ان لا تعولوا اى لا تجوزوا وقيل لا تميلوا
وقال الشافعى رضى الله عنه معناه ان لا يكثر عيالكم واعترض عليه بعض
الناس فقال هبه لم يعرف اللغة كيف اشتبه عليه معنى الكلام وهو ان
الرجل اذا كان له امراتان او واحدة او ملك اليمين فهو يعولها فكيف
يكون معنى ان لا تعولوا ان لا يكثر عيالكم بل ملك اليمين ادل على كثرة
العيال لان المباح من الازواج الاربع ومن ملك اليمين ما شاء و
قال الامام ابو القاسم الزمخشرى وجه ما قاله الشافعى ان يجعل ما قولهم
عال الرجل عياله يعولهم كما يقال مانهم يمونهم ومن كثر عياله وعزمه
ان يعولهم يصعب عليه المحافظة على حدود الله وكسب الحلال ثم قال
كفى بكتابنا المترجم بكتاب شافى العى من كلام الشافعى شاهدا بانه
اعلى كعبا واطول باعا فى علم كلام العرب من ان يخفى عليه مثل هذا و
معلوم ان التسرى مظنة لقلة الولد بالاضافة الى التزوج ولذلك
جاز العزل عن السرارى بغير اذنهن واذا كان كذلك فمن خاف
كثرة العيال اكتفى بوحدة او عدل الى ملك اليمين لئلا يعجز عن
كفايتهم وقوله فان طبن لكم عن شىء منه نفسا فيه تنبيه على ان

مشابهة للاضراد النساق اذا استقل فيهن بمثابة للاجبار الحاق على
بذل نول يكون ذريعة الى انفاذ لانفاذ وشريعة الى مناص الخلاص
فنو وان طابت به قلبا فلم يطب به نفسها ومثال ذلك الحجامة عند
هيجان الدم يطيب قلبه بها لكن يتالم نفسه فطيبه النفس ان لايكون
مطية العطية اذية مصعبة او بلية منصبة وانما صدرت عن محض التطول
المتفنى عن حسن الشعل وقوله ولاتوتوا السفهاء اموالكم هم
النساء والاولاد والذين منتابهم عدم التيقظ للتدارك وقلة التحفظ
فى الممالك والاولى بهم ان يكونوا عيال للازواج وللآباء، وقد قيل
دفع رجل ماله الى امرأته فوضعته فى غير الحق فانزل الله تعالى للآية
وقوله انما التوبة على الله باتاحة التوفيق لمقتضيات قبول الله
لها واراحة التلفيق لمرتضيات اقبال العبد الى الله للذين يعملون
السوء وان كان هو فى موضعه مستقبحا وفاعله معتضيا لكن لم يتراكم
عليه للاسواء المثبطة عن التدارك ولم يتراحم فيه للادواء المورطة
فى المهالك بجهالة اما لكال المعول التبس عليهم كونه من قبيل محبطات
للاعمال او من مخيل سخطات الله تعالى او من العاملين بان كان
مصدرا لذنب فيهم عفول ملهى عن قنية للاحاطة وذهول منهى لبغية
الحياطة فافضى بهم دوام ذلك الى اجتناب المامور بطاله والى ارتكاب

المحظور

المحظور جهالة ولما سادوا خاطين نحو المنهى تضييعا وقلة تحفظ باطين
عن المامور تضجيعا وعدم تيقظ صاروا واطئين فى ورطة السقطة
قصدا وخاطئين بجرم الجرم عمدا لكن انجروا الى الجريرة جمودا او استمرارا
على التساهل عند الزجر والتثاقل لدى للامر للاجحودا واستقرارا على للانكار
وللاصرار ثم يتوبون من قريب والضارب فى لحب الحوب بشوبه و
الذاهب فى صوب الذنب بروبه اذا تاب الى الله وآب اليه
دون غاية البعاد وقيل نهاية الطراد فعفى آثار للاوزار باقدام التجافى
عن بابيت الشر ورفاخرق الخرق بازآء ام التلافى لغائيت الخير
فحرى بان يتوب الله عليه ومن عصى وقصى فى عدوه حتى عسى قالبه
وقسى قلبه فصار بحيث نبا سمعه وجمح عن قبول شهادة وعظ وللاقبال
بمعادة لفظ والطين قد يتحجر بتطاول الزمان عند مقاربة الكثافة و
مجانبة اللطافة فاذاك لو انتظر ان يصل اليه نوبة التوبة قبل ارتفاع
حواجزه عن الخير واندفاع مغامزه للشر فقد رام خطة متعبة
وسام خطة مصعبة وعن ذلك عبر تعالى بقوله وليست التوبة للذين
يعملون السيآت فقاسم فيهم سهامها وتفاقم عندهم ضامها حتى بلغوا فى الشر
نهايتهم وبلغ الشر فيهم غايته فحينئذ يرد عليهم ابواب المتاب بل يسد دونهم
انعاب للآيات وما روى عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم

فيما رواه الامام احمد عن ابي داود الطيالسي عن عبد الرحمن بن ثوبان
عن ابيه عن مكحول عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر والغرغرة تردد الشيء في
في الحلق والمخنوق اذا ايتم فتح المنفذ لينتم روح المنفذ يتغرغر بالادوية
اقتصارا على تناولها بالفم الى الحلق وليس من قصده ان يصل الى المعدة
اذ ربما تضر بالمعدة والباطن ما يمنع الخانق وينفع فيه وذلك لحارة كعصارة
قشر الجوز وتستعمل الغرغرة في تردد الصوت في الحلق يقال الراعي يغرغر بصوته
اي يردده في حلقه ويقال لتردد الروح في الحلق الغرغرة وعلى ذلك
حمل اصحاب الحديث حديث الغرغرة على تردد الروح في الحلق يعني آخر
امر كلا المرء واستروحوا في ذلك الى ما رواه ابو هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان الله ليقبل التوبة من عبده ما دام الروح
في جسده ولو لم يبق من اجله الا عشر فواق ومن المحتمل ان يكون
المراد من الحديث ان المرء اذا رام ان يستعمل من التوبة اقوالها
ببيان اللسان دون ان يستكمل افعالها بالجوارح ويستنزل احوالها
في الجوانح فلا ينتصب نيل التوبة غرضا لسهم قبول الله ولا يكتب عرضا لصالح
لشوم اقبال العبد به الى الله كما قال صلى الله عليه وسلم كالاستغفار
من غير اقلاع توبة الكذابين ويؤيد ما ذكرناه سياق الآية وقوله

هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة الى قوله يوم يأتي بعض آيات
ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها
خيرا واما قوله يقبل التوبة من عبده ما دام الروح في جسده
ولو لم يبق من اجله الا عشرون فواق فذلك اذا كان من كان
الموت في مجانبه من وقته لا في معاينته كان الظن اذا صار
يقينا فكما فاته في نفسه التمالك فقد فاته التدارك وقوله
وان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه والاجتناب زايد على الترك فان
من ترك الكبائر لكنه قاربها بمباشرة اسبابها وممارسة
جراذبها فهو وان كان تاركا فليس مجتنب ولا يخفى ما يدرك الدواعي
يبعث المساوي ومن يرتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه والصغيرة
اذا اصر عليها مرتكبها حتى استقرت اصولها واستعلت فصولها
ثم استمرت فروعها واستدرت ضروعها فهو وان كانت صغيرة
فقد صارت كبيرة وقد قال صلى الله عليه وسلم لا صغيرة مع الاصرار
ثم الكبائر منتجة للصغائر فاذا اندفعت الكبائر فلا بد وان تندفع
الصغائر اذ هي كالرواضع والكبائر كالمراضع وبقاء الذنب بالذنب
كما ان بقاء الحسنات بالحسنات واذا صارت السيئات مكفرة
فلا جرم يدخل مدخلا كريما يتسهل له من الخيرات صعابها ويتملى

عنده من المبرات فعابها اذ تعذ الخير وتعسره من شوم وضع الشر ولوم وقعه وقوله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض اذ التمني بتفصيل المسائل اذا لم يكن مستنده التعني في تحصيل الوسائل لا لحصل منه الا اليأس والا الابلاس ولهذا يستعمل التمني بمعنى الكذب وكذلك يستعمل التمني في القراءة العرية عن العلم بموجبها وقد قال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى الاية والتايق المايق الذي يمتز بتشيد اغاني المعاني لاماني او بعير توليد الجشع من الطمع من غير انتساب الى الاكتساب يكون دليل الطلب او استشهاد اجتهاد تجعله سبيل الرغب فهو لا يظفر مطلوبه بذواق ولا من مرغوبه بغراق ونبه على ما ذكرنا بقوله للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن اي من رام التخصص بجسم الفضائل والتمحص بكريم الشمائل فلا بد له من اكتساب الذرائع على نهج الاحتساب في الشرائع حتى يجوز الخطايا ويفوز منها بالمراتع والصفايا وقوله واسألوا الله من فضله اشارة الى ان استدعاء النوال بالسوال العري عن الفعال قلما يجدي وكثيرا ما يكدي ويدلك على ذلك قوله عليه السلام لمعاذ من صلى الصلوات الخمس وصام رمضان وحج البيت لا ادري اذكر الزكوة ام لا كان

حقا على الله ان يدخله الجنة ان يا رضه التي ولد فيها او هاجر في سبيل الله فقال معاذ افلا اخبر به الناس قال ذر الناس يعملوا فان في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض فاذا سألتم الله فسلوه الفردوس فانها اعلى الجنة وافضلها ومنه تفجر انهار الجنة وفوقه عرش الرحمن عز وجل فبين ان سوال الفردوس بالعمل فان الفردوس عبارة عن جنة مشتملة على جميع انواع الاشجار مستكملة لانواع الثمار وفيها مخارف بل مقاطف جميع المشابه من الفواكه بحيث لا يشذ عنها فذ ولا ينجد عنها لذ وكذلك كل ذلك من مستنتجات استيعاب صالحات الاعمال واستيجاب فايحات الاحوال ويؤيد ما ذكرناه قوله عليه السلام الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقوله وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ينبغي ان يكون مطاعا عندكم اذا تكلم بامرنا ولنا فيكون مطاعا عندنا اذا تكلم باذننا لكم فيطيعه فيكم كما اطعتموه فينا وقوله وتسلموا تسليما اشارة الى ان التسليم الحكمي اسلام واستسلام يستفاد به نظام المصالح وقوام المناجح في الدنيا وهو قاصر اذ لو امتنع عنه لا جبر عليه قسرا وقهرا بل لا بد من التسليم الانقيادي

الذی هو الایمان و الاستیمان الذی یستزاد به سنایا المزایا و
رضایا الخطایا اذ بذلک یظهر اثر الرضا بالقضا وقول
ومن یطع الله والرسول اقداما لدی الامر واحجاما عند الزجر
فاولئک مع الذین انعم الله علیهم فانهم وان لم یستحقوا ادرار جزیل
الانعام وامرار جمیل الاکرام تاثلا بما اتوا به من المطاوعة فقد
استحقوها تطفلا بما اتوا علی سبیل المتابعة فبالتوجه علی نهج التشبه
تخلصوا من حرمة المفارقة وبالاستقبال نحو الامتثال حصلوا (بحرمة)
المرافقة من النبیین والصدیقین والشهداء والصالحین فانهم و
ان تعددت منازلهم فقد توحد مراحلهم فمن استشهد جهده لابرام طاعات
الاحسان رعیلا عن نفسه بالادتوا من مسارع الشکر والادعوا
بموانع الصبر وسعیا فی ابنا جنسه امرا بالمعروف ثم استنفد وجده (فی)
احکام رباقات التقوی سدا فی طریق الاکتفا بالضروره عن
الفضول وعقدا الوثیق شهود الرضا بمر القضا فهذا هو الذی
قد اطاع الله موافقة للنبیین فی الخلق ومرافقة لهم فی الطرق
فیکون معهم فی مشارف المزالف وفی موقع طاعة الشفاعة و
من وافق الصدیقین فی طاعة لله وتباعة الرسول فانبعث
بالعزیمة النافذة فی المسالک والصریمة الجابذة الی المناسک

للتفصی

للتفصی عن عهدة المقتضیات صرفا وعدلا والتقصی فی عدة
المرتضیات فرضا ونفلا فسلک للسباق سبیلا واتبع للحاق
دلیلا حتی صار بذلک الوفاق للانبیاء ان میلا اذ الصدیق یقرب
من الغایة وان کان یضعف عن النهایة وذلک لانه وان امتد
ذراع الصدیقین نحو الجد فقد اشتد باع النبیین بالجد علی وجه یقصر عنه
ایدی اتباعهم ویقصر دونه ایدا اشیاعهم ولکان مقام النبیین (حال)
للصدیقین فهم مع النبیین لحکم الحال لا فی جمیع الاحوال و
لا یخفی ان التوسل بالافعال یورث التوصل الی الاحوال
فیحصل للصدیق من وفق الصداقة الظفر برفق الرفاقة و
من ابتغی فی صوب صواب الطاعة الفوز باصالة العدالة
وابتغی لدی من قصد جناب الاستطاعة حوز قوة المروة وعلیها
اساس الشهادة تحلیا لادائها وبها مراسها تحلیا بالقضاء بهما فمن اسلک
الشهداء واصلهم فی شهادة لله ولعباده علی نفسه وعلی خلقه بموجب
تعظیم الامر وتفخیم الاجر وروابت الصدقة والشفقة بالحق علی الخلق
فصار شاهدا ومشهودا وقابلا للحکم ومقبولا فی الحکم لما ساکلهم مطاوعة
عادلهم مرافقة ومن تحری مظنة النجاح فی اثماره فجعل شبکتها
میمنة الصلاح فی ایراده واصداره واذا کان نشره مع الصالحین

كان حشره مع الصالحين ويزيدك بيانا لما ذكرناه ان المصاب
تاذى في نفسه اذا راقب العدل وجانب الميل فلم يتعد في المجازاة
حد الموازاة فذلك سبيل الصالحين وهو مطيع لله تعالى فان الله يامر
بالعدل فان عفى عن النفس على مال او رضي عن الكل بجزء فذلك
سبيل الشهداء وهو مطيع لله فكانه شهد الله تعالى حين اخذ ببعض
الذنب وعفى عن الكثير او شهده الله تعالى حين وفقه للرضا بما دون
حقه وان عفا مطلقا من غير ملاحظة الى عوض او محافظة لغرض فذلك
سبيل الصديقين اذ ترك معاملة الخلق لمعاملة الله تعالى كما قال
تعالى فمن عفى واصلح فاجره على الله ومن عفى وصفح ومنح المؤذي
فضلا فذلك سبيل النبيين والله تعالى كما امر بالعدل فقد امر
بالاحسان فانتهاز فرص الوحض طاعة الله لكنه من وسائل
الخلاص ودلائل المناص والاهتزاز لدى العزم بالجزم هو ابتغاء
وجه الله تعالى في مراضيه حيث تقاضيه ثم ما نختم به الكلام في الاية
ان المرافقة مصاحبة في السبيل ولا يلزم منها المصاقبة في المنزل
ولا ريب ان الانبياء وان تمسكوا بالعروة الوثقى في قبول الامر
وتملكوا الذروة العليا في ايجاب الاجر فلم تخل احوالهم واعمالهم
واقوالهم عن متداول الصالحين ومتناول الشهداء ومتطاول

الصديقين فلهم ما للكل وان لم يكن للشهيد والصالح ما للصديق
وكذلك للمحسن ما للمتقي والمؤمن والمسلم وان لم يكن للمسلم ما
للمحسن واذا تقرر ذلك فلكان الصالح له تسهل مدارج الاسلام
والشهيد له تذلل مناهج الايمان والصديق له توقل معارج الاحسان
والنبي له وشايح القرب الذي ليس وراءها مطمح ناظر او موطئ
قدم قادم قوله الم ترى الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم بنقيض
التناهي عن الخوض في المناهي تمدوا ببسط اليد وحوط الايدي
للابتدار الى الايتمار اذ الكف والعف بدان بهما يقوى التقوى
وبهما تدان الى التمسك بعرى الاحسان والتملك لذرى الاحسان
بل الكف كما هو مستدفع الحاجة فهو متوقع الراحة وهو اداة الاناة
وعذار الحذار وهو قيد الحزم وبه ايد العزم وذلك لان
تكرمة الاستشراف لانالة الهدية انما يستجد عند تقدمة الانكفاف
وازالة الاذية والحان التقوى طهور والاحسان صلوة و
لا يقبل الله صلوة بغير طهور ولا صدقة من غلول ولهذا
عقبه بقوله واقيموا الصلوة تنبيها ان متداول الخير والشر بالنسبة
الى اليدين وعلى وتيرة ومتناول السيئة والحسنة منهما
على مسيرة اذ استتباعة الاستطاعة للامرين مدركة بالاحساس

لا بالاحداس ويتعدما سعاصر الشمائل عن المناس والملاهي انتقاعن
مصادر الجرائر سطاول الايان لاقتطاف جنايا الحسنات واستطراف
مزايا الخيرات التقاء المواد و الاحسان ثم لابدان سارحة لسطى في
سرحها باجاتها وكادحة ليقضي بكد حها حاجاتها ولاسؤال مكادح يكدح
فيها الابى والعاشى ومسارح يسرح فيها المواشى والحواشى وكل ذلك
لاستبداد يون العادات واستيفاء شؤنها وعيونها ثم فيها بين
ذلك كالمخاوف ومتالف لابد فيهما من خفارة التشيث بالتحنث
واجارة تعود التعبد اذ بالوظايف البدنية يتيسر الاجازة في المسالك
وبالعواطف المالية تتصور المفازة لذى المهالك ثم من جعل
له التوخي والتنقى من الشر ثم توسل بل توصل بالتلقي للخير الى
التعالى نحو المعالى فلا غرو ان يدعى الى الترقي عن بذل المال
وشغل النفس جهدا الى المخاطرة بالارواح والمغامرة بالاشباح
جهادا حتى يتبين ان ما تعاطاه لم يكن بملاحظة الى حظ النفس
ولا بمحافظة على شيء بل كان ذلك لاجابة داعي الله وقد قيل
والجود بالنفس اقصى غاية الجود ولهذا لم يحمد المتقاعد بتخلفه عن القتال
مع تشوفه الى الامتثال فقال فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم
يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية اذ الجزء داع الى الكل كان الكل

داع على الجزء فاذن لابد من استيعاب جميع اجزاء الامر في استجاب
كل الاجر وبه يتم نصاب النصيب ويرتفع نقص الوقص وقوله
وان تصبهم حسنة درت وبرت من خصب واسع وطيب رائع يقولوا
هذه من عند الله اذ علموا انهم لم يستحقوها وانما هي لازال فضله وعلا
طوله ما استدرها بارق كسب ولا لايق حسب ومع ذلك لم يتقابلوها بجميل
ستقيم ولم يحاولوها بجهد سديد لما بل عدلوا عن جالب السكون
الى سالب الكفور فتحولت النعم نقمة والحسنة سيئة وحل بهم واقعة الحدث
ثم نزل بهم باقعة الذنب فاحالوا محالا على غير محال عليه تطيرا واما لوا محالا اليك
تنكرا وهي من جنايا جناياتهم وجرام اجرامهم فانه لما تراكم عليهم سحاب الاوزار
امطرت عليهم مطر السوء ولما تساهم فيهم داب الا رضاد صاد ايامن
السوانح اسائر ثم البوارح ثم قال قل كل من عند الله لكنه اجرى جريات
الحسنات من قبل ان ينجزها الكتساب او يقبضها احتساب وامضى سرايات
السيآت بعد ما قروح الايام وجروح الاجرام انماوا صحافاذن الحسنة
والسيئة من قبل التقدير من الله لكن الحسنة عايدة من الله والسيئة
عايدة منك اليك ولهذا اعربهم بقوله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون
حديثا يعقولونه من غير تدبر لمعانيه او تذكر لمبانيه اذ الفقيه النبيه
هو الذي يستدل بالموجب على الموجب وشانه ارسال سهام النظر

من قياس العلم بمراسم الفهم وابتناء الفروع على الاصول واجتناء الثمر
على من المثمرات وقوله ما اصابك من حسنة فمن الله اذ هو
الاول المبدئ لحديك بالمنحة هو من سح سيبه ورشح وهبه وما
اصابك من سيئة فمن نفسك اذ هو الاخر المعيد يرديك بالمحنة انت
فهي على حسب كسبك اذا انت استقلت الشمائل في امترا اخلاف
الالطاف فيبدل الخير شرا بيدك وكان من حقك ان تستعمل الايمان حتى
تحصل لك الخيرات على ما هي عليه من غير تبدل وتحول وطعن بعض الملاحدة
في هذه الآية متقولا ان في الآيتين تعارضا وتناقضا وهو ظاهر الوهن
فان الحسنة والسيئة من الالفاظ المشتركة كالحيوان الذي يقع على الانسان
والفرس والحمار او من الاسماء المختلفة كالعين ولو ان قايلا قال الحيوان
متكلم والحيوان غير متكلم واراد بالاول الانسان وبالثاني الفرس والحمار
لم يكن متناقضا وكذلك اذا كان قال العين في الوجه العين ليست في
الوجه واراد بالاولى الجارحة وبالثانية عين الميزان او السحاب او غيرهما
فكذلك في الاية اذا اريدت بالحسنة والسيئة غير الذي اريد بهما في الاولى
وقد هلك القدرية بالاية بالاخيرة وذلك بجهلهم بعلم العربية فظنوا انه ابتدا
شروع وبيان من الله تعالى وقد احكم الله تعالى ابتدا شرعه باول الاية
فقال قل كل من عند الله فقال ما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما اصابك

من حسنة اي لا يفقهون الحديث الذي يقولونه فكان قوله ما اصابك
من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة حكاية لقولهم وبذلك علي لك
مصحف عبد الله بن مسعود فانه فيه فما لهؤلا القوم لا يكادون يفقهون
حديثا قالوا ما اصابك من حسنة وقوله ولولا فضل الله عليكم
ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا فقوله الا قليلا متصل بقوله لعلمه
الذين يستنبطونه منهم الا قليلا وسايغ ان يتوسط الكلام بين المستثنى
والمستثنى عنه وقيل هو متصل بقوله واذا جاءهم امر من الامن او الخوف
اذاعوا به الا قليلا وقوله من يشفع شفاعة حسنة اي من تحرك
بشفاعة للمؤمنين عند الله او عند الناس الحسنة ككف حاجة او كف
راحة فله نصيب شامل ونصاب كامل منها من غير ان يتطرق الى فرضه
عول ولا الى عرضه غول ومن يشفع شفاعة سيئة يتحرى بانضمامه الى غيره
سيئة معصية او توصية بها فله كفل منها فالكفل هو ما اكتفل به الراكب
ويقال الكفل الكفيل اي من فعل مثل ذلك فقد نصب كفيلا من فعله على
نفسه يسلمه الى الهلاك وقد قيل من ظلم فقد اقام كفيلا بظلمه تنبيها على انه
لا يمكنه التخلص من عقوبته وقوله واذا حييتم بتحية فالتحية قضا بالحيوة
للمحيي او دعا بما هو سبب لها اخبارا او اقتضاء للحيوة او اسبابها دعاء واصل
التحية ان يقول حياك الله ثم جعل كل دعا تحية لكون جمعه غير خارج من اقتضا

لماذكرنا ثم قوله التحيات المباركات الصلوات الطيبات
لله فالتحيات هي الصرايح في الاثنية والمعاريض في الادعية فان بالتحية
يعبد للطلب مسالكه ويتمهد للمطلب مداركه فهي من توقيعات السعادة
التوقعات ووسائل المسائل والصلوة هي الادعية وهي افصاح بالاستنجاح
وان كان فيها تشييد مرفوع بناء الثناء وتمهيد موضوع شرح المدح فمن
دعاك او سالك فقد اعترف لك بالكرم او القوة او القدرة وهذا هو
حقيقة الثناء فاذن التحيات باجمعها لله تعالى صدرت منك او وردت
عليك فاذا حياك احد فاعلم انه محييك ومتحييك فكن له مجيبا قولا او فعلا
واليه منيبا حالا ومقاما اذ هو مستحق منك الجواب والاجابة على التسبيب و
الترتيب كما انه مستحق منك على ما هناك وهناك واذا حييت احدا سواه
فهو المستحق للتحية فاذا جعل المحيا كالقبلة يستقبلها الساجد لكن السجود
لله وقد صرح بمثل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مما حكاه عن الله
تعالى بقوله استطعمتك فلم تطعمني استسقيتك فلم تسقني استكسيتك
فلم تكسني الحديث وعن مثل ذلك عبر الشاعر بقوله

اذا نحن اثنينا عليك بصالح فانت كما نثني وفوق الذي نثني
وان جرت الالفاظ يوما بمدحة لغيرك انسانا فانت الذي نعني

ولذلك امر الصلوات ثم التحيات المباركات التي لا ينقطع امدادها ولا تحصى

اعدادها وهي لله اذ من حياه الله لابد ان تتواصل عواطفها وتتراكم
لطايفها ومن حيي لله كيف يمتنع اوراده او يندفع اشهاده وكذلك
الصلوة كل ما طاب منها وصاب اداء واستبداء فهو لله تعالى وقوله
فحيوا باحسن منها اوردوها فمن انواع التحية بالاحسن ان تستعمل ما حييت
به من رغائب المواهب في التعظيم لامر الله اقامة لمواجب العبودية وادامة
لرواتب العبادة فان لم يتيسر لك التحرك لنيل ذرى التعظيم لامر الله تعالى
والتمسك باصل عراه فرد ما حييت به على من يأتي منه المحبوب ويتأدى
على يده المطلوب سوقا على ابهاج الصداقة بالحق ورفقا على منهاج الشفقة
على الخلق فيكونوا لكم وكلاء في تدارك ما تشوقتم اليه وتلافي ما تخلفتم عنه
ثم يصيروا لكم شهداء عند الله بحسن القضاء والاحسان في الاداء اذ هم وكلاء الله
وخلفاؤه في استيفاء حقوقه والاقامة على سوقه فاذا لم يستعمل ما اتيح له
من تحايا العطايا وسنايا الهدايا في تحصيل مواجب الامر طلبا لتفصيل
مراتب الاجر ولم يستاثر بها من ينصور منه ذلك ولم يسامر بها مع من
يتيسر له ذلك فهو قد اضاع ما اشاع الله تعالى عنده من نعمه والله تعالى
هو الحسيب على كل شيء فيجري على الكفر في الدنيا بارزاء المصيبات وفي الاخرة
باجزاء العقوبات ويعم على الشكر معالم دنياه وعقباه وعوالم مسيره
ومصيره فيكون شاكرا ومشكورا وقوله فتحرير رقبة كفارة لقتله المؤمن

وانما لم يذكر الدية فان المؤمن لا يرثه الكفار وقومه كفار فلا يرثونه
وقوله ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم
مرضى ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم فالسلاح والحذر وان كانا
يستعملان بمعنى واحد لكن السلاح يشبه انه ما يحدث في العدو
نكاية ويورث سراية كالآلات الجارحة من السيوف والرماح
والنصال والحذر ما يتاتى منه او به او فيه الحذر من الاسلحة والامكنة
وغيرها وكانه هو ما يستدفع به الاذايا ويتمنع به عن الرزايا ثم وضع
السلاح منفى الجناح عند اندفاع وجوم هجوم العدو وفي اخذ الحذر
تامن انت من العدو واذا فهمت ذلك فالتقوى بمثابة الحذر
والاحسان بمثابة الاصل لان السلاح وذلك انتهاز فرصة الرخصة
في ترك الاحسان بعجز شاق او عذر حاق والتقوى فيما يجب ان يصان
ويتق عزائمه واتق صرائمه عن ان يتطرق الى معاقدها الانحلال
او الى قواعدها الاختلال اذ وظايف الاحسان تغنيها عن التعيين
واقدارها تاتي عليها الاحصاء واقطارها يبليها الاستقصاء وعواطف
التقوى تستغرق الازمنة وتستوعب الامكنة قضاؤها لا ينتقص ومضاؤها
لا يتبعض واستقامة الاستدامة لها مما لا يجوز العدول عنها واذا لم تات
انت الخير احيانا فلا تدع الشر ان ياتيك في كل حين وقوله

ليس باماتكم ولا اماني اهل الكتاب فاغاني الاماني مما لا يحمد وقعه و
يذم انقاعه اذ مباديها ربما يطرب ويونس لكن تماديها ربما يحزن
ويويس وجماعة طاعتها مفرقة ورضاعة تباعتها محققة وشجرها ليس
بعريق ولا وريق وثمرها ليس لو بنيع ولا ديع وقوله من يعمل سوءا يجز به
اما في الدنيا برادع يردع استقرار وارد الذنب ومانع يمنع من استمرار
قاصد السوء من مرض مشوه لامر العاجلة يطهر او عرض منبه للآجلة
يكفر وتكون المصيبة كالراحلة للحالة والغاذلة للنازلة فلا يتمكن صاحبه
من السوء ولا يتمكن من صاحبه السوء وذلك للمؤمنين واما في العقبى
بعذاب واصب وعقاب ناصب يقطع الاواصر ويعجز الناصر وذلك الكفار
كما روى ابو عيسى في سننه عن عبد الله بن حميد عن روح بن عبادة عن عيسى بن
موسى بن عبيدة عن مولى بن سباع عن عبد الله بن   انه قال سمعت
الصديق رضي الله عنه يقول كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت
عليه هذه الآية من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا
فقال صلى الله عليه وسلم يا   الا اقرئك اية انزلت علي قلت بلى يا رسول الله
فاقرانيها فلا اعلم الا اني وجدت انقصاما في ظهري فتمطأت لها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شانك يا   فقلت بابي انت وامي
واينا لم يعمل سوءا وانا لمجزيون بما عملنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

اما انت يا   والمؤمنون فتتجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله
وليس لكم ذنوب واما الآخرون فيجمع ذلك لهم حتى تجزوا به يوم القيمة
وقوله ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا
فالصدود والصد اذا اقترنا وتساكنا اورثا راكب متونهما وصاحب
فنونهما جهلا تندرس فيه آثار الدراية وضلالا تنطمس فيه انوار الهداية
اذ الصدود غيبة منمية والصد خيبة مصمية والصدود كالاغماء الذي يتوقع
عقيبه الافاقة والصد كالافناء وقوله ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله
ليغفر لهم اذ الكافر اذا اخل بمواجب التعظيم لامر الله لكن لم يمتزج بكفره
شوائب ظلم الخلق ونوائبه فهو محل ان يرجى منه الاجابة عند الانابة فانه
وان ظلم نفسه فلم يظلم غيره وجناب العزة موضع العفو عن الزلل والزلو
لدى الخلل فاما اذا تراكم الكفر والظلم وتصادما فلا يبقى عند اجتماعهما
للرجاء مطمع ولا للنجاة مدفع ۞ ۞ ۞

من سورة المايدة

قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا انفسهم من عذاب الله بالايمان له
والائتمار لدى الامر والزجر وآمنوا غيرهم عن ان يصيبهم من جهتهم بائقة
اذى تحدث نكاية لم تقتضيها بدو العدد او طارقة شذى يورث شكاية
لم يستوجبها حسب الكسب اذ الايمان ابرأهم من سل الغل كما قال تعالى

يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين وقال عليه السلام المؤمن من امنه
الناس على دمائهم واموالهم كونوا قوامين لله فالقوام هو الذي تكرر منه
القيام لله وبالله حتى صار ذلك شانه الذي زانه فلم يحل عن مقامه
ولم يزل في مقامه فلا ينبوه التحول بتبدل الاحوال من الصحة والسقم
والراحة والالم والرضا والغضب والغنى والفقر والسراء والضراء
والامن والخوف فهو لا يعدل عن قيامه بالله ولله بل كما يقوم بنفسه
بذلك يقيم غيره فينهض القاعد ويقيم الآيد والله تعالى لما نزه جناب
عزته عن حوادث التحول وبواعث التبدل هو القائم بالقسط لم
يزل ولا يزال لكن العبد لما كان عرضة للتغير وفرضة للتاثر
لم يمتدح الا بتكرر ذلك منه حتى لو قام لله في بعض الاحوال ونام عنه
في بعضها فهو وان اجمل لكنه ما اكمل فالاخلال مظنة الازلال
والاهمال بيدي مينة الابطال وقوله شهداء اذ القوام لله
اذا لم يكن شهيدا على نفسه او على غيره فلا يفيد قواميته ابرام قضيته
ولا اتمام حظيته تفضي الى فصل خصومة وحكومة وغير القوام اذا
كان شهيدا فشهادته مدفوعة غير مسموعة وقوله بالقسط
فالقسط هو النصيب كالنصف من الانصاف والنصفة والقسوط
والقسط بفتح القاف طلب قسط الغير واخذه وهو جور قال تعالى

واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا والاقساط ترك حظ النفس و
بذله قال تعالى واقسطوا ان الله يحب المقسطين ثم القيام بالقسط
لله هو ترك حظ النفس بل بذله لله واذا كان ذلك به لا للنفس
فلا يترك ذلك كادث او باعث حتى يصير قواما لله في جميع ماله وما عليه
وقوله ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا فملازمة العدل
عند الشنآن اشد من ملازمة القسط عند الوداد وقوله اعدلوا
هو اقرب للتقوى اذ اتى التقوى ملازمة العدل في القصاص
فالمجاوزة عن العدل ظلم والرضا بحقه عدل وهو الى التقوى قريب
اذ لولم يزعه تقواه لافضى به الشنآن الى مجاوزة الحد في المستحق
فالرجل اذا عدل فقد قرب من التقوى لكن وراء العدل منزل
هو اقرب للتقوى من منزل العدل وذلك هو منزل العفو
قال تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وراء العفو منزل آخر
هو اعلى درى التقوى وهو مكافاة السيئة بالحسنة كما قال
صلى الله عليه وسلم احسن الى ما اساء اليك وذاك هو الاحسان
الذي ندب اليه الانسان وهذه المرتبة في التقوى هي التي تقارب
مرتبة الاحسان الذي يحب الله تعالى التحلي به ولهذا جمعها في قرن فقال
ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وهذه المرتبة هي المامور بها

عند ختم الآية حين قال واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون و
قوله فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم قال النحويون ما زايدة زيدت
صلة ولعلها زيدت تفخيما وتعظيما فان لعنهم لو وقع بهم باول العوض
لاسباب النقض لقال نقضهم ميثاقهم ولما زيدت ما دل على التعجب
لعظم نقضهم ميثاق الايتمار وجسيم رفضهم ميثاق الابتداد اليه من وجوه
شتى وعلى نحو من ذلك قوله فبما رحمة من الله كانه عبر عن
ترادف رحمة الله وتضاعف رحمة نعمة لديه بلفظ ما ومن هذا القبيل
يقال ما احسن زيدا فان لفظ ما عظم حسن زيد ثم نقضهم الميثاق هو
بالوشك في المزجور عنه والترك للمامور به ومن مرآة الخذلان
ومرآة الزلات ان يصير طريدا على مهابط توفيق الحد وشريدا عن
مرابط تلقين الجد فانه لما انف القيام بالوفا تدرعا بما عهد اليه
وتوقعا لما وعد به والف المقام على الجفاء تشبثا بمنقود منيته و
تمتعا بمرفود عنيته لا رجا بواديه يحمله على الحزم عند وارد كامر لا خوف
ببواديه مرحله للحزم عند ذاك الزجر فقد مني بلعن يسترسل به
سرحه نحو المهاوي وعتق بطعن لا يندمل جرحه مع التداوي و
قوله جعلنا قلوبهم قاسية عاسية اذ كانت قوالبهم عاصية
قاصية ولما صادت جوارحهم جوامح عن قيد آبدة الطاعة وطرد

عايدة الاضاعة وكانت انفنا اعضائهم خلية عن دابر قبيل الاحتمال
ابية عن الضرب في سبيل الامتثال ونبا جمهم عن استماع شاهد
انذار
لفظ والاجتماع لوارد وعظ صادروا بحيث لم ينجع فيهم اعذار ولا
ولم ينفع لديهم ابشار فاورث كل ذلك عدوى القساوة في القلوب
احدث شكوى الغشاوة في البصيرة وقوله يحرفون الكلم عن
مواضعه ووضح ان حرف الشيء طرفه كحرف السفينة وحرف السيف
وحرف الجبل وحروف الهجا اطراف الكلم وناقة حرف يقال تشبيها
بحرف الجبل او تشبيها في الدقة بحرف من حروف الكلم والحرف عن كذا
وتحرف اي صار منه الى طرف والاحتراف طلب حرفة للمكسب
والحرفة الحالة التي يلازمها في ذلك نحو القعدة والجلسة وتحريف
الكلام ان تجعله على حرف من الاحتمال معدولا به عن سنن وضعه
ومعلوم ان الله تعالى انزل في التورية كلمات هي مصرحة بالوصف
في الموصف محمد صلى الله عليه وسلم وموضحة بان دينه الناسخ لعقود
الملك الفاسخ لعقود النحل وانه الخاتم الخاتم للانبيا وكتب فيها
ايات يستنار بها لدى ظلماء الفترة ونصب فيها رايات يستجاز
اليها عند عمى الحيرة ليستدل باعلامها في مهامه التلبيس ويستقل
بعلومها عند لهاله التدليس فحرفوا عن مواضع الافهام الى مواقع

لا ابهام وبالابهام وصحفوا في رقم النعت ورسم السمت فعدلوا عن
التسمية الى التمنية وجعلوا الدجال دليل سبيلهم وجميل قبيلهم بل
دلال سيرتهم وحمال ميرتهم وكتموا المبين من اصناف اوصاف
محمد صلى الله عليه وسلم وقد تارجت الآفاق من اريج اعراقه وتبرجت
العوالم بتهييج اخلاقه ووصوا المعين من زينة سكينته مع
تلالؤ بريقها وتراءا ابيقها وظهر وابدل رونق احواله رثعا وجعلوا
جمل وفق افعاله لا قواله فرقا هذا هو التحريف في الالفاظ وايضا
فقد بعث الله النبيين وانزل معهم الكتب ليدعوا الخلق الى تلقي
جماعة الطاعة ترغيبا ما وافقت الاستطاعة ويأمروهم بالتنقي عن
شناعة الاضاعة ترهيبا وذلك ليشتغلوا بتحصيل درية التزجية
باتمام آلات التزجية من الاحسان ويتكلوا تفصيل اهبة
التنجية باحكام ادوات من التقوى بحيث لا يبقى من الخير شاذة
ولا فاذة الا اوهم بصدد التحلي بهما مع خشية لازمة لا ينقطع
امدادها ولا من الشر لا كبيرة ولا صغيرة الا اوهم على جد التخلي
منهما مع رهبة دائمة لا يندفع اعدادها فحرفوا مباني هذه المعاني
واستمروا اساس الارجاء بتخييل غير صادق واستثمروا اغراس الاماني
بتمثيل غير مطابق وفتحوا باب الاشتباك والاشتراك في الماثم

وحددوا اناب الانهماك في الجرايم وتنوهموا بانيوتهم قواعد الحزم
ويوهي معاقد العزم تصريحا وتعريضا وتمسكوا بما يورث الاجترا على
المعاصي والتواصي بها ويحدث الازدراء بالطاعات المستطاعات
وستندارا ايهم اهوائهم التي تعودوا ابلا تقيدوا بها بتاويل
من التاميل وفنون من الظنون الكاذبة التي لا فرع لاصلها
ولا ريع لفصلها حتى نسبوا نسبة الذنوب الى الانبياء الذين طهرهم
من الانجاس وزكيهم من الارجاس وجعلهم منازل العصمة ومناهلها
ووسائل الرحمة ووسائلها صلوات الله عليهم اجمعين وهذا هو تحريف
المعاني ويؤيد ما ذكرناه ما روى ابو عمران التجيبي انه قال كنا
بمدينة الروم فخرج الينا صف عظيم من الروم وخرج اليهم
المسلمين مثلهم او اكثر منهم وعلى الجماعة فضالة بن عبيد وعلى
اهل مصر عقبة بن عامر وفي القوم ابو ايوب الانصاري فخرج
رجل من صف المسلمين حتى دخل على صف الكفار فناداه الناس
من كل ناحية وجه يلقي نفسه بيده الى التهلكة فقال ابو ايوب انكم
تاولون هذه الاية هذا التاويل وان هذه الاية نزلت فينا
معشر الانصار ان الله تعالى لما اعز الاسلام وكثر ناصريه قال
بعضنا لبعض سرا لو اقمنا في اموالنا فاصلحناها فقد ضاعت فان الله

قد اعز الاسلام وكثر ناصريه فانزل الله تعالى على رسوله برد علينا
وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة فكان القانا بايدينا الى
التهلكة اقامتنا على الاموال واصلاحها قال فما زال ابو ايوب شاخصا في سبيل
الله حتى دفن بارض الروم فدل ان العدول عن انهاء فرض العزائم الى
الانجياز بالرخص من غير استشهاد بمعقول صحيح او استناد الى منقول
صريح تفسير بالراي الذي هو مادة الخطاء والخطل وعليه جادة الزيغ
والزلل ونسوا حظا مما ذكروا به قناعة ببضاعة الطاعة قصورا وبشاعة
بجاعة التباعة فتورا واكتفاء بتوقيف حفظ اللفظ واستغناء بتوظيف
اناوة التلاوة من غير اذا لطوق التذكر وقضاء لحقوق التدبر
ذاهلين عن ابتناء مباني التخلق بمقتضاه غافلين عن الاعتناء
بمعاني التحقق بمرتضاه راضين بلذاذة الاملاء عن بذاذة العمل
خاطين بنيل السول وثمل المسؤول فكانما اخطاهم الحظ او حظوا
الوعظ وخانهم الجد بما خانوا الجد ومن تخلف عن قصد المطلوب
تشوف اليه حد المجنوب وكلما قطع منه علق من صدق الامانة
طلع منه عذق من عرق الخيانة فذلك قوله تعالى ولا تزال تطلع
على خائنة منهم والخائنة ههنا مصدر كالخاطئة والعافية وانما عبر عن
المصدر بصيغة الفاعل تنبيها ان ما يطلع عليه منهم ليس خيانة ينقطع اثارها

ويندفع اصارها بل تطلع منهم على جارحة سارح من الخيانة فى رياضها
سابحة فى حياضها فيزاسل امدادها ويتوصل اعدادها وهم كذلك الا
قليلا منهم نجع فيهم التذكير ونفعهم التحذير وقوله فاعف عنهم واصفح
اذ صفوذيل عفوك يدرس اثر الوغر من صدرك وروح فضل صفحك
يذهب غم الضجر من امرك وقوله ان الله يحب المحسنين فندب
بعد العفو والصفح الى الاحسان الذى هو مطية العبد الى الله وعطية الله
الى العبد فبين ان يحب الاحسان ولو الى اليهود فكانه قال انت
اهل الاحسان وان لم تكونوا اهلا له فاستعمل انت ما انت اهل له واصدق
قضايا الاحسان ما تركبت اجزاؤها من كليات سالبة للراحة جالبة
للحاجة واوفق مزاياه ما تالف متعدما تها من نشر مطوى الاساءة وطى
منشور الاحسان وقوله واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا
نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء و يعينون لكم اذ جعل فيكم انبياء يعينون
لكم مسالك العادات وليتعودوا منها الاستدلال بمحاميها بتركة
الملكة فيسعون فى أدون من ضجرة الخيال وأمن حيرة الضلال و
ويسنون لكم مناسك العبادات ليتوصلوا بارتسامها الى مدارك
السعادة العظمى ويتوسلوا بالتزامها الى ممالك السيادة الكبرى
فحصل لكم فى العادات ذرايع النجاة وفى العبادات مراقع الدرجات

وقوله وجعلكم ملوكا اشتد بعزم رياستكم امر رعايا جوارحكم واشتد
بحزم سياستكم اذ وسرايا سوانحكم لئلا ينبعث اجناد الكوادح منكم
الا على سمت العدل ولا ينبث اشهاد السوارح منكم الا لكعت الفضل
اذ لا تحصل السوية التى يستدعيها الروية فى القضية بين الرعية الا بواسطة
ملك يدبر الاحكام قضاء واقتضاء ويقدر الاقسام غنما وغرما والكل
فى سنن هذا التمليك شرع وجميعكم فى هذا الامر امام وتبع وقد قال
صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته وقوله
وآتيكم ما لم يؤت احدا من العالمين من المعجزات الظاهرة والآيات
الباهرة التى تاكد بها دليل الاهتداء لكم وتمهد بها سبيل الاقتداء اذ
المعجزة كانها مرآة الخلق يترآى فيها مرآة الحق ومن اتيح له التمسك
بوسائل الفضائل واتيح له تملك مصابيح الهداية ومفاتيح الولاية
فهو المفضل المبجل وهو المكرم المنعم او المراد آتيكم ما لم يؤت احدا
من عالمى زمانكم من ادالتكم واذالة اعدائكم فقد فاء وباء اليكم ما
زال وحال عنكم حتى حل لكم ارداف النعمة واصناف النقمة وحل بمن
كانوا يسومونكم سوء العذاب ارداف الرحمة والطاف القوة واسال
ذلك بعد من اسنى المراتب واهناء المواهب يا قوم ادخلوا الادخلوا
الارض المقدسة التى اخصب جنابها من رياض الانس واشرب

رحابها من حياض القدس فجعلت مشارع لواردة جماعة الطاعة
ومجامع لوافدة ذود الخير قد استولى عليها بقايا الاتباع واستعلى فيها من
تفاريق العماليق الذين بهم يستجلب افاويق درة الشر من اشطر الزمان
والمكان ومنهم ينشب مخاليب العدو والسطو في كل صاحب وجانب بحيث
ملأ اقماع الاسماع صدى حديث خبثهم وغشى مدركا غية باغيتهم ذرى
الربابي وذرى الربى وقد انفهم رباعهم وشغفهم بقاعهم مما بها من
حمية جاهلية من قبيلهم هذا ورابها من عتاد الفساد من قبلهم فصارت ساحتها
عرصة لاحداث الملوثات بسببهم وعادت براحتها فرضة لقشم الغشم
عليهم التي كتب الله لكم لتزيلوا انجاس الشر عن معاهدها وتحملوا باس
الشر عن مشاهدها وترفعوا عن اطرافها حدث الخبث وتدفعوا عن
اكنافها جنف الانف فيتبدل فيها الطلاح بالصلاح والفساد بالسداد
فيرحل الفتون عن متونها ويحل باودن الامن والرفق بسهولها وحزونها فيعود
الحق الى نصابه والمستحق الى نصيبه ولا ترتدوا على ادباركم اذ المرتد لا ايمان له
ولا ايمان والقيام للاستقبال للاوامر والمقام على الاقبال الى الامر مما
يستجمع به مفاتيح ابواب القبول ويستطلع منه مدارج اسباب الحصول والوصول
والادبار والاستدبار يستدعيان عوارض الرد وحوائل السد والصد وهناك محط
رحال الخيبة ومسقط سبل النكبة ورقى بهذه الرجعة خسران الموجود وعقباها حرمان

المقصود

المقصود قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين بتصرّبا عن
ذراعهم وبغير طاقات جميعنا عن قوة من نزعهم اذ لا يبلغ
سعينا مهلهم ولا رعينا مللهم وان الحاسد منا وحشده لا يقاوم
الفارد منهم وحده وقد تبين قاصرنا عن تطاولهم وتعين قصور
اقصى جهدنا عن ادنى شدهم وفتور انهى جدنا عن اوهى ردهم
كيف وقد راعنا صلصل صوتهم وصاغنا مدرك سحتهم واني يسبق الظالع
الضليع ولا يتر آمنتنا وولو علاه ربو وانا لن ندخلها حتى يخرجوا
منها فخروجهم شرط لولوجنا فانه ممتنع مضاء قضائنا فيهم بشهادتهم
ويندفع نفاذ حكمنا هناك الا بغيبتهم فان يخرجوا منها فانا داخلون
قال رجلان من الذين يخافون وبال التخلف عن الايتمار و
نكال التوقف عن الاستنفار اذ يعلمون ان ضرر الخوف ويتغير
ويخفق وحران الجبان يهم ويقلق انعم الله عليهما فحصل لهما تمام
التوكل وجام التبتل اليه ادخلوا عليهم الباب فقد ظننتم ان خروجهم
شرط لولوجكم وفنون الظنون لا اقناع في هواديها ولا اتباع
في تماديها اذ برقها خلب والمستمطر بها حاصل قلب وليس كما
زعمتم بل خروجهم معلق على ولوجكم قال تعالى قل جاء الحق وزهق
الباطل فاذا دخلتموه مبتهلين ممتثلين على مراكب التقلد لطوق

الامر وجناب التجلد على وفق الصبر فانكم غالبون اذ طلبة الغلبة ينتظرون
الوفا بمرغوبهم كما مطلوبهم عند اعلاء رايات الاصطبار واملاء آيات
الائتمار وعلى الله فتوكلوا اذ التوكل مستفتح الرتاج ومسبح الكاح وبه
قرع ابواب العصمة وعليه وضع اقطاب الرحمة بل به تمهيد اساس كفاية
الله تعالى وبه تاكد مراس ولايته ان كنتم مؤمنين اذ الايمان اذا تحرر
دعواه بعقد العبادة المقامة على رسم الاذعان وعهد العبودية المدامة
بوسم التقوى وتقرر فحواه بقيام حجة الاسلام في ذمام محجة الاستسلام فلابد
وان يثبت بتلك الشهادات القضايا الرضايا من التوسل بالتوكل
عليه والتعريض بالتفويض اليه وعندها حالة اعيان النجاح وبها تحلة
ايمان الفلاح قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها اعرضوا
عن صنيع النصيحة وقرروا بما كرروا امر الانخلاع عن ربقة
التباعة والامتناع عن صحبة فرقة الطاعة فاذهب انت وربك فقاتلا
فانك تقول ان الله قاتلهم حين تقاتلهم وان الله يتولى اعانتك و
اهانتهم فاي حاجة به الينا واي باجة بتهيئا منا في ذلك فنحن معترفونا
بعجزنا وقدرته وبضعفنا وقوته انا ها هنا قاعدون منتظرون نزول
ارسال النصر عليك وحلول انثال القهر بهم ولم يعلموا ان الله تعالى
ينصر من ينصره ويخذل من لا ينصره قال رب اني لا املك الا نفسي

واخي ومحل اخي يجوز ان يكون نصبا على العطف على نفسي ويجوز ان
يكون رفعا اي لا املك انا واخي ولما تبين انه لم يكن يطاع مع انه
لا يراع رام الاعتزال عنهم لما راى الاختزال منهم فاستمطر ودق الفرق
واستنفر طير البحر فقال فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين
المارقين الذين قعدت بهم هممهم الدنايا وقيدتهم شيمهم الردايا
وانما عدل عن وسم الصورة الى رسم الصفة فقال فافرق بيننا
وبين القوم الفاسقين ولم يقل بيننا وبينهم لئلا تعين في دعاء
من لم يكن اهلا لان يهجر قال فانها محرمة عليهم ولم تحرم عليهم
بمنع عقلي او دفع شرعي وانما حرمت عليهم بالتسخير قسرا جزاء
للتعذير وقد اوجبت عليهم امرا خيرا وعزما جزما توادع اضدادا لخير
الحظ والامر في حلتهم وتدافع انداد العدد والجبر لذلتهم اذ دعوا
اليها ومنعوا عنها اربعين سنة وانما صار التحريم معلقا اذ كان امتناعهم
معلقا بصفة وذلك انهم اصروا على الامتناع في المستطاع فسلبوا
الاستطاعة لما تصدوا للاضاعة يتيهون في الارض ولما فاهوا بمكذوبة
الدعوى تاهوا في مسافة العدوى يعلوا بهم من عبارات التعلل ضجرة
الحيرة ويعروهم من اشارات التسلك سامة الندامة فصاروا
يدايون جذبا واسط الخصب والخفض ويتعبون ضربا بالجوب الارض في

عنا لا غناقيه وزرع لاريع له يهيمون فيما بين الحال ولا يريمون عن
المقام وكان حللهم عند الرواح ما كان مراحلهم عند الصباح انسد عليهم
منافذ الحول وتمنع عليهم ما اخذ البدل فلا تاس على القوم الفاسقين
اذ ليسوا بمحل لان يحزن على برحهم اسى ولا بمستحقين لان يستعمل في
جرحهم اسى اذ الفسق يفسخ عقود الاستحقاق وينسخ عهود الاسترفاق
ثم هذه الآيات سيقت لنجعلها تبصرة نستبصر بها حسن وقع الامتثال
ويمن وضع الاستقبال للامر ونتخذها تذكرة نتذكر بها حسوم عدوى
شكوى الاستبشاع للامر وشوم رسوم الامتناع منه ليفوز من بهذه
القصة الفاصلة العادلة من فرض التدبر وعرض التذكر اذ رفع
المعالم قدام فريقنا لان نقتدى ونصب الاعلام امام طريقتنا لان
نهتدى فنقول يحتمل ان في مثال الارض المقدسة التي مثل لنا
اشارة الى ارض الاقوال القائمة التي بها سوم عرض الاعمال
الصالحة فانها موضوعة على ان يحرس مجاز بدايتها عن صغو اللغو
مرفوعة بان تقدس نهاياتها عن خبث الرفث وحق ان يصان
عن ان يصير مشاهدها مواقع او مطالع لنجوم الريبة ومعاهدها مجامع
او مخادع لوجوم الغيبة وقد كتب الله تعالى لنا بنقش يمين بيانه لكن برقش
عماء عيانه لينفسخ منها صحائف الوظائف المامورة اذ لو بيتها وقبالة

الكفالة الماثورة قضاء بموجبها وينسخ بها شروط صكوك الشكوك
وخطوط الضلالة والبطالة وذلك بعد ان ينفى من حواشيها
غواشي النفاق ومواشي الشقاق وينفض عن فضائها اثر قصاء الخلف
وقذر مضاء التحيف ثم عند التضلع بالمستفاد والتطلع الى المستزاد
يستتم اساس الامر باركان الاسلام ويستثمر غراس الاجر بايدى
الاستسلام استعمالا للآلات واستدلالا بالدلالات ثم يتمهد بالمشروع
مبانى الاسلام ويتشيد بالمجموع مغانى الايقان تصديقا بالمنقول
وتحقيقا للمعقول ثم يتوسل بتلك الذرائع الى تملك ذرى الاحسان
الذى هو سيرة الانسان ويتوصل بتلك المصانع الى التمسك
بعرى التقوى الذى به يتحرر بل يتقرر الدعوى وهناك الغاية التى
منها حصول المشتهى واليها المنتهى اذ عندها حلة خيل رضوان الله
تعالى ومحط رحل محبته ثم المامور اذا ترك طريق تجويز التنجيز احتشالا
وهو مجاز المفاز وسلك مضيق تزويق التعليق اختزالا وهو
جادة التثبط ومادة التخبط فجعل المعلول علة والرحل حلة فلا
غرو في ان يفارقه التوفيق ويرافقه التعويق فاذا اكل بالعزم
خيل الخير ورجله وصل بالجزم جيش الشر وطيشه قال تعالى ان
الحسنات يذهبن السيآت وقال ويدرؤن بالحسنة السيئة

واذا طولب الرجل باقامة مراسم المكارم فى مواسمها واداء قوانين
المحاسن على مناسمها تعلل بتعلق حلول المرغوب برحيل المرهوب تعلة
وجعل ذلك لعقود ايمان جوده على جحوده تحلة فهو المخذول المجبول
اذ من اهتز بالحد الجاهد اعتز بالجد المساعد والمتمنى هو المتوخى
الذى يستشفى من دخل البخل وبسلاح السماح يستكفى من قبح الشح
كان بجماعة القناعة اجلا نح الجشع وجلاطيع الطمع وبتواضع التوادع درء
تيار التكبر وزخار التجبر وكود الردح وبرد الصبح انتفاء انطفاء جمر
الغضب الذى به جرى العطب فاذا ابيت الشى من بابه تاتى
لك ابوه وصفى لك صفوه واذا طلبت التى فى غير مكانه ولا فى زمانه
يصلد زندك ويخطى بك قصدك فيصير منزلك جوبة وينزلك خيبة
وماكنت فى سعيك مشكورا ولا فى دعيك ماجورا ومن لم يستبر اى من
عدة الرذالة ولم يبرا مما به من مدة النسالة فانى له شيم مخايل الفضائل
وشم اريج الفرج ولو استغرق عمره واستنفد حضره فى ذلك من غير
ان يبرح عن مثواه ويسمح بهواه فلا يتبدى له وجه مرغوب ولا يتصدى
له كنه مطلوب قوله اما سعل الله من المتقين تنبيه على ان
ابواب تقبل الله تعالى مغاليقها عقد التبتل عن المناهى واسباب
التوسل اليه مجاديحها عقد التبتل عن الملاهى وان محكات اوامر

الحسن والاحسان تقوى المبرمات مرائر التقوى اذ الطاعة كالدواء
والقبول كالشفاء والتداوى انما ينجع عند التحامى فاللازم الجزم
هو الذى يظهر فوايد العلاج فى المزاج ويحضر عوائد البرء فى المرء
فكذلك ارتكاب المامور يتوقع ربحه ونفعه عند اجتناب المزجور و
عوامل لف الخير انما هى انامل كف الشر ولا يخفى ان القربات
اذا كانت مكفوفة بتشاعة الاضاعة فتلك معاملة لا يتحصل
صاحبها منها على رباح ولا نجاح ومناولة عقباها الكساد و
رقباها الفساد وقوله انى اريد ان تبوء باثمى واثمك اذ الظالم
يبوء باثم نفسه واثم المظلوم والمظلوم يبوء بحسنات الظالم
وحسنات نفسه كما قال صلى الله عليه وسلم فيوخذ للذاهب حسناته
وللذاهب حسناته فاذا فنيت حسناته يوخذ من سيآت
صاحبه فيطرح عليه فيلقى فى النار نعوذ بالله منها قوله
او ينفوا من الارض اما الحبس دائم ينتفى به تقلبهم فى الارض او
بتتبعهم بالقتال والطلب فلا يمكنون من القرار فى موضع يتصور
منهم فيها ما اقدموا عليه ومن ذهب الى انهم ينفون من دار الاسلام
الى دار الحرب فذلك غلط لا يوبه به وسقط لا يرفع قوله
وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط فلا تلزمهم ما لم يلتزموا من حكم شرعك

وان كانت سريعتك عادلة وقد بينا ان الاقساط هو ان يقوم برعاية
حظوظ الخلق ولحوظ مصالحهم وان تضمن ذلك اهمالا لحظك قوله
فمن تصدق به فهو كفارة له يحتمل ان يكون الضمير في قوله له عايدا
الى المتصدق العافي اذ عفوك مظنة عفو الله تعالى عنك ويحتمل ان يكون
عايدا الى المعفو عنه المتصدق عليه فانك رفوت خرق جنايته عليك و
سحق نكايته فيك بنضح صفحك عنه فصار عفوك كفارة لالوائه وطهارة
لاحداثه في الحالة الراهنة ولكانك تجوت والجيت صاحبك قوله
يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه الذي ارتضى منه وارتضى
له فلا باس بردتهم ولا باس من الاستبدال بعدتهم اذ الدين كما سنى
الخبث عن صاحبه فهو ينفي الخبيث عن جانبه قوله فسوف يأتي الله
بقوم ابدال ليسوا ابامنا لم يجتهم بان اتاح لهم سهام التحقق باقسام
التخلق باخلاقه واباح لهم خط المسابقة الى الافعال على مناهج الموافقة
لافعاله ولاح لهم نظر الموافقة في الاحوال على ابتاج المصادقة من افضاله
فحصل لهم بتلك السابقة الرتيقة الخطايا الرضايا من سمات الصفات
الجميلة ووسائل الفضائل الجليلة كالعفو والحلم وسائر مكارم الاخلاق و
معالي الامور وامثالها التي هي مواقع رضا الله تعالى ووضايع محبته و
قوله ويحبونه بتعبيد مسالك التعبد وتمهيد مناسك التعقد للامر وتقلد طرايق

بالابتهاد على سبيل الاحسان فالمتقيد به باق الانزجار عند دليل التقوى
فيجعلون صنايع التقرب اليه ذرايع التحبب لديه فيقيمون جماعة الطاعة
في جوامع الامن والايمان بعد تسوية صفوف الاسلام ورفوف الاستسلام
امامهم الاستعانة بالعبادة وامامهم الاستكانة للعبودية ووراءهم وزعة
الورع ومنعة الفزع ويديمون السعي في تجهيز غير الفرايض التي هي
مخاوض القربة ومقابض الرتبة ولا يزالون يبعثون قوافل النوافل
التي هي كوافل المحبة قوله اذلة على المؤمنين اعزة فتذللهم
للمؤمنين تذللهم على الله تعالى اذ هم احباؤه وخلصاؤه ولما بانت
حيكتهم بالله ولانت عريكتهم له اورث اعتيادهم بالانقياد له
لبيان الخضوع لعباد الله وبيان الخنوع لهم قوله اعزة على
الكافرين دثا بزة العزة وشعارهم تدمر التنمر مع الكافرين
بحادتهم لحادة الله ويشاقونهم كشاق الله اذ علموا ان في مضادتهم
موادة الله تعالى وان في اغضابهم استرضا الله قوله يجاهدون
في سبيل الله مع الكفرة والفجرة تبدة البميس الذين وردوا الطنين
اعلاء لكلمة الله واخلاء من كلمة الكفر ومع اهواء انفسهم بدفع
الرذائل ووضع الفضائل بنفول بعض العيث عن الجوانح والجوارح
بحيلها ورجلها ويكفون اذواء الاسواء من الظواهر والضمائر ابواطنها

واعراضها وذلك كله يستعملونه حفظا للشريعة بما بها في النفس
والجنس ولحظا الى الذريعة ودفاعها ملائية ومبائية فهم بين استنهاض
لقاعد الجد ببسايط التلفيق واستعراض لناشد الجد بوسايط التوفيق
قوله ولا يخافون لومة لائم فمن تقدم على ملامتك مع سلامتك
فقد هز اغصان كرامتك وافنان وسامتك ليفوز منها بالمعلى
من سهامها ويحوز بها اوفى اقسامها واللائم المليم يعود موسوم لومه
ويبوء بشوم لومه فيقع الملامة زكاة لك وشكاة له قوله
ذلك اى الولى مراتب التقرب والحكى بمناصب التحبب فضل الله
الذى اتحفه كراما لم يكن استدراره بسابق عوض ولا استمراره للاحق
غرض يؤتيه من يشاء كما يشاء لا ارادة لتفضله كما لا ارادة لعدله والله
واسع عليم وسع كل شئ رحمة وعلما فكمال رحمة عمم ايجاد الكل
فى مجامع الارتزاق وايراد الجميع فى مشارع الارتفاق لكن جمال
رحمة خصص من شاء بسنايا المزايا وخطايا العطايا كما اقتضاه
علمه المحيط وحكمه البسيط قوله واذا جاءوكم قالوا آمنا
وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به ولا يخفى ان من اراد الايمان
باديا او عاوده ثانيا فلابد وان يتخلى اولا عن قبايح الاعمال ظاهرا
وعن فضايح الاحوال ثانيا ثم يتحلى بزينة السكينة وسمات الثبات ويتولى

صناعة التحسين بدلا عن شناعة التهجين ويكون واردا كالحسان
شاهد ومشهوده وافد التقوى مزكيه وقاضيه فاذا ادعى
الملك فى الايمان والترك فى الايقان من غير اعراض عن شين
واعتراض لرين وما قامت له بينة صريحة على تقولهم ولا دامت
فيه بينة صحيحة مما يحل فلا يتحرر دعواه ولا يتقرر فحواه فتبين
ان مصدوقه افك وشقاق ومنطوقه شرك ونفاق فرجع عما
انتحله بخيبة منعه ووجبة مصرعه والله اعلم بما يكتمون وان
كتما جهلا حالهم وما لهم حتى كذب مخبرهم منظرهم وفعالهم مقالهم
قوله يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك بقولك
لهم ويفعلك بمحضرهم اذ السمع والبصر كانهما شاهدان لك
فاذا انهيا متوافقين مترافقين بلغ شهادتهما نصاب
القبول واذا جرى الاقتصار على القول دون الفعل
فانك وان بلغ قولا ولم يبلغ فعلا كما قال تعالى فان لم تفعل
فما بلغت رسالته قوله ليس على الذين آمنوا وعملوا
الصالحات جناح فيما طعموا فيه تنبيه على ان استحلال
لذائذ الاطعمة والاستدلال على مآخذها انما يسوغ للمؤمنين
كما قال تعالى قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده

لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحيوة
الدنيا ثم الكافر وان تعب كدحا وبرحا في التسبب الى التكسب
بيده واده ونصب بذا وكذا الخ حصول المآرب والوصول
الى المطالب باقدامه على اقدامه ليترفع باحوال عن جوعته او
يتضلع بما نوال من شبعته استعفافا عن الظلم والمظالم واستنكافا
عن عدوى العدوان فهو وان لم يتدنس عرضه بباعث ضيم ولم
يتنجس ارضه بحادث غشم لا الحكم بحرمة طعمة لكن الواث كفر الكا
ارهقتها وهيج الحرج والحنث بها دنس اللعس كما ان للظروف
اعدا للنجاسة بالملامسة وللصروف ابدا للخساسة بالممارسة فبين
ان الجناح مرفوع عن المؤمنين في مطاعمهم لا غير المؤمنين و الفسوق
جار الكفر وعار الايمان وسمي المؤمن التارك للاعمال الصالحة والاحوال
الفالحة في الاكتساب من غير دعي الاحتساب بالخيرات لا يتبع مشكورا
ولا مذكورا اذ يلحقه وضر التقذر ويرهقه قيام الاثام فطهران طهرة المأكل
وخفوة المداخل انما يحصل بوسائط الايمان وضوابط العمل الصالح
ثم لم يكتف في تسويغ الطعمة وترويق اللقمة بحصول الايمان والعمل
حتى جعله مقيدا بقيد التقوى المؤيد ذلك التقوى بايد الايمان وصالح
العمل فقال اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات اذ كما شرط

عن ص

السعي

السعي في منع الحجر المحجور والحرام المحظور فكذلك يشترط التوقي من
نزهة الشبهة والوغول في الفضول المفضية الى الخبول وذلك
انما تيسر بابراد اوار الحرص واخماد نار الحرص رضي بالكفاف وغنى
بالعفاف لئلا يلهي الولوع بالاستكثار فينتهي الى النزوع
الى الاستكثار فيشغله عن القضاء بمواجب الايمان واتب
العمل الصالح ثم بعد ذلك لا بد من تقوى يستعمله في الانفاق
والارفاق يحسب به عند الايراد في الاسعاف عن الاسراف
وعند الاصدار من الاقتار والى ذلك اشار بقوله تعالى ثم اتقوا
وآمنوا ثم بعد ذلك لا غنى به عن تقوى يحمله عن تهيئة ميرة
الامتنان وتوطئة سيرة الاحسان الذي هو من ذرائع اوقضا
الله وبضائع احتظاء عباد الله بل هو من وسائل التحبب و
مخامل التقرب ومراسم الاحسان اذا ارتفعت عن دعائم
التقوى فجدير بان يصير مشاهد لوارد المحبة ومعاهد لوافد القربة
ومن هذا ختم بقوله والله يحب المحسنين ولما تولوا على التحرز
من تناول لذائذ الاطعمة تنزها وتولوا عن تداول التجمل
لما خذها تشبها بالرهابين وتوجها بالقرابين الى الله تعالى
فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله

فاستبدل فيهم بالبر عن العسر واستنزلهم عن سوْل التقشف
والاستعمل فيهم بفنون التعطف والتلطف ثم بين لنحلة الايمان خصائل
الكفارة التي يستدعي ملاك الطهارة عن الحنث ثم عين المخارم المحارم
حملا على التنكب عن قصدها والتجنب عن حلها وعقدها نفيا لبوائها
وعودها ونقضا لشرطها وعهدها بحيث لا يبقى لها رسم لا في العير و
لا في النفير ولا يلفى لها وسم في المصادر ولا في المحاضر ثم ذكر بعد
ذلك ما جعل حابلا على من عهده مع الله تعالى مؤكدا بشرائط
الايمان والطاعة بحسب الاستطاعة وعهده مع الخلق مقيدا بروابط
الشفقة والامانة ثم لابد في حاصل المال وواصله ان يكون ارتفاع
ريعه واجتماع نفعه بمعزل عن غشم الصميم وسطو العدو واذا الظلم
رقباه وخيم وعقباه اليم وتهي مداخلها بذئا والفتوى دون مخارجها
بشعار التقوى وقفا على جهات الضرورة المتضمنة للرفاهية وصرفا
عن تبات الاستزادة المفضية الى الكراهية اذ الكافية هي الشافية
والاستلا مادة الابتلاء ثم اذا حصل له مناهج الاقتصاد في الجمع و
التفريق طبعا وسهل له مدارج اعتياد الانقياد في المنشط والمكره
طوعا وشرعا فلابد من ايمان مولد للايقان بحسن الاخلاف وكريم
الاسعاف من الله تعالى يحمله على النفقة مستوعبا لمصارف الشفقة

العقدية سالكا طريق الايثار فارتقا تاركا فريق الاستيثار فعند
ذلك يوصف طمئنة بالسناة والمراة اذا حصلت مساعيها في الاجتراح
والافتتاح من دواعي المعصية ومراعيها وتخصصت اواخرها برضا
الانفاق وخطايا الارفاق بحيث لم يشغلهم محافظة حظوظ النفس عن
ملاحظة حقوق المؤمنين الذين هم اولياء الله واصفياؤه من خلقه
ولما كانت ماخذ اموالهم سليمة ومنافذها كريمة وقعوا موقع الاعتداد
والمحبة فقال تعالى والله يحب المحسنين ومن المحتمل ان يقال
الاتقاء الاول الاشتغال به والثاني استدامته والثالث الاتقاء
عن كل ما يتاذى منه المؤمنين ولهذا اضم اليه الاحسان ٠
قوله يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل
اذا اهتديتم قال ابو عيسى حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقاني
حدثنا عبد الله بن المبارك حدثنا اخبرنا عتبة ابن ابي حكيم
حدثنا [illegible] اللخمي عن ابي امية الشعباني قال
اتيت ابا ثعلبة الخشني فقلت له كيف تصنع في هذه الاية قال اية
آية قلت قوله تعالى يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم
من ضل اذا اهتديتم فقال اما والله لقد سالت عنها خبيرا سالت
عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل ايتمروا بالمعروف وتناهوا

عن المنكر حتى اذا رايت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا موثرة واعجاب كل
ذي راي برايه فعليك بخاصة نفسك ودع العوام فان من ورائكم اياما
الصبر فيهن مثل القبض على الجمر وللعامل فيهن مثل اجر خمسين رجلا يعملون
مثل عملكم قال عبدالله وزاد في غير عتبة قلت يا رسول الله اجر خمسين
منا او منهم قال لا بل اجر خمسين منكم وسياق ظاهر الآية يقتضي ان التبري
عن نسبة الحسبة سايغ ولا يخفى ان اهمالها نوع يفضي الى الكساد ونوع
يقتضي الفساد وان تدارك تاركها امر نفسه بتلافي المامور والتجافي
عن المزجور بما تساهل وتغافل عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
فان الآيات الباعثة والاحاديث الحاثة عليها تربى على الحصر وتغني
لدى العقد والامر ومن هذا لما اشتبه على الراوي من الآية ما هو
الماول وعليه المعول في الباب اقدم على السوال اذ هو الدواء
الشفاء عند العي فاجابه صلى الله عليه وسلم بلزوم نصب راية الحسبة
ورفع آيتها كما نطق به الحديث ثم ما يجب الاعتناء به ابتناء المفهوم
من هذه الآية على قاعدة الآية المتقدمة حتى يبين وجه عايدة
هذه الآية وكنه فايدتها اذ الآيات اذا تعاقبت وتناسبت فلابد
من محض مخضها وعرض بعضها على بعض استخراجا لزبدة المعاني
عمدة المعاني اذ الاوائل كالمجنة والتفرة للاواخر والاواخر كالمجنة

والبصرة

والبصرة للاوائل منقول سبقت الآية ردا لما تمسكوا به من
تتبع الاثر المندرس وتمسح الخبر الملتبس من قبل ابائهم في ابائهم
وهم قد عموا عن الخلق الحق وصموا عن الصدق كما قال تعالى
واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا
ما وجدنا عليه آباءنا فظنوا ان اقتفاءهم آثار آبائهم مظنة لامتناع
الملامة عن غواياتهم واندفاع الغرامات عن جناياتهم وتوهموا
ان اكتفاءهم في المفاضلة بعظام ناخرة النقض وفي المناضلة
بسهام قاصرة عن الغرض مما يجد وقعه ورفعه ويستعد ريعه
ونفعه وحسبوا ان انتهاجهم صوب الصواب وانعياجهم نحو سدد السداد
اذ التمس خلاف الآباء والانصراف عن مذاهبهم والانكفاف
عن مطالبهم يكون عرضة لبشاعة القبايح وفرضة لشناعة الفضايح
تخيلا منهم بان واجبهم التاسي بآبائهم في الصروف والحروف وتابيهم
التحسي من انائهم وان كان سوء فاسمو فيعدون الشر في موافقة
الآباء خيرا والخير في مفارقتهم شرا فرد عليهم ما انتحلوه فقال او كان
اباءهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ومن كان في حالة جهالة لا بد و
ان يكون حتى ماله ضلالة وكيف يهتدي من بالعميان يقتدي ثم
بين بالآية اللاحقة ان المهتدي لا يضره ضلال من ضل من آبائه

كما ان الضال لا ينفعه هداية من اهتدى من آبائه فقال يا ايها الذين
آمنوا بالله نفسهم وبه حسبهم عليكم انفسكم وهو نصب على الاغراء اى
عليكم بالمحافظة عليها بمنع الغوائل ودفع الحوائل دونها والملاحظة
اليها بنظر السعى والرعى فكانه حثهم على استعمال الحذر فى سياسة
النفس اولا فقد لا يعذر الرجل فى عمارة دور الغير بتخريب داره
التى يسكنها فنفسك بمثابة دارك والخلق بمثابة ما سوى دارك من
العالم الاقرب فالاقرب ولا ريب انه يصعب على السكان المصابرة
على مجاورة من خربت ديارهم واجتيحت اموالهم وان كان هو فى رفاهية
مما ابتلوا به لكن لا كصعوبة خراب داره واجتياح ماله والخبير هو
العالم الذى انضم الى علمه اعتبار الاختبار وتأتى منه الاخبار عن معلومه
على ما هو عليه ولما تأول الراوى هذه الآية على ترك الحسبة نفاه صلى الله
عليه وسلم بقوله بل وقرر امر الحسبة بقوله ائتمروا والايتمار والاستيمار
المشاورة والايتمار ايضا الامتثال وقوله تناهوا اى لينه بعضكم
بعضا وتناهى عن النهى ايضا اذا انكف واستنكف ومن ودابها
هاتين اللفظتين ان الآمر بالمعروف انما ينجع ويفيد اذا ائتمر فى
نفسه ثم اذا امر به غيره وكذلك فى النهى فانهما يستعملان فى الامتثال
والامر والارعواء والنهى فاذا امتثل فى المعروف ثم امر به وارعوى

عن المنكر ثم نهى عنه فحينئذ قل ما يتعرى عن الفائدة والشح وان كان
يستعمل فى موضع البخل فالبخل هو صورة المنع والشح هو الحرص الباعث
على المنع ولما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الشح فقال
اهلك من كان قبلكم الشح امرهم بالكذب فكذبوا وامرهم بالفجور ففجروا
وامرهم بالبخل فبخلوا ثم هذا المعنى المقتضى للمنع ليس مقتضى الهلاك
فى نفسه وانما الهلاك فى طاعته وقد قيد رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقوله شح مطاع ولو كان الشح بنفسه مقتضيا للهلاك لتعذر مناص
اندفاعه والخلاص من اتباعه اذ كيف يتخصص عموم وضعه او يتخلص
من لزوم وقعه وقد قال تعالى واحضرت الانفس الشح ولا
يخفى ان الفضل فى الجود بالمعسات انما يتوفر عند الحرص الباعث
على المنع ولهذا قال عليه السلام حين سئل عن افضل الصدقة
فقال ان تصدق وانت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى وقال
تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ومن لا يحب شيئا لا يحرص
على امساكه فيهون عليه انفاقه فلا يبلغ الذروة العليا فى الكمال ويتأيد
ما ذكرناه بقوله تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة
وكذلك الكلام فى الهوى والدنيا اذ الهوى من قوانين النفس و
لا طاق ولا صلف والنفس من خواص الهوى ولا فراق ولا شنف

وانما المحذور اتباعه لاطاعه ومساعفته دليل عدوى الشر كما ان
مخالفته سبيل جدوى الخير والدنيا لابد منها اذ الدنيا كالزهر للثمر كالاخرة
وهى كالزرع والاخرة كالربيع فاذا اثرت الدنيا صارت مادة
التهالك واذا اثرت عليها صارت جادة التدارك وهى كالمطايا
اما لامتياز العطايا او لاكتساب الخطايا وهذه الخصال الاربع هى التى
لا ينجع عند شهودها وعظ مطنب فى الامر بالمعروف ولا لفظ معرب
عن النهى عن المنكر فقد تندفع موجباتها فى الماكيات بالشح المطاع
وفى سطوات الشهوات للفروج واللهوات بالهوى المتبع وفى
الجاه والرياسة واسباه السياسة بايثار الدنيا وعند الحمل على الاخذ
بالمعلومات الصائبة ونبذ الموهومات الكاذبة بالاعجاب بالرأى
ومن غلب عليه عين هذه الصفات ورين هذه السمات نبا سمعه
عن الاستماع للمواعظ وابا جمعه عن الاجتماع عند الواعظ واذا كان حاصل
الدعوة لا افادة لا اجابة لا يؤمن ان يتبدل التثبت تشتتا و
يتقلب التأثير تأثرا فكأنه استعمل الدوا فدوى واستنزل الشفا فحوى
ومن رام جبر امر غيره فافضى فى ذاته الى الانكسار وفى صفاته الى
الاستحسار فكأنه تطلع الى رباح فلحقه خسر وتطمع فى نجاح فرهقه عسر و
من كان عرضة لهذا الخطر فالاولى بشأنه الحذر فلهذا قال صلى الله عليه وسلم

فعليك

فعليك بخاصة نفسك اعذارا وانذارا قوله دع العوام فانك ان لم تغنم
فقد تسلم اذ ربما يؤول رفوك الى التخرق وجمعك الى التفرق
قوله فان من ورائكم اياما الصبر عليهن مثل القبض على الجمر
ان قبضت على ما ساومت من متاع الايمان تحفظا وتيقظا اصابك
شظايا الاذايا وماضك مذاق المشاق اذ التمسك اشد من التملك
وان نفضت اهمالا واغفالا اصفر يدك وصلد زندك فيضحك فيخفق مساعيك
ويكذب مراعيك وقوله للعامل فيهن اجر خمسين منكم اذ اجور
الامور معيارها موازين النصب فى التحصيل ومكائيل التعب فى التفصيل
قد قال صلى الله عليه وسلم من تمسك بسنتى عند فساد امتى فله اجر مائة
شهيد وسنة الاولياء البلاغ بالنفس والابلاغ الى الخلق فكانوا يأتمرون
فى انفسهم استقبالا للامتثال ويأمرون الخلق اقامة للحجة وابانة للمحجة
قولا وفعلا وكانوا لا يتأثرون بما ينالهم من جفوة القسوة ولا يتغيرون
بما ينوبهم من ابية الحمية فمن تيسر له هذا المقام والتمسك بهذا الحال فله
اجر مائة شهيد اذ هو اجمع الحظين واستمتع بالحظوتين ومن حصل له
احدى الخلتين فله اجر خمسين اذ هو اجاب عند التمادى بالاعمال
لكنه تخلف بالتقاعد عن الاحوال والله لا يضيع اجر من احسن
عملا ولهذا ختم الاية بقوله الى الله مرجعكم جميعا

فينبئكم بما كنتم تعملون

من سورة الانعام

قوله ثم قضى اجلا عينت اسبابه وبينت انقا به صار وذلك
لاجل محل التداوي ومضل التمادي اذ هو مسافة يتعاقب فيها رجاء النجاة
ومخافة الآفة ويتناوب فيها موانع الاستبعاد نحو انواع البر فيكون مشهدا
لما وقواطع الاستعداد باضداد اوزاع الشر فيكون مرصدا لما قوله
واجل مسمى عنده وان كان معنى عندنا فلا يتجاوزه مجهد ولا مجود ولا يتجاوز
دونه مضعف ولا مرض سيان لديه التحامي على وفق الطب والتعالى
عنه وقد قيل قضى اجلا لمدة الحيوة والبقاء في الدنيا واجلا مسمى لما بين
الموت الى البعث قوله لجعلناه رجلا لان الجنس الى الجنس اميل
وعنه افهم ولئلا يقولوا انما قدرت على ما اتيت به من المعجزات لمباينتها
اياك في اللطف والضعف وقوله وللبسنا عليهم ما يلبسون
اي لشبهنا عليهم كما لا يدرون انه نبي ام لا فلا يدرون انه ملك او آدمي
قوله وله ما سكن فالساكن هو المتحرك ولان سكون الثقيل
غير عد اعجب من حركته الى جهة الهوى قوله وهم ينهون عنه اي
عن متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم وينأون عنه يبعدون عنه
بانفسهم فكانوا يصرفون غيرهم مع انصرافهم عنه وقيل اريد به ابو طالب كان

ينهاهم

ينهاهم عن ايذاء الرسول ثم يبعد عنه وعن الايمان به قوله
وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا انما استبعدوا النشأة الثانية
لجريان العادة بخلافها على مرور الازمان والدليل على وقوع الثانية
وقوع الاولى لانها ان صحت فيها باقدار مدبر الحكمة فبمثلها تصح الثانية
اذ هو المقدر للتقديرات والمدبر للتدبيرات فيكون النشأة الثانية
على ذلك وان وقعت النشأة الاولى كما زعموه بذرائع الطبايع
فكذلك يمكن الثانية وان صحت الاولى بالاتفاق فكذلك تصح الثانية
ايضا قوله فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله
يجحدون اي لم يجدوك كاذبا وما نسبوك الى الكذب وانما كذبوا بآيات الله
قال ابو جهل ما كذبناك ولكن نكذب ما جئتنا به وقوله الا امم
امثالكم في حاجة النفس او الحاجة الى من يدبرهم او يدفع الاذايا عنهم
او في اختلاف الصور والطبايع او في الدلالة على الصانع قوله
ما فرطنا في الكتاب اي اللوح المحفوظ من شيء اي من الآجال والارزاق
والمراد به القرآن وفيه كل شيء اما على سبيل الاجمال او التفصيل
قوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض اي كما
اريناه سبيل الرشاد ودليل السداد فكذلك نريه ملكوت السموات
والارض فعوالم الملك اذا طالعتها ببصيرة نافذة في الحقايق تجلى لك

من لوامع الملكوت عجائبها وتجلى لك من بدائع الجبروت غرائبها
ومعالم الشهادة اذا وادعتها بسيرة نابذة وللعوائق تبدى لك
من علوم الغيب وجه المقايس وكنه المقابس فجواهر الملك شفافة
يستشف من ورائها انوار المعارف الملكوتية وآثار القدرة الجبروتية
مالم يكتنفها الاعراض الداهشة والاغراض الطامسة لنقوش الدراية
وظواهر الشهادة وصافه يستوصف من آياتها اوصاف الطاف
الغيب واصناف الشيب فالشهادة شواهد الغيب والظواهر تستدل
امور البواطن والملك مشتمل بدور الملكوت وقد تبين أن الملك
ظاهر الملك الكون والملكوت باطن الكون والى التعميمين اشار تعالى
حين ذكر الانبياء عليهم السلام وسنايا مزاياهم فقال وكلا آتينا
حكما وعلما فالعلم يدلك على الظاهر والحكم ينبيك عن الباطن كا
ان الحلاوة والخثورة والبياض ظاهرة فى العسل ترا اى كل ذلك
ذايق ورايق والحرارة واليبوسة باطن فيه ولا يدركها الا فطن
يكون العلم دليله والحكمة سبيله ولكان الملك شاهد الملكوت
والملكوت قاضى الملك فاذا اراك رايات الملك فعبضتها بيد
الاذن وكلام صرت مؤمنا واذا سمعت آيات الملكوت فاقترأتها
بلسان يحقق التخلق بمرتضيات الله وبيان توافق التطابق لمقتضيات

لصيرت موقنا بل اذا دعاك تصور التصديق ودعاك تصور تيسير التوفيق
فاتيت لشهادة الطاعة على وجها فو لا وسعيت بمعادة الاستطاعة
فعلا من غير استشراف لمشارف المعارف واستكشاف عند الابهام
على الافهام فلذلك ايمان بالغيب وهو برئ من الريب وذلك
من نتيجة حسب الاسلام ونتيجة كسب الاستسلام لكنك اذا حضرت
فى سنن الاستقامة تخصصا بالاحوال السنية ودابت على سنن
الاستدامة تمحصا بالاخلاق الرضية حتى يتسهل لك مدارج هبايت
التيسير ويتسعل لك معارج الحسن السيرة فحينئذ يتوقل المطلع الذى
هو منار العلم ويتوغل المتوقع الذى منه منار الحكم فيزول حرج صدرك
بثلج الايقان ويفوح ارج عطرك بتبول حج الايمان وذلك ايمان
مستزاد من فيض السبب وايقان مستفاد من محض الوهب
وهناك يتراءى للملكوت انوارها ويتسامع اخبارها فينفتح اليقين
عينه ويبادى له حة قوله فلما جن عليه الليل اطبق عليه ليل
حظوظ النفس واحدق به خيل لحوظ الجنس وهناك موضع اللبس و
الالتباس وموقع التغريس والتغليس راى كوكبا ولابد من قرار المناد
فى اليها وخصوصا عند غمار العماد حتى يحصل به اوان الامن من
الضلالة فى الجهالة لكن الكوكب مما يرى هو ولا يرى به الا الجيم

العظيم او الكوكب يظهر نوره لكنه لا يبهر ومع ذلك فكلما توهمت له
مكنا سعل بكنانا الافول والخمول ولكنه اسح له صلوات الله عليه
في اول وهلة من معاريجه هذا التقدم للانوار تدريجا به في التعريج
لئلا يدهشه بهر نوره فلم يرض بذلك لقلة نوره وقصر مدة مكثه
اذ لم يحصل له بذلك القدر الا معرفة الصانع فحسب فقال حين افل
لا احب الافلين وقوله فلما راى القمر بازغا البيت دونه سحاب
ولا حجاب تراآى له اشكال كارة النشارة الحاضرة وتبدى له
كتاب الوجود وحساب الشهود ما اقترابه امثال سور الصور الظاهرة
فلما هم ان يستروح ببهر نوره ويستبخ بظهوره على ما كان بصدده من
تفقد مفقوده وتعهد معهوده آذن بتحوله وتسلله قبل ان يقضي منه
كال الارب او يقتضي جمال الادب فلم ير الاحتظاء بمحل الارتضاب
فعدل عن القناعة بالزهادة الى الضراعة في طلب الزيادة فقال
لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين ولكان ذلك ثاني
معراج ومن قبيل مدارج اذ بان له فيه ناصية المراد فرام قاصيته
فبزغت الشمس التي بلغت اشعتها جميع الاقطار وسلبت النيرات
سبق الاخطار فتجلى بها مناظر الدقيق والجليل والقبيح والجميل لكن
لما كان سعي مراكب الجهد مقصورا ورعي مكاسب الجد محصورا الى
الركون

والكون

والسكون اليها اذ هي مع انبساط شعاعها على طلاع البقاع عرضة
لافول انوارها وغفول الابصار عنها وذلك منقص ومنغص فرام
فرام التلقي للمصاعد والترقي الى المشاهد التي هي مطالع التوحيد
ومشارعه وكان ذلك الباعث ثالث معراج عرف فيه الخلايق
والطرايق على ما هي عليه فتوسل بمعرفة الصنع الى معرفة الصانع وتوصل
بعلم اليقين الى نفي التشريك والتشكيك فقال اني بريء مما تشركون
اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا له النور التام
العام الذي يتراآى به له حقايق التوحيد ودقايق التفريد بل النور
الدائم القائم الذي لا تطفيه نفث الاهوا ولا نفخ الارآء ومن تهيأ
له ذلك فبصره يتقلب في عوالم الملك اعتبارا واختبارا وبصيرته
تنفذ في معالم الملكوت بيانا وعيانا ويكون وظيفة قالبه وجوارحه
المجاهدة ولطيفة قلبه وجوانحه المشاهدة ومن المحتمل ان يقال
صلى الله عليه وسلم فيما تبدى له اولا عرف نفسه وانتهائها مواقف
العبودية وفيما تبدى له ثانيا عرف ربه وراى على نفسه اداء حق
الربوبية وقضاء حقوق العبودية واجبا فاقام نفسه في مقامات
العبادة ولما يتبدى له ثالثا حظي بصرف الحق ورضي بصرف الخلق
فاعرض عن الكل نفيا لما سوى الله ويحتمل ان يقال ان في الاول

اراه شريعة الاسلام والثانى جباة ذريعة الايمان وفى الثالث
هداه الى غاية صيغة الاحسان وقد قال اهل التفسير فى الآية اقوالا
منهم من قال حين استبهم عليه الحال فسال انه بعد علمه بانه مربوب
من ربى فقالت انا وهذا مثال الكوكب فلما نظر فى حالها علم انها
مربوبة فقال من ربك فقالت ابوك وهذا مثال القمر فعلم
ان اباه ايضا مربوب فقال من رب ابى فقالت نمروذ و
هذا مثال الشمس فتفكر ايضا انه مربوب فقال من رب نمروذ
فلطمته امه انكارا على سواله فحينئذ نصب له رايات التوحيد من
قائل ان هذه الاخبار جرى منه على سبيل الاستفهام عند الاستبهام
عليه او على سبيل الانكار عند اقرار الخلق وقد يحذف حرف الاستفهام
من الكلمة كما تحذف الالف التى هى للندا فيقال زيد اقبل قال
تعالى وتلك نعمة تمنها على اى اوتلك نعمة وقال بعضهم قوله
هذا ربى قاله على وجه تمهيد الحجة وتقرير الالزام ويسميه اصحاب
القياس القياس الخلفى وهو ان يفرض الامر الواجب على وجه لا يمكن
ليحبب به الممكن وقال بعضهم اى هذا ربى فى زعمكم وذلك لانه
سمع من قومه اضافتهم تدبير الامور الى سير السيارات فقال ذلك
ردا لقولهم بان المدبر هو الرب وهولاء لم يكونوا اربابا ولا يكون

اليهم التدبير قوله حنيفا فالحنف ميل عن الضلال الى الاستقامة
كما ان الجنف ميل عن الاستقامة الى الضلال والحنيف هو المائل الى
الاستقامة وسمت العرب كل من اختتن او حج حنيفا تنبيها على انه على
دين ابرهيم عليه السلام واشار بذلك الى انه باده الملك توحيدا تعصيا
عن الالتباس وواجه القبل بوجوه القياس تحريا للصواب والاستيناس
شاما بوارق الهداية ناقما طارق الغواية فظهر له ضلالة كل الطرق
الا طريق التوجه الى الله تعالى والتاله له وبهر عنده جهالة تلك الفرق
الا فريق التوحيد وتعبيد النفس لله فطوى عن الكل كشحا وضرب
عنهم صفحا بعد تقديم الممارسة لتقويم المقايسة واستطلاع اهلة الادلة
من مشارق المعارف ثم لم تحرر منه دعواه تصورا بعد ما تقرر له فحواه
تصديقا انخلع عن اشراك الاشراك وانقطع عن رقاق الانكار و
الشقاق فقال وما انا من المشركين قوله ولا تاكلوا مما لم يذكر
اسم الله عليه فالاكل مما ذكر اسم الله والمسمى له هناه السوغ ومراة البلوغ
به الى منازل النجاح ومنزل الصلاح فذكر الاسم رعى شرائط الاسلام
بوسائط الاستسلام وذكر المسمى سعى فى ضوابط الايمان وروابط الايقان
فمن لم يذكر الاسم لا تبين له وجه توفيق عمل الخير ومن لم يذكر المسمى
لا يتضح له وجه قبول العمل قوله عليه اى على حسب كسبه وتفصيل

تحصيله حين استعمل ابدا التملك وابدا التمسك في المبادي والتمادي
بعيان ديانة الفتوى وبيان صيانة التقوى وصناعة القناعة حذا
ونبذا اعطا واخذا شرى وبيعا دفعا ووضعا تصرفا وتشوقا الى الانعطاف
للاحتراف ثم لم يعزب عنه ذكر الاسم والمسمى في توطية انقاب تداوله
من سفح الدم بالذبح وتهيية اسباب تناوله ثم ينعم بالذكر حين يطعم
فذاك ما كل يتولد منه حركة مستقيمة للعادة اللايقة وبركة مستديمة
للعبادة الرايقة اذ خير ربيع الفلاح لا يستفاد الا من بذر زرع الصلاح
بل ذلك الطعم استطاعة الطاعة اذ هو للتروي في وجه ايفايها والتقوى
على ادايها فيثاب على ذلك الاكل اذ هو من وسائل العبادة ووسايلها
واما الاكل مما لم يات عليه ذكر الاسم ولا ذكر المسمى حين اجتذب اصله
بالغفول والذهول واحتقب فضلا من الفضول فيجمع بجوارح الطمع
وكوادح الجشع كالخميص الحريص ويشرع في اكله على هيئة القرم والنهم وشبه
الشره فذلك اكل نتيجة اللغو مقالا واللهو والسهو فعلا والزهو حالا وهذاك
خروج عن الطاعة فيسمى فسوقا وان لم يكن ولوجا في المعصية وذلك يورث
مرض القلب وعرض الريب فيه ويكاد ان يفضي به الى الممات وسلب
الحيوة والى نحو من ذلك اشار عليه السلام في قوله خمروا الاواني
فان كان لابد فاعرضوا عليها عودا بسم الله فان الوبا ينزل من السما

والوبا هو ما يغير المزاج من الهواء المتعفن ويورث امراضا وبية
واعراضا ردية من غير تخليط في تناول مضار الاغذية ولا تفريط في
تدارك الادوية ثم لم يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك والله اعلم
ما يغير مزاج النفس وما يوثر في احداث امراضها اذ ما راينا من ذلك
المشارب والمآدب اثرا مولما او خبرا مومما في النفوس بل اراد به الوبا
الذي يغير مزاج القلب فالرجل اذا تنبه من منامه صاديا فيقصد
الآنية التي لم يذكر اسم الله عليه بتخمير ما مود به او بعرض عود موشح بذكر اسم الله
فيشرب منها شرب الهيم ولربما يلهيه غلبة النوم عن ذكر الله تعالى فيتم
فيتغير بذلك مزاج قلبه واذا وسم الانا بوسم العبودية ورسم العبادة
عند اعداده للشرب فذلك يحسم مادة تغير مزاج القلب فاما
اذا ذكر الشيطان عند الابتداء بالاكتساب بالاعتدا تسمعا الى
اصداء نداءه وتتبعا لاهواءه في اغواءه وامره بالمنكر معروف
اذ هو بالاستهواء متبعيه واستغواء مستمعيه موصوف مشغوف فاذا
طاوعه وتابعه يصير في رياش معاشه متجرا في الاخذ بغير الحق ومتكبرا
في النبذ الى غير المستحق باطشا بالعدو وفاحشا في البغو ولما صغى
اليه بغى ثم طغى حتى يفضي به الى الانهماك في الاشراك كما قال
تعالى وان اطعتموهم انكم لمشركون قوله فمن يرد الله ان يهديه

سواء السبيل والغزاء الى الدليل يشرح صدره اى يفتح مغالقه
لوافد الامر ووارد الخير ويفسح مضايقه للاعتياد بالانقياد للاسلام عباده
وللاستسلام عبودية فيسهل عليه السير فى سبيلها بنصب الدلائل
الشافية من مرض الريب وعض الحوب وغرض المخاليب الكافية
حك الشك الافئدة تشكك لشوك الشرك فيتيسر التلقى للاوامر
الشرعية والتنقى من البوادر الطبيعية ومن يرد ان يضله اى
يدعه فى مهواة الضلالة وموماة الجهالة لا ينحو التهدى بالدلالة و
لا التقدى لاستعمال الالة يجعل صدره ضيقا لا يكون فيه مساغ
لاحكام الله تعالى ولا فيه بلاغ الى مقتضى الله ومرتضاه اذ مخالب
الشبه تغلق المفاتيح ومدامجاة الهم تحفف المدايح فيضيق بها
مجارى الايراد ومسارى الانزجار حرجا اى ذا حرج وهو اشد الضيق
يعنى يصير قلبه بحيث لا يسعه الايمان فالحرج زايد الحرج والتعوق
فايد التضييق كانما يصعد فى السماء اذا حمل على الاسلام او كلف
للاستسلام يتعسر عليه تلك الممارسة بل يتعذر عليه تلك الملابسة
كانه كلف ما لا يطاق او اريد منه ما لا يقدر عليه قوله النار
مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله قيل الاستثناء يعود الى
انواع العذاب ما سوى النار من الزمهرير والسموم والاغلال

وللانكال وقيل الاستثناء يعود الى ما قبل اذ خالهم النار من
مدة وقوفهم للحساب قبل العذاب قوله قل تعالوا اتل
ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه اذ التعالى عن هوة الهوى
مظنة التعلم وعنده مثنة الفهم فاصدا الاهوا يصم عن استماع
اصداء الدواعى الى الله وتمنع عن الاصغاء لابداع المساعى
قوله ثم اتينا موسى الكتاب تماما على الذى احسن اى
احسنه موسى من طاعة الله او تماما على احسان الله الى موسى
بالنبوة فيكون تماما مفعول له ثم تمام احسانك وجماع حسنك
قولا وفعلا وحالا لله يستدعى تمام احسان الله تعالى اليك
بالهداية والرعاية لكن لو كنت بصدد الاستتمام وعلى جدده
فقصر باع استطاعتك مع استنفاد الوسع او قلص ذراع جهدك
وجدك فلطف الله تعالى يرصد من التلافى ويتهدم من التوافى
قوله هل ينظرون اى هل ينتظرون وكل ما يلقاك بحيث لا يتصور لك
عنها التحول ولا يتيسر عليها عنها التزيل فانت المنتظر له صفة
وان لم تنتظره صورة الا ان يأتيهم الملايكة الذين اليهم التشفى
من المجرمين بالتوفى على هيئة تدمير مذل وتتبير مستل فيفجاهم
لا يذر منهم
هيل الخاطف كانه السيل الجارف ولا يبقى لهم اصلا ولا فضلا و

ولذا اولا املا او ياتى ربك فيصير الامر كله لله وينقطع دعاوى الملك
والملك بقيام بينة الملك والفتك فيوم توظيف التكليف
ياتون الله ايتمارا لايجابه وذلك حقهم المتساوى بينهم ويوم موافاة
المكافاة ياتيهم الله بموازاة المجازاة اظهارا لاستيجابهم وذلك
مستحقهم المؤدى اليهم او ياتى بعض ايات ربك اى اشراط
الساعة يوم ياتى بعض ايات ربك لاينفع نفسا ايمانها لم تكن
آمنت من قبل او كسبت لابد ان يسبق الايمان الايقان فان الايمان
لايقبل بعد الايقان فاذا عاينت ما حاينت من حلول الباس حنك
بعد الالتباس فحينئذ يمنع الرجوع اذا انقطع المسير واندفع النجوع
اذ صار حالك حلبة للعلة ولايخفى ان نوبة التوبه انما ينتهى
اليك ما بقى لك من هدنة الحيوة مدتها وما تهيا لك من مكنة
الاداة عدتها وعدتها وكان عندك امر بقاء الحيوة وطور لقاء
الممات فى لبسة مغطاة ودمسة غير مسماة فاستبه عليك ان حولها
ودولها يزول ويحول او طولها يطول فاذا انكشف الفناء وتحقق
الضياع فقد فات التدارك والتماسك بعد انقضاء اوانه ومضاء
زمانه او كسبت فى ايمانها خيرا فاذا نشرت صحائف الحسب و
اسرجت جنايبه طويت معاطف الكسب وسبقت مراكبه فى الاية

تنبيه

تنبيه على ان الايمان العرى عن كسب الخير يقصر مداه ويقل جدواه
اذ فوائد الشجر يظهرها عوائد الثمر والغراس اذا لم يتوقع منه حمل فهو على
عرضة الاجتثاث والمراس اذا لم يبر بهما فتل فهى فى فرضة الارتثاث
قل انتظروا فان الامل ينسى الاجل انا منتظرون ما ينبغيكم فيبهتكم من شاق
الصعوبة وحاق العقوبة

من سورة الاعراف

قوله تعالى فمن ثقلت موازينه التى بها بيان ما بينه وبين
الله وبها وزان ما بينه وبين الخلق فرجح ما لله عليها لنفسه مقاما على
العبودية لله وقياما بالعبادة له واداء لشكر نعمه وارتضاء بقضائه
وكذلك رجح فيما بينه وبين الخلق برفع اذاياه بالجود عنهم ووضع قضاياه
العدل فيهم بل باكتساب قطع القسط والانتداب لفضل الطول
معهم شفقة ونفقة فلهم فى مجاملة المعاملة مع الله ومع الخلق
الرباح والنجاح وذلك هو المعبر عنه بالفلاح الذى هو الفوز
من المرهوب والحوز للمحبوب واما من خفت موازينه قولا
وفعلا وحلا مع الله ومع الخلق فرجح ما له على ما لله وما للخلق
عليه ولايخفى ان ما وقع لغير الله لايقوم له وزن ولا يدوم له
حزن فياتى عليه الطوائح والجوائح فيجعله هباء منبثا وتشاؤما تشا
وذلك هو الانكسار والخسار وحق لهم ذلك بان ظلموا انفسهم ببخس

حظوظهم في الآجلة بسبب لحوظهم الى العاجلة قوله في جواب انظرني
انك من المنظرين ليس من قبيل اجابة الدعاء فان الاجابة كرامة
او سلامة ولا استحقاق الكافر بل هو بيان لما سبق به التقدير فجا، وفق
التدبير ويحتمل ان يعد ذلك من قبيل الاستلاف ان الدواعي اذا احسنت
عند قيام الموانع فذلك ارفع منزلة واعلى مرتبة فان وساوس الشيطان
والهواجس الموحاة من جهته اذا دفعتك فدفعتها بكدّ وجدّ توافقا
وكسب ووهب ترافقا فذلك ابلغ في انالة الحظية الرضية اياك
وازالة شظية الاذية عنك وقد قال تعالى ليهلك من هلك عن
بينة فقد اتخذ له دلائل الاهتداء ومخائل الاجتداء فضيعها على تضييع
ما ايتمن العقاب ويحيى من حيّ عن بينة فانه قد انتصب له الدوافع
فرفع المنصوب خفضا وكسرا فاستحق الثواب على دفع الموانع و
اشهاد المقصود ويحتمل ان ذلك من جنس ما سنه الله تعالى من اباحة
التفضل العام في الدنيا واتاحة التطول التام للكل فكان من حلمهم
قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم اى على الصراط الذي ياتونك
عليه كما يقال ضربت الظهر اى على الظهر او هو نصب على الظرف ثم هو
لو قعد على الصراط الذي ياتون الله عليه فليس له الى ما ياتي العبد
قبل الله سبيل قوله لآتينهم من بين ايديهم بتشكيك وتشريك

يعتز يهم ويب وادا في الله وفي الآخرة ومن خلفهم ارغبهم في الدنيا
واخوفهم ضياع الاولاد والاموال من خلفهم وعن ايمانهم انتبه عليهم امر
دينهم بشوب من الريا، وروب من العجب وهما المحبطان المخبطان
وعن شمايلهم اذين لهم التواصي بالمعاصي وامنيهم بهوات الفوات
فاصرفهم عن الشكور الى الكفور ولهذا قال ولا تجد اكثرهم شاكرين
قوله فوسوس لهم الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من
سوآتهما من المحتمل ان السوءة الموارات هي التي ضمنت البشر
من مادة الشر والآلات المستعملة فيه وما مكن هو منه من
جادة الفساد وادواته المستنزلة وجعلت مستورة عنهما و
عن اعين الناظرين بستر الطاعة وجذر الاستطاعة وكان المعصية
تبحث عن دفين الحال فيجعل المستور منشورا فتظهر مواد الشر
موسومة بعزور التزين ووفور التقين وتوضح جواد الفساد
مرسومة بتخيل التسهل وتشكل التذلل فتجهر الادوات والآلاة للاستعمال
وتبرز الدلالات للاسترسال كونها فحينئذ تتوفر الدواعي اليها بحيث
يعسر صرفها وينبعث المساعي كونها بحيث يتعذر كفها وانما فسره السوءة
كذلك فانه قال ما ووري عنهما من سوآتهما ومعلوم انه لم يوار عنهما عورتهما
الظاهرة وايضا قد اتى بلفظ الجمع وهما اثنان قوله فبدت لهما

سوآتهما فيه فكانا تراآ لها عصيانهما لله ولالم يترا ذلك لغيرهما وكذلك
حال اهل الخير نشر الهم صلاح الغير وطلاح انفسهم والمجرمون بخلاف ذلك اذهم
يعجبون بانفسهم صلاحها ويمقتون الغير قوله طفقا يخصفان
عليهما من ورق الجنة وكانهما راما التستر بالامور القولية وقد حصل تعريهما
بالامور الفعلية فلم يتيسر لهما وذلك لان شجرة الايمان ورقها الامور القولية
وثمرتها الامور الفعلية قوله ويصدون عن سبيل الله التي عليها
المسير الى المصير وهي المنهية الى مقاصد النجاح ومشاهد الفلاح ويبغونها
عوجا يطلبونها من غير مطلبها السوآ ويأتونها من غير اماتها
القصد فيطلبون الاخرة بعمل الدنيا ويطلبون الله بهوى النفس او
المراد انهم اذا طولب منهم كف اليد عن تجاول التطاول و
التنقي من قذر الجرم ودحض الظلم عدلوا الى النفقة والشفقة على
سياق الاهواء الكاسدة ودفاق الاراء الفاسدة ظنا منهم انما
هم بصدده وجدده سبيل الله وسبيل الله تعالى هي التي دعاك
عليها اليه قولا كان او فعلا او تركا فاذا عدلت عنها الى غيرها من
السبل فقد بغيتها عوجا والعوج نصب مفعول به او نصب على
المصدر قوله قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا اي احلت
لهم في الدنيا لكن يشركهم الكفار والفساق كانهم يأنفون من طبه الطيبة

ويالغون جماعة القناعة علما منهم بان شجرة لاثمرة لها و
ان ضراعة الطاعة تحدث البشاعة قوله رب موسى وهرون سائغ
ان يكون نبيان في وقت واحد وفي مكان ولا يجوز ان يكون امامان
في عصر لان النبوة واحكامها صادرة عن وعي الوحي واقسامها سائرة
بتعريف التوقيف فلا تفترق الكلمة فاما الامامة فبناها على الاجتماع
الاجتهاد والاحكام الصادرة من الائمة مستفادة من الاستنباط
من فصوص النصوص وذاك ايضا اجتهاد ولو فرض امامان للامة
لافضى الى افتراق الكلمة وذلك ينافي الجمعية المطلوبة قوله
قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك اشارة الى ان التوصل
الى مشاهدة الاجابة ومعاهد الاصابة يتيسر بالتوسل بزلفة معهودة
يصلح للتقرب بها والفة محمودة تخلق للتحبب بها والدعاء اذا عري
عن امثال ذلك فعقباه الاجابة لا الاجابة قوله وواعدنا موسى ثلثين
ليلة حصل بها تمام ما عليه من رانبة الواجبة واتممناها بعشر حصل بها
الجمام وتمام ما له من تضاعف الفضل وترادف الطول ولكان الاول
لتحصيل السلامة والاخر لتفضيل الكرامة قوله والذين عملوا
السيآت ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك بعدها اي بعد النبوة
المتلافي بها ما فات من الامتثال والاهمال المتجافي بها عما بات لديه

من خطوب الذنوب ومريرة الجريرة ومن توهم خلاف ذلك
فقد حرف الكلم عن مواضعه قوله ولما سكت عن موسى الغضب
وان كان قد فسر بسكن ففيه اشارة الى ان الاخلاق هي مصدر الاقوال
والافعال فان الانسان اذا لم يتغير عن حاله لو تكلم تكلم بالانسانية
ولو فعل فعل بالمروة واذا انعزل عن الانسانية وعدل عن المروة
بتحول العوارض وتبدل النقايض فان المقال والفعال جالان
على العوارض كما قال تعالى قل كل يعمل على شاكلته قوله
واتل عليهم نبأ الذى اتيناه آياتنا بالايجاب وعرض لم يطابعهما قبول
فرض ولا شمول قبض استغنا بعرض النبض من غير التحامى والتداوى
والاكتفاء بالبرص عن النبض رضا بالتعامى والتغاوى فانسلخ منها
حين عقده على نفسه لنا النسخ وفيه اشارة الى ان ملابسة الآيات
وبدارستها صورة ولفظا من غير تانق فيها وتحقق بها سيرة وخطا
فذلك حال قلب وحال خلب يستطرق الى ذلك التجلد الانسلاخ و
الى ذلك التعقد الانفساخ فيعرى حينئذ عن مدارع الحقيقة ويصد
عن مشارع الطريقة فيحرم جدوى الاستعداد ويدوى بعدوى الاستعداد
قوله فاتبعه الشيطان اى لحقه الشيطان بالتوقف والتخلف
عن المامور ثم استتبعه واستلحقه بالتسوف والتطوف حول المرجو

عنه وانما فسرنا ذلك فان لفظ اتبع يستعمل بمعنى لحق وبمعنى استتبع
ايضا يقال اتبعت القوم اذا كانوا قد سبقوك فلحقتهم واتبعت غيرى
اذا استتبعته فاذن لما تعانى عن الامتثال ولحقه الشيطان فاغواه
ثم استتبعه بتدانى المعاصى فكان من الغاوين العادين فى
مهواة الضلال وموماة الخيال ولو شئنا لرفعناه بها لكن لا استغنا
منع الاستثنا فليس بحنابنا احتياج نحو احتياج الى طاعة كالليس
بعنائنا ضرر ولا حذر عن معصية اوجلاء بنا عن التاثر بواردات
الخير والشر وشاهدات الافراد والانكاد اذ الكل راجع الى العاملين
الآملين ولكنه اخلد الى الارض ركونا وسكونا اليها ظنا ان البقائه
فيما يكون له امد بعيد اومد ومديد ولما استمر على ذلك الامل واستدعا
الاهل والحول صار هوية دوية فاورثه العماية والغواية وسلبه الدراية
والهداية واصل الكلمة اللزوم على الدوام يقال اخلد بالمكان
اذا اقام به واخلد الرجل بصاحبه اذا لزمه ورجل مخلد اذا كان
لا يشيب فى اوانه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه ضربا وطردا يلهث
وان تتركه رحضا رايضا وناهضا يلهث وذلك لان كل شئ يلهث
سوى الكلب يلهث امام التعب والنصب اومن العطش والدهش
فاما الكلب فهو يلهث بكل حال واشار بذلك الى ان العاوى الغاوى

اذا استقر في لبه وعينه لا يسمع فيه الاستدعاء ولا ينفعه الاسترعاء، كما قال
تعالى سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون قوله واذ اخذ
ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم سئل عمر بن الخطاب رضي الله عنه
عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عنها فقال
ان الله تعالى خلق آدم فمسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال
خلقت هولاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه
ذرية فقال خلقت هولاء للنار وبعمل اهل النار يعملون فقال ففيم العمل
يا رسول الله فقال عليه السلام ان الله تعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله
بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخل بذلك الجنة
واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال
اهل النار فيدخل بذلك النار فان اردت ان تدرك من معاني هذا
الحديث فايدة او تملك من مبانيه عايدة او ان تحفظ من سورة هذا
الحديث اية او تلحظ من صورته غاية فانظر الى صنعة الله تعالى في الحب
المبثوث المحروث في الارض المربعة اذ ذرع الله تعالى اياه يضاهي
مسح ظهر آدم وتامل في استخراج الاصول الغذائية من الفضول الحشيشية
والحطبية ثم استخراج الحشيشية والحطبية من الغذائية فما كان
منها غذائية يضاهي الخلق ما هم للجنة وما كان حطبية وحشيشية

فهو يائل من الخلق ما كان للنار ثم الغذائية لا يتصور تربيتها الا بوسائط
الحشيشية اذ تشربها الماء، لا بد وان يكون بوسائط الحشيشية وتربيتها
بالشمس لا يتيسر الا بحوائل الحطبية اذ لو ارتفعت الوسائط لتعفنت الغذائية
ولو ازيلت الحوائل لاحترقت الغذائية فالاصل بالفضل مستتر ومنه مستمد
كما ان الفضل في الاصل مستتر ومنه مستمد قوله واشهدهم على انفسهم
الست بربكم قالوا بلى وانما انسانا الله تعالى الميثاق والعهد ليصح الاختيار
ولا نكون نحن المضطرين او المراد بهم بنو آدم الموجودون على الدهر
فان الله تعالى اشهدهم على انفسهم بما ابدع فيهما من دلائل التوحيد حتى
صاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا بلى على وجه الدلالة
والاعتبار ويحتمل ان اقرار الكل بذلك من حيث ان الانوار التي
بها الابصار وان اتيحت للبعض تملكا فقد اتيحت للكل الاستضاءة
بها بحكم الجوار ما لم تعق العوايق او تختلف الطرايق فمن لم يصب النور
تملكا حصل له الروية ولا هناك او صاح دافعه لما فاقر الكل بحكم
التوحد المقر وتفرد المر فلما تعدد المنازل وتبدد المناهل وحالت
الحوائل وتوسطت الشواغل فمن صحبه النور المتملك نبى على الاقرار
ومن فارقه النور المعار نشئ بالانكار ويحتمل ان يقال الاقرار لم يعقبه
الانكار اذ الكل على سنن الاعتراف بربوبيته جار بعد ذلك الاقرار

هو التخلف عن مواجب العبودية ورواية العبادة وتشبه ذلك اعتراف
المدعى عليه بشغل ذمته وثبوت الحق لديه مع التخلف عن ابراء الذمة
فانه لا ينفعه الاقرار دون الاداء قوله خذ العفو اى بالعفو خذوا
الخرق وصفوا الرتق من العافى والمعفو عنه ففى العفو مستطلع صلاح
الحال ومتوقع نجاح المآل وذلك تصدق بصحة توثق القبول ويمكن
الحصول للجزاء قال تعالى فمن عفا واصلح فاجره على الله ويحتمل ان العفو
الماخوذ اريد به التسهل الميسر اذ يقال اخذ ما عفا اى سهل وصفا فكانه
تعالى صرفه عن التعمق فى المطالب والتدقيق فى المكاسب رضى بالترفق
وقناعة بالتعوق وتعافيا عن التكلف فكانه تعالى امر بانفاق العفو
وبأخذ العفو فلا تمد عينيك كوما تاخذ جشعا ولا عقيب ما تنفق جزعا
وكن سمح الاخذ سمح العطا واقف الهمة عن الميسور عارف التهمة
عن المعسور وأمر بالعرف اى بالمعروف فعل معروف الشرع
سبيلك بل هو وليك الى الله ومشغوف الطبع يصرفك عن مراض
الله وتقاضيه واعرض عن الجاهلين تحليا بروح الصفح وتوليا
عن عراض القصاص فان سبيل المجازاة دحض مزلة قل ما يتيسر
فيه التوقف فى الموازاة فالاولى العدول عن العدل الى التفضل
كى تامن تخلل الزلل وتورط التخبط قوله واذكر ربك فى

نفسك لا فى غيرك بان تامره بالايتمار والازدجار وتنسى فى نفسك
فانه لا يطلب منك شان غيرك ولا يهمك شانك من اجل غيرك
او معناه اذكر ربك فى نفسك بالامتثال فيما طلب والاستقبال
فيما اليه ندب وبالارعواء عن المناهى والانتهاء عن الملاهى فاما
اذا ذكرته لقضاء مناجحك ومضاء مصالحك فقد ذكرت نفسك
فى الله لا ذكرته فى نفسك تضرعا اذ ذو الحاجة الطالب يضرع
وخيفة اذ الخائف من جنى الجناية يخضع وكلاهما يتقال عند
الله تعالى بموقع الاحماد وموضع الاسعاد ٥

من سورة الانفال

قوله تعالى واصلحوا ذات بينكم انما انث ذات لان
بعض الاشياء قد يوضع له اسم مؤنث ولبعضها اسم مذكر كما
قالوا دار وحائط انثوا الدار وذكروا الحائط والمراد اصلحوا
من البين ما وقع سببا للتدابر والتهاجر بالرفع او الوضع ولا تخفى
ان ما كان مادة التنازع هو الذى صار جادة التقاطع وما
ادتث به حبل الوفاق عند انبرامه واحتث به خيل الشقاق بعد انعدامه
فلا بد من ان ينبغى حتى يكفى غوائله ويلقى مواصلة والفاقة الغوى اذا لم
يفارقه الداء الذى الردى وترك البقية قبل ان دفع من مرضه

البقية لم يامن ان يكون النكس عايدة ووافدة قوله انما
المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اى ذكر الله ثم هم ذكروا
الله تنبيها بتذكيرهم او تشبيها فيغروهم اولا تخجل العطل ما كان بهم من مهلك
الكسل عن الابتدار الى الاذكار حتى ذكرهم التلقف عن الغير فغزبهم
التلهف مع هذا الطور مع ان مصدر هذا النشاط لم يكن ماضى التطو
وعن مثل ذلك عبر القائل بقوله

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة ٭ بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلى فهيج لى البكا بكاها فقلت الفضل للمتقدم

ثم يعلوهم وجل التفوق ووهل التفرق عنه اذ التخوف لابن عند التخلف
ويحتمل ان يقال العبد الحقير الفقير اذا ذكر الله العظيم يوجل قلبه شفقا
من الرد وفرقا من امتناع القبول اذ جلال استغنائه يسلب اولى
الامن وزينة السكينة من القلوب فاما ذكر الله تعالى العبد
فذلك من امارات قبوله ووصوله فلا غرو فى ان يطمئن قلبه كما
قال تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب وقوله يا ايها الذين
آمنوا فحصل لهم الامان من عذاب الله بضمان الايمان وحصل للمؤمنين
الامان منهم فلا يصيبهم منهم اذى ولا شذى استجيبوا لله وللرسول اى
اطلبوا الاجابة لله وللرسول من نفسكم وجنسكم فعلموا جوارحكم افتراس

اوابد الامتثال عن بشر الذكر لقيم الاسم وسلموا كوادحكم لاحلاس فوائد
الاحتمال بحذر التضجر وسبر التشكر واستدعوا غيركم الى اقامة وظائف
الابتدار الى الايتمار لدى الامر وادامة صوارف الانقياد والانزجار
عند الزجر اذا دعاكم موحد الضمير اشارة الى ان اجابة الرسول
صلى الله عليه وسلم متضمنة لاجابة الله تعالى لما يحييكم اى لما يورثكم
الحيوة الدايمة فى نعيم الآخرة او بالقرآن والعلم الذى به حيوة
القلوب وقيل اراد به احيا امرهم بجهاد العدو والشهادة
وذلك لان الشهداء احيا عندهم واعلموا ان الله يحول بين المرء
وقلبه بنقض العزايم ودفض الصرايم فلا يتاتى له نظم اغانى الامانى فى
ورسم انتجاع الاطلاع على وفق اقتضائه وسوق ارتضائه الا بتوفيق
من الله تقديرى وتلفيق منه تدبيرى وقيل المراد بذلك حيلولة
الاجل دون بلوغ الامل ولا يخفى ان بين النفس والقلب تقابل
المجاورة وتقاول المجاورة وان النفس للقلب قرين ظنين
لما داد فين ورا افين وان القلب للنفس خفير ظهير له ضمان الامان
ولحاظ الحفاظ لها وان فى اقترانهما مظنة اعداد الارداء من النفس
الى القلب ومظنة ابداء الاجداء من القلب الى النفس وذلك بوسايط
الغلبة وبسايط القلبة ولا ريب ان المقترنين اذا غلب احدهما

على الآخر يتشكل المغلوب بشكل الغالب كما علمت من شان الاكدار
والكاينات ثم اذا غلب مزاج القلب على مزاج النفس تتشكل
النفس بشكل القلب وبالعكس تتشكل القلب بشكل النفس ثم
ذلك كله اذا لم يحل بينهما حائل او شاغل فاما اذا توسط الحوائل و
تبسط الغوائل فيما بينهما تنقطع ما بينهما وفقد التراسل وعلقة التواصل
فاما المؤمن الموقن يحول الله تعالى بين قلبه ونفسه لئلا يتخبط
عدوى اهوا النفس ودعوى اراءها واما الفاجر الكافر يحول الله
بين نفسه وقلبه لئلا يصل اليها جدوى الدواء وسلوى الشفاء من
القلب قوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم
خاصة بالتصام عن معامرة وسائلها والتصامم عن مخامرة مسايلها
فان الفتنة صما تصم مسامع الصدق عميا تعمى عن مشارق الحق
والى ذلك لا اتقا اشار امير المؤمنين على كرم الله وجهه كن في الفتنة
كابن اللبون لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب ولا ريب ان الفتنة
يتعفن الهوى السليم ويتافن بها الراى القويم وان الهواء
الوبى ليحدث الداء الدوى من سوء المزاج لا يبرى عن حسن
العلاج فكيف بالاستنشاق لروح الفتنة والاسترفاق بسمها دائما
وان لم ينزل المتنشق المسترفق في حلل العلل يتجاوز الحد والعد

في التناول والتداول تعبينا وتجبينا وكمية وكيفية فعمايد الامراض
والاعراض يتنسم عرضا وتوسم خشفها دون تقحم عسفها فافهم لابد و
ان ينبغي السلامة من الملامة ان تباعد عن الفتنة وحوبها و
تقاعد عند معتمها كما قال صلى الله عليه وسلم انه سيكون فتنة
يكون القاعد فيها خيرا من القائم والقائم فيها خيرا من الماشي
والماشي خيرا من الساعي والفتنة اذا تهيج نارها وتوهج اوارها
بصيب شررها المستطير وشر المستثير كل من اقربها او اقدها
غير منكر لها واذا تموج بحارها سلع وشح نفحها وعش طيشها
كل من قاربها او ناسبها وقوله واما تخافن من قوم خيانة
وعاقدتهم مهادنة ثم صادفت مداهنة خيانة بنقض عهد انكث حباله
ورفض عهد ارثت شماله وذلك اذا قرع الاسماع تخاوض بالغدر
وتحاوض بالمكر في المكر فانبذ اليهم العقد بفسخه والعهد بنسخه عند تشام
دوائح خلف الموعود وضعف المشهود وعلى سواء تعذيره حتى تكون
على سواء من تهيئة اسباب جمع الحذر والحذر وتوطية العاب
دفع الخطر فان الهجوم بالشرة على الغرة وجه محذور و الفتك
هتك محظور والخيانة تباين الديانة ان الله لا يحب الخائنين ولو
استعملت الخيانة مع الكفار فالمستقبح لا يستحسن وان جرى

مع المفتوحين وقوله يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك
من المؤمنين فمحل من اتبعك نصب الله تعالى هو الكافي الوافي
لك وللمؤمنين ويجوز ان يكون رفعا اى حسبك الله ناصرا وحسبك
اتباعك من المؤمنين في الظاهر

من سورة التوبة

قوله تعالى لقد نصركم الله بما نصرتموه عن انفسكم حين استرعاكم
واستدعاكم لنزع طاغيتها البادية ودفع لاغيتها العادية والانصراف
عن اتباع اهوائها المعدية والانكفاف عن استماع ارائها المردية
بعثا لها على استقبال امر الله تعالى بالاقدام والامتثال وقفا لها على الله
وابتغاء مراضيه على وفق تعاضيه حتى صارت محصورة في صيانة التقوى
وحضانة نجواه ومقصودة على اعتياد الانقياد وادمان الاذعان وجمع
السمع للطاعة حسب الاستطاعة في مشابه المكاره ومناشط المغابط
ثم نصركم على غيركم بان اتاح لكم عزة النصر وبهرة المصر للاعداء و
ازاح عنكم ذلة تطاول الخصم وعلة التخاذل فيما بينكم في مواطن
كثيرة كيوم بدر والاحزاب وخيبر وغيرها ويوم حنين اذ اعجبتكم
كثرتكم فنسيتم قلتكم وذلتكم حين كنتم فيها عرضة للتخطف بالاخطار
وفرضة لتصرف الاغياد وكان ينوبكم فيها وهن الاستضعاف
وبهزن الاستخفاف فظننتم ان تأبد التايد الذى استمر عليكم مننة

واستقر لديكم مضلة من قبلكم وذلك خيال لا يصدق عند العبارة
وخال لا يبرق لدى الاشارة فلم تغن عنكم شيئا اذ غناء الاعجاب
لا يطرب بل ينصب ويتعب والعجب مطلع العناء ومن جعله متوقع الغناء
فذلك طمع في غير مطمع ورعي في غير مرتع وضاقت عليكم الارض
خبرة وضجرة بما رحبت اى برحبها وسعتها فكانه انسد عليهم
درب المدارج ولحب المخارج ثم وليتم مدبرين ناكبين للهزيمة بنيتين
عن العزيمة ثم انزل الله سكينته على رسوله حلاه باون السكينة
وتولاه بامن الطمانية واتاح له التثبت النافي للتشبث و
على المؤمنين فسرى من قلبه اليهم امداد ضمان الامان واعداد
عون الصون فكروا بعد تمام ما فروا وانزل جنودا لم تروها اذ لم
ينزلوا لنصركم وانما نزلوا لقهر الكفار وحصرهم ولهذا راى الكفار
الملائكة ولم يروها المؤمنون ولما نزلت الملائكة لنصر المؤمنين
يوم بدر ترآءت الملائكة للمؤمنين حتى يطمئن برؤيتهم قلوبهم
قال سعيد بن المسيب حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين
لما التقينا نحن واصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لم يقفوا لنا
حلب شاة فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم اذا انتهينا الى صاحب
البغلة الشهباء يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقانا رجال

بيض الوجوه حسان الوجوه فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا
فرجعنا وركبوا اكتافنا وروى ان رجلا منهم قال للمؤمنين
بعد القتال اين الخيل البلق والرجال عليهم ثياب بيض ما كنا
نراكم الا كهيئة الشامة وما كان قتلنا الا بايديهم فاخبروا بذلك
النبي صلى الله عليه وسلم فقال تلك الملائكة وقال شيبة بن عثمان
بن طلحة الحجبي خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين
والله ما اخرجني الاسلام ولا معرفة به ولكني انفت ان تظهر
هوازن على قريش فقلت انا واقف معه يا رسول الله اني
ارى خيلا بلقا فقال يا شيبة انه لا يراها الا كافر مشرك فضرب
بيده على صدري ثم قال اللهم اهد شيبة ثم ضربها الثانية فقال اللهم
اهد شيبة فوالله ما رفع يده من صدري من الثالثة حتى ما كان
احد من خلق الله احب الي منه وتنبيه عما ذكرنا قوله تعالى
بعد قوله وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك
جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء ممن
فر من الزحف والله غفور لمن تاب رحيم بما استرحم منه
بالتوبة والاوبة اليه قوله تعالى فانزل الله سكينته عليه وايده
بجنود لم تروها لا فرق بين المتوكل وغير المتوكل في جريان التقدير

وسريان

وسريان التدبير اذ لا يحتبس قلم الامر ولا يندرس علم القدر
بالتوكل والتسليم لكن يفترق الحال بينهما بتحلي المتوكل بزينة
السكينة فلا يزعجه عن قرار الوقار نشر المنتشرين بالتوقع ولا
حشر المتمنع واذا حل به المقدور تلقاه باقدام الرضا بموجبات
القضا وغير المتوكل لا يفارقه الجشع انتظارا ولا الجزع اصطبارا
ولا الفزع تجلدا بل يستفزه قلق الفرق قبل الوقوع وضجر الحظ
بعد الوقوع ففي هذا حصل التباين بينهما قوله تعالى يؤمن
بالله تعظيما لامره بالاستقبال باقدام الامتثال عند ورود وفود
اقسام الاحكام تقيدا بالتقلد وتعودا بالتعبد ويؤمن للمؤمنين
اي يصدقهم في دعويهم الايمان فيجري عليهم احكام المؤمنين واللام
على هذا زايدة لقوله عسى ان يكون ردف لكم اي ردفكم واللام
للفرق بين ايمان التصديق وايمان الامان او يؤمن بالله للمؤمنين
فيسعى الى منتهى سعيه في سبيل الشفقة ويرعى اوفى رعية اتاحة
للمسار اليهم وازاحة للمضار عنهم بنفسه وبغيره من نفسه ومن
غيره فان الايمان بالله يحمله على ذلك فكانه امن بالله لنفسه
فامنها من سوء العذاب وامن بالله للمؤمنين فامنهم من اهمال
حقوقهم ولا خلال بوثوقهم قوله تعالى والمؤمنون والمؤمنات

بعضهم اولياء بعض جمعهم ولاية الله فى اكناف التراحم ونفاهم
عن اطراف التراحم وان نأى بهم المزار وشطت الديار بتراحم
فيما بينهم امداد ملاحظة المحافظة واعداد تجاور التناصرة اقوالا و
افعالا واحوالا مع التنائى وعدم التراآى فانهم وان تزاحموا صورة
فقد تراحموا صفة وسيرة فان شظايا الاذايا الواقعة فيما بينهم داعية
التكفير وساعية التطهير فتصير الزحمة رحمة فتبين ان حركات كل المؤمنين
مع المؤمنين فيما يحمد وفيما يذم تعود بركات الجميع عليهم والمنافقون
والمنافقات بعضهم من بعض وعلى بعض فانهم وان تشابكوا فى ارحام
الانساب وتشاركوا فى اقسام الاسباب فالكل للكل فى حمل الجبال
وزر الوبال فيكون اصلاحهم افسادا وانجاحهم انفادا واسعادهم
تعيبة واسعادهم خيبة وهم وان توافقوا ظاهرا فقد توافقوا
حقيقة يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر اذ بها يتحرز فحوى
النصيحة من دعوى النصيحة التى هى قوام اصل الدين وبه نظام فضله
جريا على منهاج ان يحب للناس ما يحب لنفسه ورعايا المدارج ان
يكره لهم ما يكره لنفسه ولا يخفى ان المؤمن يستحب معروف الشرع
وان كان موروف الطبع ويكره معروف الشرع وان وقع مالوف
الطبع فيستعمل فى المؤمنين ما يستعمل فى نفسه ولنفسه ويقيمون

الصلوة من غير تقاعد فى اقامتها وادامتها ولا تباعد تحسين
هيآتها وتزيين مرآتها بالخشوع والخضوع ويؤتون الزكوة طهرة
عن داب الذنب وسترا لداخل البخل تناضلا عن رذائل وتوسلا
الى الفضائل فوظائف الابدان يعاضدها عواطف الاموال
اذ بمجموعها يتايد الاستيفاق ويتاكد الاستيثاق ويطيعون الله ورسوله
فى صوب الاستقامة عن لحب الاستدامة فلا يابون فى امور ورد
على وفق الرفاهية ولا ينأون اذا ورد على سوق الكراهية
فلا يعذر تارك الطاعة فى الخصلة المستطاعة سرت تلك
الطاعة او ظهرت وذلك لان طاعة الله تعالى مادة الصلاح و
عليها جادة الفلاح من احتسب بضاعتها فقد حذر خسار البوار
وظفر برياح النجاح ومن اكتسب صناعتها توطأ له اكناف رتبة
القربة وتهيأ له اصناف زلفة الالهية اولئك سيرحمهم الله بجبر التكسير و
تدارك التقصير وعفو العدول عن عرض العدل الى محض الفضل
وفيض الطول فانهم وان تلقوا المامورات بيمن القبول وتوقوا
المنهيات بحسن النصول لو نصب لهم ميزان الحساب الذى
ينشر ديوان العقاب لاورث الوزن الحزن الخادش والغبن
الفاحش فتلافى حالهم بمراحم المراحم التى بها كمال النقص وتمام

الوقص ولذلك عقبه بقوله ان الله عزيز حكيم اشارة الى انه يعز بذل
ما عنده بالمنى ولا بالهوى بينا الا ان يتدارك السعى باللطايف الرحمانية
والعواطف الربانية فيلم بها الشعث ويرم بها الرتب على وفق
الحكمة اتماما للنعمة قوله تعالى خذ من اموالهم وقوفا دون الاستقصا
على الاحفاء واكتفا اكتفا بصفو العفو لئلا يفضى الى الاجحاف
المجانب للاسعاف صدقة تطهرهم تزيل سقام السام ومرض
التعذير وعرض التقصير وحدث الازدرا بالطاعة وخبث الاجترا
على المعصية وتزكيهم تعيد عليهم سلامة الجد وسامة الجدو تعيد فيهم
الاستعداد لقبول التربية والاستمداد بفضول التسوية وصل
عليهم ان صلوتك سكن لهم والصلوة الدعاء وهى تحط عليهم عايدة الصحة
وفايدة السلامة ان الله هو السميع لدعائك العليم باحوالهم فى المطاوعة
والمتابعة وقوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم
بمبايعة حاوية لايجاب العبادة وقبول العبودية مع جميع المرافق و
العلايق العاملة منها والعاطلة الخارجة والداخلة قطعا لتصرفهم
عنها المفضى الى التعسف فى الحال والتاسف فى المآل ودفعا
لتكلفهم فى اعمالها واهمالها المقتضى لجر كساد الفساد فى العاجل
ورفع رياح النجاح فى الآجل ليتعوضوا عما كان لهم فى الاشتغال بها

على سبيل الاستقلال من استعمال القوى والآلات والدلالات
على سبيل المجازفة والمعارفة واستغلال مدارك الممالك من
فنون الفتون المذهلة وانواع العوايق والطوارق المغفلة
مناسك التوفيق الذى هو مادة الزلفة ومسالك التوفيق
التلفيق الذى عليه جادة الالفة ويستبد لواعى تلونوا فيها
بين تقلباتهم وتكشباتهم من الرذائل بالفضائل فينفذ فيها
احكام الله تعالى فيها بالعسر واليسر سوا كره او يرفه لما انقطع
عنها علقة صلف الآرآء الردية وربقة كلف الاهواء الوبيئة فصار
عرضتها سلمة لاشية فيها لرد حكم الله تعالى او لصد عن رسمه اذ
تلك معاوضة مربحة ومقايضة منجحة وكان يتصل عن البخل سبب توصله
الى السخاء ويتعفف عن الطاعة وسيلة تشوقه الى القناعة وتوبة عن
الكبر وصلة تجريه للتواضع وانما لم يقل اشترى القلب وهو الاصل
فان النفس والمال عليها الممر الى القلب والقلب هو لله تعالى
لكن هو محفوف بالنفس والمال فلا يتيسر للقلب سيرا الى الله تعالى
الا على ممر النفس والمال واذا لم يكونا لله فيقعان مانعين عن
تلك السراية بان لهم الجنة وانما لم تبين سنن الثمن مع ذكر الاشترا
اشارة الى ان الثمن انما يحصل اذا حصل التملك بالاشترا

والنفوس والاموال باسرها ملك الله تعالى ولكان ما حصل التابع
في تلك المبايعة من التحلي بالاخلاق السنية والاعراق الرضية والتخلي عن
ذميم الخصال ولئيم الخلال وقع في معرض الثمن والجنة جام كيل الفضل
بعد التمام وذلك كقول القائل اشتريت منك كذا بتلك الشجرة
بان لك اكلها ونزلها اصلها وفضلها يقاتلون في سبيل الله فيقتلون
مكابدة للحي بهذة ومغالطة ومغايظة مع اعداء الله تعالى ويقتلون
رغبة في نيل الشهادة وشمل السعادة وعدا عليه حقا لا اخلاف
ولا اجحاف اذ وعده نقد لا يتطرق اليه فقد في التورية والانجيل
والقرآن اذ الكتب كلها نسخت من اصل واحد وما نسخت فاصولها
محكمة لا يتطرق اليها نسخ فان كانت فصولها قابلة للتغيير والتقرير
حسبما يقتضيه المناهج ويقتضيه المصالح ومن اوفى بعهده من الله اذ هو
يقابل خفا العباد بالوفا ولا يخل بحضرته عقد الكرم لجيد البرم ثم من يفي
بعهده يستوفي كمال انعامه وجمال اكرامه فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم
به فقد بعتم ملك الله تعالى منه بالملك الباقي للهلك وذلك هو الفوز
العظيم اذ لا مزية للعبد فوق الاصطفاء بارتضاء الله ولا حذوة اعظم
من الاسعاد بمجاملة معاملة الله تعالى فلذلك حصر الفوز بلطفه هو
ثم عظمه لان ذلك يتضمن الحوز للثواب كما يتضمن الفوز من العقاب

قوله

قوله ما كان لاهل المدينة الذين آووا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بشرط بذل المجهود وتولى الموجود في العسر واليسر والمرفه
والمكروه نفسا ومالا حالا ومآلا ومن حولهم من الاعراب الذين
اووا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لضبط الاستظلال بافيائه
وربط الاستقلال باعبائه ان يتخلفوا عن رسول الله عند ورود
النوائب المصحرة والكرائب المحطرة فان التخلف عند الشدائد
يضاد التآلف ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه طلبا لرفاهيتها
وحذرا من كراهيتها اذ مرافقة رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الاسفار وموافقته في الاخطار وان كان فيها تمكن
النفس من وقع مذاق المشاق والتضمن لوضع الاذى البالغ
والشذى الكادح فقد يستلزم تروح القلب بنفح التزكي عن
تشكي اعراض الريب واعراض العيب وتفسح الحال بروح مراس
الاستيناس ودراس الاقتباس ويستحكم فيها استقامة قواعد الجد
للتلفيق واستدامة واردا لجد للتوفيق ذلك بانهم لا يصيبهم ظما
يهيج شررة الحرة ودهش العطش ولا نصب ناصب ولا تعب غالب
ولا مخمصة بعقبها منقصة من القوى النفسانية في سبيل الله
ومن يتأذى في سبيل الله فقد يترضى في المنزل عنده فالنوع

يصير هنالك تجمع اوصاف الوآم والتواسع فى اصناف المرام فهنالك
يشيد مبانى كلامانى لمن سلكه ولديه يمتد وها دالمراد ولا يطاؤن
موطيا بغيظ الكفار اذا اذاله اعدا الله لانتقام عن اداله اوليائه
وبعث خل الغيظ عليهم وبث حبل الغيظ فيهم يضاهى ادخال
شمل السرور فى قلوب المؤمنين وارسال فضل الحبور فيهم
ولا ينالون من عدو نيلا وقتل وجرح وجوح وسلب نهب
وشتم وذام فالاجحاف بالعدو كالاسعاف مع الولى الا كتب
لهم به عمل صالح وذلك لان افضل الاعمال الحب فى الله والبغض
فى الله فاذن كل ما اقدمت عليه لله تعالى سواء كان مع اوليائه
بترويح او مع اعدائه بتبريح فشاب عليه الثواب الجزيل والمآب
الجميل ان الله لا يضيع اجر المحسنين الا ان يضيعوا اجرهم بابطال
للعبادة محبط او اخلال بالعبودية مفرط ولا ينفقون نفقة صغيرة و
نزول ولا لحفل بها ولا كبيرة ذات توجه وتنويه الا كتب لهم
كتاب الملاطفة بالمضاعفة ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون و
هذاك امارة ارتضاء الاقبال اذ يتلقى بحسن لا حتظاء فى القبول

من سورة يونس

قوله تعالى ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس وبشر الذين

آمنوا فيه تنبيه على ان الانذار عام لا استغناء عنه فى زمان ولا
مكان ولا استغناء عنه اذ من حذر حين انذر فلا يتذر بالنذارة
بعد ذلك ايضا ابقاء على الاتقاء الحاصل وارتقاء فى درجات التقوى
فاما التبشير فهو خاص يلحق به المؤمنون فان من سواهم لا بشرى لهم
فيتضررون حين لم يستحقوا الابشار قوله دعويهم فيها سبحانك
اللهم وبحمدك اى انا نوفرت العطايا والمزايا فى حقهم من غير
تعوض ولا تعرض لها بالمسئلة وحين لم يحتاجوا فى التكرمة الى
تقدمة الدعاء عدلوا عن فحوى الدعوى الى تمهيد بناء الثناء وترديد
تنويه التنزيه فبدؤوا بالتسبيح اولا ثم ختموا تسبيحهم بالتحميد كما قال
وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين والدعوى الدعاء حكى سيبويه
عن بعضهم اللهم ادخلنا فى دعوى المسلمين اى فى دعائهم قوله
للذين احسنوا الحسنى وزيادة قيل الحسنى الجنة والزيادة الحظوة
بلقاء الله تعالى ويحتمل ان الحسنى اريد بها الخلة الحسنة والزيادة
تضعيف الحسنة كما ان من يزرع الحنطة يحصد الحنطة كما زرعها
لكن يزيد عن المزروع فى المكافاة بالمثل جنسا لا يزيد لكن
يزيد فى الكمية ونظيره قوله تعالى ثم كان عاقبة الذين اساؤا
السوأى فمن يزرع الشر لا يحصد الخير ويحتمل ان الحسنى رضاه عنه الله

والزيادة رضي الله عنه قوله ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم
فالضمير في قوله من يعود الى الله تعالى الذي هو الهادي ويحتمل ان
يعود الى العبد المهدي اي يهدي من طلب الله ورضاه وشاه و
يحتمل كليهما فانه لا يشاء العبد الا ان يشاء الله فمن شاء الله يهداه
الى صراط مستقيم ومن شاء الله يثبته على الصراط المستقيم قوله
وان كذبوك فقل لي عملي وهو الخير الذي اعمل حين استعملت
بحيث يحصل فايدة وعايدة ولا يحصلكم منه شيء ولا يصل اليكم
من بركات خيري شيء اذ التكذيب يقطع اسباب التعلق و
يبعد انقلاب التفرق ولا ريب ان الفرقة تمحو اسم الرفقة
ولكم عملكم الذي تداولتم وتزاولتم وهو الشر الذي عكفتم عليه وشغفتم
به فلا يبعد وكم ضره ويعروكم خاصة شومه ولومه فلا تحصلون
مني على طائل من تحمل عنكم فالجمعية على وفاق الارادة في مساق العبادة
والعادة يقتضي تعدية بركة الطاعة المستطاعة الى من هو بصددها
وعلى جدوها وان لم يباشر فعالها ومقالها واندفاع المغارم المآثم
عن مرتكبها ببركة متابعة اهل الصلاح الذين عندهم مطلع النجاح
ويمن مشايعة وفقة ميسر الخير وكل ذلك لازم التقرب والتجنب
بالارادة الداعية الى التوافق الساعية في التوافق فاذا انتفى

خصلة

خصلة الوصلة من تحقيق التصديق وتبدلت بتذبذب التكذيب
فلا جرم تحصل البراءة والشناءة ويضاهي ما ذكرناه الصلوة بالجماعة
فان الامام يتحمل عمن اهتم به قراءة الفاتحة اذا لم يدركها ويتحمل عنه
السهو الواقع به اذا سهى خلف الامام فقراءة الامام ينوب عن
قراءة المأموم اذا ادرك الركوع واذا سهى المأموم ولم يسه
امامه فكانه لم يسه هو ايضا وقوله الا ان اولياء الله
فالولي يستعمل على معنيين احدهما فعيل بمعنى مفعول وهو الذي
يتولى الله تعالى شانه واتيانه حاله ومآله فلا يكله الى نفسه ولا
الى غيره من جنسه كما قال تعالى وهو يتولى الصالحين و
الثاني فعيل يكون مبالغة من الفاعل وهو الذي يتولى امر الله
ابتغاء مراضيه حسب تقاضيه حتى صارت العبادة له عادة وصارت
عادته عبادة تخلقا باخلاق الله مستغرقا فيه لا طوافه متحريا صوب الاستدامة
في الاستقامة وما لم يزدوج المعنيان لا يتحقق اسم الولاية ولكان
الولاية رعاية جانبه عن الطوارق والعوائق وعناية جاذبة للتوفيق
والتلفيق فاذن اولياء الله هم الذين يتولاهم الله تعالى ويتولونه
هم لا خوف عليهم اذ لم يدع تدارك الخلل والتماسك عند الزلل
عما مضى مضيعة يستعقب معتبة فضا روادي احوالهم ونادي افعالهم
مغبة
ب

في امان من طرف الخوف وضمان لدفع الروع اذ الولي محفوظ بنظر العصمة
ملحوظ بنظر النعمة ولا هم يحزنون ومن تدرب بصناعة الطاعة
وتقرب اليه بحاعة الاتباع كيف يحزن واستقباله مقابل بالقبول
واسترساله محاول بالحصول والوصول فلا جرم يفرح ولا يترح
اذ الولاية خفيره والعناية اميره فيكون مصدر احواله الهاما ومورد
افعاله افهاما ويختص بتشريفات التعريفات الآتية فيما يعرض
له من فنون العبادات وشئون العادات ويلحظ بقيام المحاسبة
ودوام المراقبة عن قدر الفضول ووضر الفضول فيكون وليا موليا
الذين آمنوا وكانوا يتقون اباح لهم عقد الايمان حلي احسان الاحوال
الفاتحة وولي اتقان الاعمال الصالحة بعد ما ازاح عنهم عهد التقوى
مشابه المكاره وطنين النفس لهم البشرى يلقون بالخيرات
والخير الدارة في الحيوة الدنيا ودوامها بامداد الاسعاد واعداد الارج
وفي حياتها بنقد الموعود ووجد المقصود والمراد يبشرون بالمحادثات
البشرية والمكالمات القلبية عند الشبه للتنفعة لها والتوجه نحوه
الثالثة او في المنام باخبار بحصول المرام على سبيل الرؤيا ورد في التفسير
ان المراد بالبشرى في الحيوة الدنيا ما يبشر به المؤمن عند الموت
وقيل المراد به الرؤيا الصالحة يراها المؤمن وفي الآخرة بالنجاة

والدرجات والغفران والرضا والبشرى بالبقا واللقا، لا تبديل
لكلمات الله لا يتطرق الى احكامها المبرمة نقض بنسخ ولا رفض
بفسخ ذلك اي تولي الله تعالى امور عباده او تولي العباد امر الله
تعالى بالاستقبال والامتثال هو الفوز العظيم فحصر بلفظة
هو وقصر عليها اشارة الى ان الفوز البالغ والحوز السابغ
قوله وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله انه القادر
القوي والناصر الولي فعليه توكلوا اذ من توسل بالتوكل
عليه توصل الى المراد ان كنتم مسلمين له اعتيادا بالانقياد
لاوامره وزواجره واستقبالا بالامتثال لها فالايمان
يوصيك بالتوكل والاسلام يحظيك باذلالك واذالة
اعدائك قوله ربنا انك اتيت فرعون وملأه زينة
واموالا في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس
على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب
الاليم فقوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم اعترض
لاستجابة الدعا فتقديره ربنا ليضلوا عن سبيلك فلا يؤمنوا
حتى يروا العذاب الاليم فان موسى عليه السلام كان داعيا الى
الايمان فكيف يكون داعيا على امتناع الايمان فكانه قال

اموالهم التي وقعت سببا للضلال والاضلال لو امتعتهم بها لا يؤمنوا
حتى يروا العذاب الاليم فاطمس الاموال المانعة كي تتيسر لهم الايمان الذي
يدعون اليه

من سورة هود

قوله تعالى واستغفروا ربكم اي من الذنوب السالفة بالتلافي
للاوامر المتروكة اوزارها والتجافي عن المناهي المتهوكة استارها ثم توبوا
اليه من الذنوب الآنفة بالعزم الطارف العاطف الى الاسترسال
في صوب الامتثال اجتماعا على وفود الامر والحزم الصارف
العائف لمراسم الآثم استماعا لشهود الزجر والمراد اطلبوا المغفرة
ارادة ثم توصلوا اليها بالتوبة شهادة فالمغفرة اول في الطلب
وآخر في السبب والاستغفار كانه ازالة المرض والاستغفار والتوبة
كانه اعادة الصحة ويكون اعادة الصحة موقوفة على ازالة المرض
فلهذا امر بالاستغفار ثم بالتوبة فاذا زال المرض وعاد الصحة
فكانه لم يمرض والى ذلك اشار بقوله التائب من الذنب
كمن لا ذنب له قوله واصنع الفلك باعيننا اي بحفظنا
احفظ من نعاس ووحينا اي بعلمنا وعلمنا امرنا قوله
انه عمل غير صالح قرئ عمل غير صالح اي عمل سوء لحصول الاختلاف
وبطل الائتلاف حين اساء وقرئ انه عمل غير صالح صدر منك لم يتم

بوسم الصلاح اذ بذمك لا على سبيل التقييد للتعبد اذ سواك
ولم يوصف بوصم الطلاح فقد انحط عن رتبة الصلاح الجالب للفلاح
لما تطرق اليه الغفول عن المقصود والذهول عن المشهود ولو
بقي فيك آثار العادة المستمرة واصار تلك المقادة المستتبعة لحيف
الجار والزلل الى حالك واستمرار الخلل في مالك فيخلق من ذلك
العمل ابنك ففارقك فصار امرك ذا الالتيام والانتظام بمفارقته
ولربما يكون في الرجل الخير شيء غير مرضي فيتخلق منه الولد السوء
وكذلك ربما يكون في الرجل السوء شيء مرضي فيتخلق منه الولد
الصالح ثم اذا فارقه الشيء الصالح يفسد حال الولد ولقد سمعت ان
عبد الله بن عبد المطلب حين دعته فاطمة بنت مر الخثعمية الى
مباشرتها وراودته عن نفسه ولم يفارقه بعد مادة خلقة رسولنا
صلوات الله وسلامه عليه امتنع وقال اما الحل فلا حل فاستبينه و
اما الحرام فالممات دونه وكان تلك المادة مانعة له على ارتكاب
الحرام فلما تزوج آمنة وباشرها ذهب عنه ذلك النور انبعث داعية
لاجابة الخثعمية فاتاها فراودها عن نفسها فتفرست هي ان النور
انتقل منه فامتنعت هي ايضا قوله وعصوا رسله وهم عصوا هودا
فتبين ان من عصى رسولا قامت الحجة على دعوته فقد عصى جميع الرسل

قوله تعالى واستعمركم فيها اى جعلكم عمارها فيدل على ان الله يريد
عمارة الارض لا التبتل او المعنى جعلنا لكم مدة اعماركم كما يقال
اعمره داره عمرى وقوله هن اطهر لكم اى لو تزوجتم بهن واراد
ربك
نسا امته فكل نبى ابو امته وازواجه امهاتهم قوله الا ما شاء
اى من الزيادة عليها وذلك كما لو قال على الف الا الفين
يجعل ذلك اقرارا بثلثة الاف لانه استثنا زايدة من ناقص كانه
بالتشديد
قال لك الف سوى الفين قوله ان كلا لما ليوفينهم
معناه الا لقوله لما عليها حافظ لان لم ولا للنفى فضمت الى احديهما
ما والى الاخرى ان وهما ايضا للنفى فكان لما وقال الفراء اصله
لمن ما فادغم النون فصار لما وخفف وادغم الميم المفتوحة
ثم حذفت احدى الميمات اوهى من لممت الشئ اى جمعته ولم
يصرف مثل شتى ولهذا الاشكال قال الكسائى ليس لى بتشديد
لما علم وانما يقرأ كما اقرأنا واما لما بالتخفيف فما معنى كقوله
فانكحوا ما طاب لكم او هو لام القسم دخلت على ما التى للتوكيد
قوله ولذلك خلقهم اى للاختلاف خلقهم فان الاختلاف
فى الاحوال والصناعات والديانات مظنة الائتلاف والتعاون
للرحمة خلقهم ولم يؤنث على معنى المصدر اى خلقهم ليرحمهم

سورة يوسف

قوله تعالى يا ابت هو يا ابى والتاء للمبالغة كالعلامة
والنسابة او للتفخيم كيوم القيمة او منقلبة عن الواو المحذوفة من
لام الفعل مثل كلتا اذ اصلها كلوا قوله يا بنى اجتمع فيه
ثلثة يا آت ياء التصغير والاصلية وياء الاضافة حذفت احترازا
بالكسرة قوله انى رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم
اعاد رايتهم لانها رؤية سجودهم والاولى رؤية اياها ومع ذلك لو راى
ويمكن
سجود نفسه لله تعالى لكان خيرا له من ان راى سجود الخلق له و
ان ذلك وقع منه من مسودات دامية المحنة ومن المحتمل ان يضاف
ملك المحنة الى مخالفة اياه حين قال له لا تقصص رؤياك على اخوتك
واما جاذبة المحنة من قبل يعقوب عليه السلام هو ما صدر منه
من دعوى هجوم خيل الوجوم وفحوى شجن الحزن عند غيبته حين
قال انى ليحزننى ان تذهبوا به فاستبعد منه لانس بجنس الانس
اذ العبد ينبغى ان لا يستانس الا بمولاه وايضا فقد اعرب فى وصف
خوفه عن وهم عقولهم ووصم ذهولهم فعوتب فى ذلك عن اصابته
عن ذكره ملاحظة الله تعالى اياه بعين المحافظة قوله
وشروه بثمن بخس فقد نقل بعض القصاص ان اخوته اقدموا على بيعه

ولا يخفى امتناع ذلك فان الضمير في قوله وجاءت سيارة فارسلوا
عايد الى السيارة وكذلك في قوله وارد هم والضمير في قوله
فادلى دلوه عايدا الى الوارد في قوله واسروه بضاعة عايدا الى
السيارة وايضا اذ لم يجر ذكر الاخوة فيما بين ذلك وكذلك
في قوله والله عليم بما تعملون واذا كان الضمير في الجميع عايدا
الى السيارة ولم يذكر الاخوة حتى يجعل الضمير عايدا اليهم فيلزم من
ذلك ان يكون الضمير في قوله وشروه عايدا الى السيارة ويؤيد
ما ذكرناه قوله وقال الذين اشتراه من مصر اى شروه
بمصر فاشترى هو هناك فاذن لا ينقدح سوى ما ذكرنا فان اضافة
بيع الحر واخذ الثمن الذي هو من الكبائر الى الاخوة الذين هم
الانبياء امر فظيع يصحبها شناعة ويعقبها بشاعة كيف وقد قال
الله تعالى في احوال الامم الماضية وانبيائهم لا يعلمهم الا الله لا ينساغ
تقرير ما يقتضي نقصا او غمصا لنبي الا ما ورد به نص القرآن الصريح او
الحديث الصحيح بحيث لا يتطرق اليهما احتمال اندفاع الظاهر
بتاويل منتشئ من تاصيل متقدح وقوله وهم بها قيل تم هما
من قبل الشهوة التي جبل الانسان عليها وكلما كانت الداعية
اغلب كان الثواب في ضمها اكثر ولم يهم بمباشرتها قوله فقد

سرق اخ له من قبل قيل كان يوسف في صباه اخذ شيا
من الدار ودفعه الى سائل وقيل كان في حضانة عمته فلما اراد
يعقوب اخذه منها على كراهتها جعلت منطقة في جيبه من غير علمه
فسرقته لتسرقه فتمسكه كراهة منها للفراقه قوله لا تثريب عليكم
اليوم اى لا تعيير بتعديد الذنب وتجديد ذكره فان ذكر الوحشة
موحش مدهش واني قد عدلت عن معاملتكم بمثل صنيعكم الى
معاملة الله تعالى بمثل ما امر به وندب اليه وهو المجاملة بصفو
العفو ومقابلة المجرم بروح الصفح وتسبيب قلاص القصاص
والتنكب عن جدد القود فان راكب لجب العدل عادل
عن صوب الفضل ثم مقتضى العفو كف اليد والبنان عن
المعاقبة ومرتضى الصفح عف اللسان عن المعاتبة وكيف ابرك
معاملة الله تعالى وهي نجاح الرباح بعد الشروع فيها بجد العزيمة
وكيف اعدل الى معاملتكم وعندها موقع نكبة الخيبة بعد الرجوع
عنها بجهد الصريمة قوله حتى اذا استياس الرسل حتى تنسموا
رايحة الياس من ايمان قومهم وتوهموا فاضحة الباس فيهم وظنوا انهم
قد كذبوا قرئ بالتشديد وعلى هذه القراة الضمير عايد الى الانبيا
والظن بمعنى اليقين جاء هم نصرنا لاوليائهم وقهرنا لاعدائهم وهكذا

جرت سنة الله تعالى فى الانبيا وسائر الامم فان خيل الانتصار
وسيل الاقتسار لايهجم الابعدان لايبقى الرسل فى قياس الدعوة
منزعا الا استغرقوه ولم يدع الامم فى جعاب مراس التكذيب منزعا
الا فوقوه وكل ذلك لادحاض فجاج الحجاج منهم وقد قرئ بالتخفيف
وعلى هذا الضمير للقوم اى حسب القوم ان الرسل ما قيل لهم كان
كاذبا وكانهم المكذوبون وذلك لان من كذبك فانت مكذوب به
كما ان من صدقك فانت المصدوق وسئل سعيد بن جبير عنها
فى دعوة حضرها الضحاك مكرها فقال نعم حتى اذا استيأس الرسل
من قومهم ان يصدقوهم وظن قومهم ان الرسل كذبوهم فقال الضحاك
ما رايت كاليوم رجل يدعى الى علم لو رحل فيه الى اليمن لكان يسيرا ثم تيلكو ٥

من سورة رعد

قوله تعالى له معقبات ورد فى التفسير ان المعقبات الملائكة
يتعاقبون بامر الله فى العلم ياتى بعضهم فى عقب بعض ويحتمل ان المعقبات
هى ما يعقب الرجل به نفسه من الخيرات لتصير بها محفوظا وتلك المعاقبات
يتنشأن من امر الله المؤثر ويدل على ما ذكرناه قوله صلى الله عليه وسلم
معقبات لا يخيب قايلهن سبحان الله والحمد لله والله اكبر فعد التسبيح
والتحميد من المعقبات وعلى قياس ذلك يكون جميع اقوال الخير وافعاله

من المعقبات قوله ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا
وكرها فسجود الطوع كما اراد وارتضى وسجود الكره كما شاء وقضى فالعبادة
سجوده لاذ هى مرضية والعادة سجوده اذ هى مقضية او يقال يسجد
المؤمن بتعظيم الله والشفقة على خلق الله طوعا ويكون الباعث
منه نية التبتل الى الله تعالى باستعمال انضاء الاعصاب فى الامتثال
وطية التسلك عن مباغى النفس وملاغيها ويسجد الكافر والفاجر
ما يسعى فى اقامة الدين والسلامة الدنيا للمؤمنين وليس الباعث
لهما فى ذلك تحرى مرضاة الله تعالى ولا توخى لقائه كما قال
صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ليؤيد هذا الدين بالرجل
الفاجر وقال عليه السلام قوام امتى بشرارها ومن سجود الكره
ما يحدث من الحيوانات والجمادات بالتسخير وسجود الطوع ما ياتى
به الملك والانس بالاختيار او يقال سجود الطوع للروح والقلب
لما فيهما من الاهلية وسجود الكره من النفس لما فيهما من الاحسه وقوله
يمحو الله ما يشاء ويثبت من الاعمال التى يرفعها الحفظة فلا يثبت
الا ماله ثواب او عليه عقاب وما سوى ذلك فياتى عليه المحو
قال ابن عباس رضى الله عنه ان الله تعالى يمحو ويثبت مما كتب
من امر العباد الا اصل الشقاوة والسعادة فانه فى ام الكتاب

واثبات ذلك ليعتبر المتفكر فيه بان ما يحدث على كثرته قد احصاه الله ومن
المحتمل ان يقال سبب المحو والاثبات ان اللوح المحفوظ الذى نصب
لاسرافيل عليه السلام ليراجعه ومطالعه عند اقدامه على التصرف فى
الارواح والاشباح والحيوة والممات والرزق والرفق بسطا وقبضا
رفعا وخفضا ليقع على وفق المسطور الموصوف والماثور الملقف ولو
لم يات على الكتاب المسطور المتصرف له التغير بطى المنشور بالمحو
اثبات اشتات الامور بتحوام التقرير لكان علم اسرافيل عليه السلام
مطابقا لعلم الله تعالى المستاثر به لا يتطرق اليه وسم التبديل ولا وهم
التحويل وموافقا له فاذن لا بد من المحو والاثبات لينظر التباين
وان القضا باللاحق عرضة لانتقاض بالسابق ٥

سورة ابرهيم

قوله تعالى وما ارسلنا كم من رسول الا بلسان قومه ليبين
لهم فلابد وان يكون الرسول موافقا للمرسل اليهم فى اللسان مطابقا
لهم فى البيان حتى يتصور منه التفهيم ويتيسر له التعليم اذ الوحية اذا تفوهت
بمسامع الاعاجم من غير توسط التراجم فلا افادة ثم للاستيناس المبهج وللاستفادة
للاقتباس المنتج وعلى هذا لا بد ان يكون المعلم المكلم مناسبا للمعلم متعادبا
له فى محاسن الاخلاق الرضية وميامن الاعراق الزكية حتى يتيسر له

جودة التلقن وعودة التفطن ويتهيا له خصلة الاقبال ودولة
القبول ودوق الحصول فكما لا يتصور انهام انهلم اللغات الملغاة
بالتدارس العرى عن التجانس لا يتصور تفهم دقايق الحكم والترنم بمحاسن
الاسرار العلوم دون تشابه البال وتشاكه الحال فلسان الرسول
كالموجب بعقود الابلاغ وقلب المرسل اليه كالقائل لعهود البلاغ و
اذا تقابلا فى المشاكلة وتعادلا فى المماثلة يتيسر الاطلاع على مشارق
المعارف والاستماع بلطايف العوارف فيضل الله من يشاء وهو
الذى تباين نفرة وتهاون بالرسالة حيرة ويهدى من يشاء
وهو الذى استلبت قبالة القبول واستصوب حالة المنقول بتحرير دعوى
اتمام التشبه وتقرير الدعوى بالاحجام على التشوه وهو العزيز الذى من
عزته طراد الآبى وشواد النابى الحكيم الذى من حكمته اقبال الاتى
واعمال المواتى وقوله وذكرهم بايام الله أى ايامه الذى اجرى
فيها المطيعين نعمه وابدى فيها للمضيقين نقمه او المراد به الايام التى شرفها
الله تعالى باباحة سنايا المواهب وارادة مزايا الرغايب فيها على العباد
والبلاد كيوم عرفة وعشر ذى الحجة ويوم الجمعة وشهر رمضان وكذلك
الليالى كليلة القدر وليلة النصف من شعبان فكانه امره ان يذكرهم
تلك الايام لئلا يتغافلون عن القيام بحسن المحافظة ويمن الملاحظة

تعظيما لحرمات الله وتعظيما لشعائر الله فيها ويتحاملوا فيها على النفس
والجنس باقامة وظايف العبادات التي هي من عواطف السعادات
وادامة امداد الاوراد التي هي من وسائل التقرب ووسائل التجنب فيتمرن
فيها بهذه الشؤون ويتدين بهذه الشجون فيصير ذلك عادة ودبا لاغا رقه
تلك العادة التي تعودها في هذه الايام فيصير سائر ايامه كتلك الايام
والمراد انهم اذا تذكروا في هذه الايام على منهاج التعود بالتعبد و
مدارج التعهد بالتودد صارفين عنان الهمة عما سواها من الايام
فكانهم توهموا زوال ملك الله تعالى بزوال تلك الايام حتى زالوا عن
العبادة الى العادة او عن الطاعة الى المعصية فينبؤن ان له الدين
واصبا وله الحكم دائبا وناصبا بل ينبغي ان تحضر في هذه الايام لتشهد
الطاعة ولا يغيب سائر الايام بموجود الاضاعة ولهذا ختم الاية بذكر
الصبار والشكور تنبيها ان جنس النفس في جميع الايام عن انواع
اهوائها واوزاع اراءها المقتضية للتمتع بصياصي المعاصي والتمتع بتملكه
الترفه لا يتصور الا الصبار وحملها في جميع الايام عن الدؤب
في الطاعة بحسب الاستطاعة لا يتيسر الا الشكور وقوله
فردوا ايديهم في افواههم اي عضوا عليها من الغيظ او ردوا ايديهم
على افواه الرسل على المثل اما على ردهم قولهم واما بايمانهم اليهم ان

اسكتوا وحكى ابو عبيدة عن بعض كلمة في حاجتي فرددته في فيه اذا
سكت ومن المحتمل ان يقال الكبائر تمنع القائل عن القول
فكانها ترد في فيه والصغائر تقع مانعة عن الاستماع كما قال نوح عليه
السلام واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم في اذانهم وقوله
وعلى الله فليتوكل المؤمنون عقيب قوله وعلى الله فليتوكل المؤمنون
يشير الى ان المؤمن اذا توكل على الله في بعض احواله او في بعض اوقاته اعماله
فقد انطلق عليه اسم التوكل لكن لا يكفي المؤنات باسرها ولا يليق
بالمعونات باجمعها فان الكفاية التامة والعناية العامة هي
لمن توكل على الله في جميع اوامره وكل موارده ومصادره ولهذا
امر المتوكلين بالتوكل وقوله الم تر كيف ضرب الله مثلا
كلمة طيبة طابت لما صابت وكانت بحيث ما نابها خبث الاسراف
في المشهود ولا رابها حدث الاخلاف في الموعود فصارت للقدس
شاهدا وللانس رايدا وهي كلمة صدق صدقها كمال العدل على
ميثاق التقوى وحققها جمال الاحسان على ميثاق التقوى بل كلمة
عدل عدلت شهود قضايا العبادات بتزكية الجوارح اعمالا وتنقية
الجوانح احوالا وحملت ورود خطايا العادات بالكف عن جمع
الطمع والعفة بحاعة القناعة وقفا على الضرورة بل كلمة تقوى التي

تقوى بهمة السنية لاداء الامانة المفروضة عبادة والقضاء للحقوق
المفوضة عبودية كشجرة طيبة ابهج غضارتها ونضارتها بمرآتها اللطيفة
وتارج بسرها وزهرها بطرفة حرفتها الطريفة اصلها ثابت لايكون رسوخها
عرضة للانتساف ولا رسوخها فرضة للانجعاف اذ مغادسها دمثة
وعروقها شبثة يشرب فضول اصولها رطوبة العذوبة من زلال الصفا
وسلساله فتتشعب منها ودبق الافنان وانيق الالوان وكل ذلك
اشارة الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعراق التى منها قوائم الاعمال
ومناسم الاقوال وفرعها فى السما فانه لما نما سما وهناك استبان حملها
بعد الاتيان وان دخلها عقيب الاتعاب تواتى اكلها من انواع
المطاعم والاغذية والادوية وما يتبعهما من العلف والسعف كل حين
بتنويع التوظيف وتنويع التصنيف على حسب الاقتضا ووفق الاحتظا
باذن ربها فانها الامانة محفوف بالامر ونقض الوقص موقوف بالاذن
ثم الكلمة فيما قاله المفسرون قول لا اله الا الله او كل قول مامور به او مندوب
اليه ولا يخفى انه قد تطلق الكلمة على القضية المشتملة على الاقوال والافعال
والاحوال كما قال تعالى واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن و
المراد بها القضايا الجامعة واذ تبين ذلك فكل ما سبق من المروة
توليه له وتحليه به من مقال او فعال او حال ثم اصطف خلفه لواحقه

تصديقا واحتف به مرافقة تحقيقا صح ان يوصف بكونه كلمة طيبة
اذ الطيب هو المسوغ شرعا بكونه طاهرا غير حرام وطبعا بكونه لذيذا
غير بشع فاذن القول الطيب بشابهة الودى النضى والحق تلك
الشجرة القلب الحالى بهيئة السكينة وزينة الطانية الخالى عن دفينة
الضغينة واصلها الاحوال الرضية والمقامات السنية اذ منها يتشعب
افنان الخصال الزكية وفنون الخيال البهية وفرعها الصلاح الذى
عليه جادة الفلاح وهو مادة النجاح واكلها التدين بتعود التعبد
والتيمن بتمد التزهد والتمسك بعرى الاستيفاق بالمعاون الربانية
على ميامن الرشاد والتبرك بذرى الاستيثاق عهد الجهد للتوخى
محاسن السداد وتعيين الجمع على التحيين وعواطف وظايفها
لشرط الاقتضا وضبط الارتضا ثم العادات اذا تنولت بالاذن
على سبيل العفاف بالكفاف فهى منتجة لسلائل العبادات
المواداة على سبيل الامر ومبهجة لوسائل السعادات فاتصفت
العادات بصفة العبادات ويضرب الله الامثال للناس لعلهم
يتذكرون والمثل ما يمثل به الشى اى يشبه وقيل المثل ماخوذ من
المثال وهو قول سائر يشبه به حال الثانى بالاول كقول كعب بن زهير

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا   وهل مواعيده الا الاباطيل

فواعيد عوقوب علم لكل مالايصح من المواعيد فاذن الكلمة الطيبة
اريد بها كلمة التوحيد والشجرة الطيبة اريد بها النخلة فيما قيل فشبه
ثبات الايمان فى قلب المؤمن بثباتها وشبه صعود عمله الى السماء
بارتفاع فروعها فى الهوا وشبه فى قوله تؤتى اكلها بما يكتسبه المؤمن
من بركة الايمان وثوابه فى كل زمان وبما ينال من ثمرتها فى كل حين
واوان وقد روى انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان مثل هذا الدين كمثل شجرة نابتة الايمان اصلها والزكوة
فرعها والصيام عروقها والتاخى فى الله نباتها وحسن الخلق ورقها
والكف عن محارم الله ثمرتها وكما لا يكمل الشجرة الا بثمرة طيبة لا يكمل
الايمان الا بالكف عن محارم الله تعالى قوله ومثل كلمة طيبة خبيثة
كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار ولا ريب ان
طيب كلام الخير يستفاد من استقامة الاحوال واقامة العزم بان تنضم
اليه بهجة حسن الاعمال وايح بين الاحوال ويتيح وباستدامة
لامة الحزم بان يروم ثبات الاستقرار وسمات الاستمرار واستدفاع
النوائب الناسفة والامتناع عن الحوادث الجاحفة له فان درس
الاذكار يشبه غرس الاشجار والشجر اذا لم يكن له اصل عريق لا يتأتى
منه فرع وريق ولا ثمر انيق وما كان لذلك فهذا له عرضة للاجتثاث

وصله

وصله فرصة للاجتثاث وذلك يضاد الاستطابة فان الاستجابة اذا
تضمنت اشياء فاستحببت فى المقدمات وامتنع عن مشاهد المقاصد فيلك
اجابة الاجابة وحقيق بان يوصف بالخبيث فان الاجتثاث الخبيث
يوصف بالطيب فان ترك السيئة بعد حسنة كما ان ترك الحسنة
بعد سيئة ومصداق ما ذكرناه قوله صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله
تمنع العباد من سخط الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم فاذا
فعلوا ذلك وقالوها قال الله كذبتم قوله يثبت الله الذين
آمنوا بالقول الثابت بين بذلك ان الطيب حصل من الثبات
ولكن الاقوال كالبذور المبثوثة فى الارض والبزور المحروثة ولا بد
من نباتها فى الارض ثم الى الابقال والاحقال ثم الى الاسبال
ثم الى زمان الادراك والفرك ومعلوم انه لو زايلها النبات
قبل بلوغ نصاب الكمال وسبوغ ثياب الجمال لافضت الى التلف
او العلف للبهائم فكذلك القول لا بد من نباته الى التعلق بالقلب
ثم الى التشوق بالعمل ثم الى التخلق بالحال ثم الى التحقق بالاستغراق
العمر فيه فحينئذ يصير متمتع الفوائد ومتوقع العوائد فحصل الارتضا
باقباله اذ ما نابه اعراض ولا اجماض ولا احتظا بقبوله اذا
ما رابه اغماض ولا انفاض واذا اقام بذلك القول ودام عليه

الى ان اتاه الموت فالموت لا يسلبه ما تمكن فيه وتمرن عليه
ويضل الله الظالمين لما ضلوا في السبيل عن الدليل واستعملوا
المزلات المعلات فابتلوا بالمضلات المذلات وحين لم يساووا
الله لم يشأ هم الله ويفعل الله ما يشاء بمن يشاء وقد روى عن البراء بن
عازب انه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كانما
على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت به الارض فرفع رأسه فقال استعيذوا
من عذاب القبر مرتين او ثلاثا قال وانه ليسمع خفق نعالهم اذا
ولوا مدبرين حتى يقال له يا هذا من ربك وما دينك فيقول ربي الله
وديني الاسلام فيقال له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو
رسول الله فيقال وما يدريك فيقول قرأت كتاب الله تعالى فآمنت
به وصدقت فذلك قوله تعالى فآمنت به وصدقت فذلك قوله تعالى
يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الآية فينادي مناد من السماء
ان صدق عبدي فافرشوه من الجنة واكسوه من الجنة وافتحوا له
بابا الى الجنة فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له مد بصره قال وان
الكافر فذكر موته قال ويعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه
فيقولان من ربك فيقول هاه هاه لا ادري فيقولان له ما دينك فيقول
لا ادري فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هاه هاه لا ادري

فينادي

فينادي مناد من السماء ان كذب فافرشوه من النار والبسوه من
النار وافتحوا له بابا الى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه
قبره حتى تختلف فيه اضلاعه ثم يقيض له اعمى اصم معه مرزبة من حديد
لو ضرب بها جبل لصار ترابا فيضربه بها ضربة يسمعها ما بين المشرق
والمغرب الا الثقلين فيصير ترابا ثم يعاد فيه الروح قوله وانه ليسمع
خفق نعالهم اي خفيفها يقال خفق الارض بنعله وكل ضرب بشيء
عريض خفق واشار بذلك الى انه يسأل قبل امتداد زمان طويل
من وقت الدفن وكل ما ينوب الميت في قبره من روح نفح وبرح لفح
اثر وخبر من راحة او جراحة يأتيه من قبل الارض دون الحوض في الفيض
وعين الثواب والعقاب ينوبه بعد الحساب في القيمة و
قوله ويعاد روحه في جسده اشارة الى ازدواج الروح والجسد
في كل ما ينوب من المخاطبات والمطالبات لا الى الامتزاج
وهو يضاهي انبثاث اشعة الشمس الى ما يقابلها من الاجسام و
الاجرام ولا يخفى تأثر المحال المقابلة لها بذلك الانبثاث ولا يخفى تقابل
الازواج واشباحها ما كان بينهما من تناسب التقارب وتظاهر التجاوز
وقوله هاه هاه كلمة استبعاد كانه يستبعد ذلك السؤال او يستبعد
تمكنه من الجواب وانما يقول لا ادري فانه لم يطع الله تعالى ولم يحمل

نفسه مربوبه مطيعة ولم يتخذ الله تعالى ربّاً مطاعاً فكيف يقول
ربّي الله وقد تبيّن له ان ما اتّخذه الّا من هواه فليس برب فلا يتجاسر
ان يضيف الربوبيّة الى ما اتّخذه ربّاً فيتعسر عليه الجواب فيتعلل بقوله
لا ادري ولم يرد بقوله لا ادري انه لم يتبيّن له بعد ربوبيّة الله تعالى
فانه قد كشف الغطاء وعاين ما سمع لكن يعلم انّه لم يطعه ولم يعبده
والسوال عن الماضي لا عن الحال والمستقبل ولهذا لمّا قال
لا ادري ينادي مناد من السماء ان كذب فانه لو كان السوال
عن الماضي فقد اتّخذ الهه هويه وقد كذب في الاجابة حين قال
لا ادري وان كان السوال عن الحال فانه يعلم ان الله تعالى ربه
ولكن وقع السوال عن الماضي ولما تحيّر في الجواب وقال لا ادري
فيكون كذباً وقوله مرزبة من حديد المرزبة ما يكسر بها المدر وهي
بالميم مخففة وان قلت اوربة شددت الباء وقوله يسمعها ما بين
المشرق والمغرب اي هدّة وقع المرزبة وقد استثنى الثقلين فانهما
بعدُ في عالم الشهادة والمقبور وما يصيبه من عالم الغيب وبين
العالمين بون مانع للتسامع وفوق دافع للتزاوي قوله
تعالى حكاية عن ابرهيم عليه السلام ربنا وتقبل دعاي اعرب في ذكر
الرب عن التعميم وفي ذكر الدعاء عن التخصيص وذلك اشارة منه الى

ان الكل مربوب وان لم يتقيدوا بقيد العبودية اسلالا واعلالا
لكن لما اعرضوا هم عن دعائك فها انا ذا ادعوك لنفسي ولم نيابة
عنهم ولهذا عدل الى لفظ التقبل فانه لم يولد عائه استحقاق الاجابة
والفرق بين اجابة الدعا وتقبله ان الاجابة هي ان تجاب فيما
دعوت كاد عوت فياتي بصورة مرادك على حسب مرامك و
سابين لك الفرق بمثال تعقد به على ما ذكرنا فلو غرست شجرة
تثمر فاثمرت تلك الشجرة فاكلك للثمرة بمثابة الاجابة في الدعا
وبيعك تلك الثمرة وصرف ثمنها الى ما تريده من سائر الاطعمة
ونفائس الملابس بمثابة تقبل الدعاء والمريض اذا طلب
تناول شيء فيجاب بما يصلح له ويستريح به ولو يجاب بما يطلب
ربما يتاذى بذلك فاذن قبول الدعاء اصلح لك من اجابته
وقوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات جعلت السموات
مواد لايجاب عقد الكوكب والاوان واستيجاب عهد الفساد و
الكساد بحسب تبين مآخذه وفوق نظم ارصادها وتعيين منافذه
وسوق رسم اشهادها وجعلت الارضون جوادّ لقبول عرض الموجب
وحصول قبض الموهب بكسب يستدعيه ضمان الاعوان والاعيان
ويستدعيه امان الازمنة والامكنة فوقع السما لينتصب به شروط

الخفض واسباب الاخذ والنبذ ووضع الارض لينجز اليها ولا البسط
والقبض ولا الفيض والغيض اذ من السما يترشح النطاف اللطاف
التي منها تنشا علق الوجود ويتفشا منها فلق الشهود والارض
تتوشح بتحف الطرف اذا ضمت تلك الودايع والوضايع فيبرز
منها بدايع الصنايع واذا كان كذلك اقتضى ان يقع في عزلة
جملة تلك البواين وصلة الازدواج ودخلة الامتزاج لسقط
ليتوطا بوفاق تلك الرفاق طرق الطروق لاستخراج الكوامن
ويتهيا براسل تلك الذرة والجرة وتواصل تلك الاكفاء
الارفاء علق العلوق لاستنتاج التواين ويتيسر ذلك باتمام عقد
الاواصر بين العناصر واحكام عقد الاملاك بين هولاء الاشراك
وولي ذلك التزويج امر الله تعالى كان والي ذلك التزويج
اذنه تعالى وقاضيه حتم القضا وشاهده رسم القدر وخاطبه الاستطاعة
وكل ذلك ليتعاقب فيما بين الوضع والرفع غير الوهب ونغير النهب
ويتفاوت فيما بين الوصل والفصل سعة الارزاق وضعة الاخفاق
ويتناسب فيما بين الافتراق والاتفاق غبط البسط والخصب وخبط
القحط والجدب فاذن اختلاف سيرها ايتلاف ونطمها بجمع
بحاسباتنا اذ جميع ذلك لينتظم جواد التفاوت بحساب التسبير ويحسم

مواد التهافت بكتاب التقدير فتلقت البعض قدر الامر والتفوت
جبر الكسر ومن هذا بقي الاستدامة عن الاستقامة في الادوار وكفى بالس
النحس نحس اليمن في الاطوار اذ السعد بعد والنحس وعد فاجراداب
الابادة امضا في لحب الاعادة والنبذ تضمين الاخذ والكساد تمكين
من الرواج ولو لم يتعاقب الكون والفساد ولم يتراقب الازدياد
والاستعداد لما تصور الامور العاجلة والآجلة انتظام والتيام
اذ لو عرفت من الحال المآل يقينا لعم الفساد وتم الكساد ولارتفع
منافذ الترجيه والتنجية معاشا ومعادا ولو لم يسر نجا الرجا في مسافة المخافة
لانسد المسالك واشتد المدارك اذ قضا الوطر انما يتيسر عند المضاء
في الخطر فاذا كان يوم القيمة يقطع طريق التبدل ويمتنع رفيق
التحول وتغلق ابواب التغير بالبواعث ويمحق اسباب التاثر
بالحوادث فحينئذ تعطل ركاب التقلب ويزيل هضاب التحسب
فيصير تعقيب التسبيب تسبيبا وتركيب الترتيب تشذيبا ويدلك
على ذلك قوله تعالى اذا الشمس كورت واذا الكواكب
انتثرت واذا البحار سجرت واذا العشار عطلت والى نوع من
ذلك اشار صلى الله عليه وسلم بقوله اذا استقر اهل الجنة في الجنة
واهل النار في النار يجاء بالموت على صورة كبش املح فيذبح على

سور بين الجنة والنار ويذبح وينادى يا اهل الجنة خلدوا ولاموت
ويا اهل النار خلدوا ولاموت فيكون سماء الآخرة وارضها لاكسماء الدنيا
وارضها التي كانت مصادر للتاثيرات وموارد للتاثرات اذ الحق
الحق هناك بحيث لايقصد عنه معدل ولامعزل ويبطل الباطل بحيث
لايبقى له محل ولاموئل ولايرتقب حصد من سير الكواكب دود
ياتى تمره حصر وقد نصره ويؤيد ما ذكرناه قوله تعالى في مختتم الآية
وبرزوا لله الواحد القهار لايخفى هناك خافية فالسرائر هناك ظاهرة
والضمائر لما فيها شاهرة

من سورة حجر

قوله تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون من القبائح
الفوادح فهم وان اغضبوك فاعدل عن مكافحتهم ومقابحتهم الى ارضائهم
بجميل القول وحميد الفعل فانه لايضرك اغضابهم اياك ارضائك ايانا
فقال فسبح بحمد ربك ومعلوم انهم عصونى فيما رموك به سفاهة فاطعنى
انت في الاعراض عنهم والاقبال الى نباهة اذ تحلى اوانيك من فساد
الجهل بما لحظناك فلا تملاها لمكان مواجهة المثل بالمثل وتحلى معانيك
بسداد الفضل مما خصصناك به فلا تعطلها زمان مكافاة العدل بالعدل
اذ بعثك لتقابل الاشرار بشنيع صنيعهم ولكنا بعثناك ليقتبلوا منك
بيمن الاجتماع على حسن الاتباع ثم قال وكن من الساجدين تنبيها على

ان سوافوالهم لايندفع عنك صورة وصفة الابازدواج الاقوال
الزكية والاعمال الرضية اذ بذلك يستاصل الشر راسا ويستاكل
السوء اساسا

من سورة النحل

قوله تعالى او ياخذهم على تخوف اى ما يتخوفون منه من قبائح
الاعمال وفضائح الاحوال اما تخوفون عليه من اسباب التمتع والتمنع
في حالة الاشتمال عليها والاشتغال بها وقيل معناه على تنقص من انفسهم
بتسليط ما يفنيهم او يفنيهم في كرة او توريطهم فيما ينقص احوالهم ما ينقص
اموالهم وقد قيل ان [illegible] رضى الله عنه حين استبهم عليه هذه اللفظة
سأل عنها على المنبر فسكت الناس حتى قام شيخ هذلي فقال هذه
لغتنا التخوف التنقص فقال هل شاهد فانشد قول ذى الرمة

تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف ظهر النبعة السفن

والتامك السنام والقرد المكتنز الذي يركب بعضه بعضا من السمن
والسفن ما ينحت به العود ويقال تخوف مال فلان بالانفاق
اذا افناه قليلا قليلا قوله ان الله يامر وامره الحتم وحكمه
الجزم واجبة التلقي بالاقدام لاستقبال الاقدام على الامتثال
وواجبة التوقي عن تابى الاستطاعة عند تاتي الاستطاعة اذ على
سيرة الامر يتوصل الى ميرة الخير بالعدل والعدل والعدل لفظ

يقتضى معنى المساواة لكن العدل يستعمل فيما يدرك بالبصيرة كالاحكام
والعدل فيما يدرك بالحاسة كالموزونات والمعدودات والمكيلات
فالعدل هو التقسيط على سواء وعلى هذا روى بالعدل قامت السموات
والارض تنبيها على انه لو كان ركن من الاركان الاربعة عما يقابله
فى العالم او فى البدن زيادة او نقصانا لخرج العالم والبدن عن
سواء الاعتدال فيجوز نظام الالتيام ويكون عند ذلك قيام الوآام ثم
العدل ضربان مطلق يقتضى العقل حسنه ولا يكون فى شى من الازمنة
منسوخا ولا يوصف بالاعتداء بوجه نحو الاحسان الى من احسن اليك
وكف الاذية عمن كف اذاه عنك وعدل يعرف كونه عدلا بالشرع
ويتطرق اليه النسخ فى بعض الازمنة ونبذ من الاحوال كالقصاص
واروش الجنايات وكذلك قال تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه وهذا النحو هو المعنى فى هذه الاية فان العدل هو المساواة
فى المكافاة ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا والاحسان الذى ندب اليه
الانسان هو اما البداية برواتبه من غير تتبع لسابق عوض والرعاية
بمواجبه من دون توقع للاحق عوض واما الموافاة بالمكافاة بان يقابل
الخير باكثر منه والشر باقل منه وتسمية هذا النوع فضلا فى مقابلة العدل
الذى هو المساواة اولى واما محض الاحسان وفيض الامتنان هو الذى لم يدع

اليه

اليه شائبة من تقدم فايدة او نائبة من ترسم لعايدة بل هو اجر
الجذبة والازرا بالاذية التى يصاب بها ويرات بحيث لا يترلق صفو
عفوه وتخرق الوراد ولا يمحق الرواد ولا ينطرق الى فيض خفضه
فيض من كساد الاستحقاق او فساد الاسترفاق وذلك عين منبعها
التخلق باخلاق الروحانية ومجراها التوثق بالاطواق الملكية ومرساها
التحقق بالاوفاق الانسانية فان الاحسان سيرة الانسان لان
الانسان صورة احسان الله تعالى الى الخلايق ثم العدل المامور به
بمثابة الطهارة عن القبايح والستارة عن الفضايح والاحسان
بمثابة الصلوة التى هى عمدة المشاهد وزبدة المقاصد فلا تصح
الصلوة دون تقديم الطهارة فكذلك لا يفيد الاحسان دون تقديم
العدل اذ تقوى العدل يوقيك شين الهوان وتحوى الاحسان
يلقيك زين الرضوان وبالكف والعفف عن الحاجة تنبيها على قبض
خفض الراحة اذ الكف اصل اليد فلا يتصور اعمال اليد دون الكف
وايتاء ذى القربى فان الايتاء عموما كثير النفع غزير الربح وخصوصا
اذا وافيت به القرابة او صافيت به الصحابة اذ بالايتاء تمسكت مراسى
منع الحقوق واساس وضع العقوق وقلما يظفر محصل الوصل دون
الاشتياق الى الانفاق اللهم الا ان يساعده معاطاة الاحسان

فبعا ضده مواطاة الحس فيلم بطيب اعراقه شعث الوصال ويرم
بحسن اخلاقه رثث الحبال ثم القرابة قد تكون بالوصف الاعم
وقد يكون بالوصف الاخص اذ كل ما دفعك في سبيل الوجود فهو قريبك
وكل ما وافقك عند قبيل الشهود فهو رفيقك فاذن بينك وبين كل
الخلائق على تنوع الطريق صدق القرابة او رفق الصحابة ولابتناء المامور
به هو اداء حقوق الكل على وفق الاستنصاح بالامر واستيداء الحقوق
من الكل على سوق الاستصلاح بالاذن لا يتطرق اليهما فساد
الضياع ولا كساد الدفاع والقرابة بالوصف الخاص قد يكون
بالنسب والحسب والسبب ولا سيما هذه القرابة يمتد امتداد مدة
الدنيا ويعتد اعتدادا غدتها وعدتها فلا ينكر المعروف منها ولا ينبغ
المالوف منه اذ دعا اليه حرف من حروف الخلق العطف ولا يمنع
منه حرف من حروف الحذف او الخسف كما قال تعالى وان جاهداك
على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا
معروفا وقال تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين
ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ثم قال انما
ينهيكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم
ان تبروهم وتقسطوا اليهم ثم قال انما ينهيكم الله عن الذين قاتلوكم

في الدين

في الدين واخرجوكم من دياركم والقرابة بالوصف الاخص انما
يشبكها نسج الدين المتين ونسج الايمان الامين فتقوى الوشائج
فيما بينهم بالتقوى ويروى ولا يجهم من حسن الاحسان ولا يتابنده
القرابة لا يتوقف جرايات مجاملة المعاملة فيها على حصول موافاة المكافاة
فقد قال صلى الله عليه وسلم ليس الواصل بالمكافي ولكن الواصل
الذي اذا قطع رحمه وصلها وقد قال عليه السلام لا تكونوا امعة
يقولون ان احسن الناس احسنا وان اساوا اسانا ولكن
وطنوا انفسكم ان احسن الناس ان تحسنوا وان اساوا فلا
تظلموا وقال صلى الله عليه وسلم لما خلق الله الرحم قامت بين يدي
العزة جل جلاله وقالت هذا مقام العايذ بك من القطيعة فقال
الله تعالى انا الرحمن وانت الرحم شققت لك اسما من اسمي
اما ترضين ان اصل من وصلك واقطع من قطعك وفي رواية
الرحم شجنة من الرحمن الشجنة والشجنة عروق الشجر المشتبكة ويقال
بيني وبينه شجنة رحم اي قرابة مشتبكة واشار بذلك الى ان
الرحم مشتقة من الرحمن وشبهها باشتباك عروق الشجر ونبه
بذلك على ان الوصل عند القطع والاحسان لدى الاساءة والعفو عقيب
الظلم هي التخلق باخلاق الرحمن والتحقق بها ولهذا استعاذت

بالرحمن اذ الرحمة الرحمانية تعم المستحق واحواله فيرضى بالرحمن كفافا
وعفافا وتعم غير المستحق فيصير مغمورا بالرحمة عن الرحمن لا مغمورا فيحفظ الى
بها ترفها وتسمنا وعلى هذا يكون غير المستحق بهذه احظى والمستحق بها
ارضى فينبغي ان يكون تمتع ذي الرحم الكاشح من ذي رحمه او قرد اعز
كما اشار اليه صلى الله عليه وسلم حين سئل اي الصدقة افضل فقال على
ذي الرحم الكاشح ومعلوم ان ما لم يقطع لا ينطلق عليه اسم الوصل
اذ الوصل عند الفصل ولو استعاذت الرحم بالرحيم لما اقتضت الا
صلة الواصل والاحسان الى المحسن وهما من قبيل المكافاة وينهى
عن الفحشاء وهي كل مستقبح وزحده قولا كان او فعلا او خلقا
فاذا انفرد اللسان بالافحاش فالاسم منه الفحش واذا صدر تجاوز
الحد في السوء من الجوارح فعلا فالاسم منه الفاحشة ومن هذا سمي الزنا
فاحشة واذا تلطخت الجوارح باحداث الاسواء والالواث الادواء
فالاسم منه الفحشاء ولكان ما ظهر من الفواحش وبطن هو المنهي
والمنكر كل ما يستهجنه العقل الصحيح ولا يستحسنه النقل الصريح سواء
ينكر ما علمه حقا عنادا او ينكر ما جهله اعتقادا فان الانكار يطلق على
المعنيين والبغي طلب المرء ما ليس له بحق ولهذا اطلق على الظلم
اسم البغي فان الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه فاذن طلب ذلك ايضا

ظلم

ظلم فان طلب الخير خير وطلب الشر شر وقد روي ان النبي عليه
السلام قرا على الوليد ان الله يامر بالعدل والاحسان الى آخر الآية
فقال له يا ابن اخي اعد فاعاد عليه فقال ان له والله لحلاوة وان عليه
لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وما هو بقول البشر وقال
شتير سمعت عبد الله يقول اجمع آية في القران لخير وشر ان الله يامر بالعدل
والاحسان الآية وصدقه مسروق في ذلك يعظكم الوعظ زجر مقترن
بتخويف وقيل هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب فكان الامر والزجر
اذا جمعا في قرن على سنن الترغيب والترهيب فهو الوعظ الذي جرى
به اللفظ لعلكم تذكرون وعيا وسعيا تدبرا وتبصرا في المحفوظ الملحوظ
واستذكارا واستحضارا عند الغيبة بالسلوان والنسيان وقوله
ان ابراهيم كان امة الامة كل جماعة يجمعهم امر اما دين واحد او زمان
واحد او مكان واحد سواء كان ذلك الامر الجامع تسخيرا او اختيارا
ومنها امم قال تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه
الا امم امثالكم اي كل نوع منها على طريقة قد سخرها الله تعالى عليها
بالطبع فهي من بين ناسجة كالعنكبوت وبانية كالسرفة ومدخرة كالنمل
ومعتمدة على القوت وقتا كالعصفور الى غير ذلك من الطبايع
التي تختص بها نوع نوع وقوله ان ابراهيم كان امة اي قائما مقام

جماعة فی عبادة الله اجتمع فيه جميع انواع القربات واوزاعها المالية و
البدنية والنفسية والقلبية اذ عبد له مسالك تمهد التعبد وسدد له
مناسك التثبت بالتحنث فتكمل له اسباب التوسل وتذلل له انقاب
التوصل من جميع الوجوه فصار هو على تفرده اتيا بزكايا الاعمال الصالحة
ومواتيا بسنايا الاحوال الفاتحة التی قل ما يتصور اجتماعها فی زمان واحد
الا فی امة من الامم عديدة او فی امة من الزمان مديدة وقد سمعت
بان المحلات التی هی القدر والفاس والدلو والرشا والرحی والشفرة
وهی اذا اجتمعت عند واحد فی محلة واحدة يحل حيث شاء لانه استغنی
بما حصل له عن سواه والا فلا بد من ان يجاور الناس اذ لا يستغنی
فاقدها فی انجاح حاجاته واصلاح باجابته عنها فكذلك حال جماعة
المؤمنين فی ملة او زمان او مكان لا بد لهم من اصول بها قوامها
قواعد معاهد الخير وفصول بها نظام معاقد مشاهد البر حتی يندفع
بمجموعها ملامة العتاب ووخامة العقاب او يجتمع بمجموعها سلامة
الجناب وكرامة الثواب والی نوع من ذلك اشار صلی الله عليه وسلم
بقوله ما من مسلم يموت فيقوم علی جنازته اربعون رجلا لا يشركون
بالله شيئا الا شفعهم الله فيه اذ فی اجتماع المؤمنين اجتماع خصال الايمان
وخلاله التی بها حصول الغبطة ووصول المنية فاذا اجتمعت تلك الخصال

فی واحد فلا غرو ان يدعی هو وحده امة قال صلی الله عليه وسلم
يبعث زيد بن عمرو بن نفيل امة وحده وكذلك قال لقس بن
ساعدة وورقة بن نوفل فانهما لله ای ثابتا علی العبادة له وقد ذكرنا
ان القنوت هو امتداد امد الطاعة علی نهج مدد الاستطاعة مجانبة
عن الحول عنها فی الدول بالعوارض فيصير صاحبه فی العادات
مقتصرا بالالمام وفی العبادات مضطرا الی الاتمام بل هو فی حل عادية
عند الوضع يعتاد به ميسم وهو متحير فيهما مدعم فكان ابرهيم عليه السلام
فی الطاعة علی نسق الاقامة وطبق الادامة لا يزول الطاعة عنه
ولا يحول هو عنها اذ هی من بدته الذی لا يفارقه ومتاع ودته الذی
يوافقه حنيفا مائلا عن العوج باسره والحرج واسره الی الاستقامة و
الاستدامة لها بالكلية فليس للضلال بواديه لمة ولا للكلال ناديه
شمة ولم يك من المشركين اذ لم يراع غير الله تعالی معه فی موارده
ومصادره ولا فی مقاصده ومحاضره فتعری اعماله عن شوائب
الريا واحواله عن نوايب الامترا شاكرا لانعمه الذی تظاهرت
اياديها وترادفت عوايدها ومباديها والشكر علی الحقيقة هو ان تطلب
بالنعمة الاستطاعة علی الطاعة للمنعم فمن قلب الشاكر تصحيح تصور
النعمة ومن لسانه التصريح بثنا المنعم ومن جوارحه توشيح التصديق بموافاة

المكافاة اعمالا وبثلثتها يتم الاذكر وابت الشكر والقضا بمواجبة احمده جمع متفرقات اهوايه ومعلقات آرايه على مساق ابتغام مرضاة الله تعالى فرفع الله تعالى له آيات ابتغا مبغاته وهو ماخوذ من قولهم جبيت الما، في الحوض اذا جمعته ويقال للحوض الجامع للا جابية و منه جباية الخراج ومن احمه تعالى خصصه بفيض الهى يحصل به على جوامع المكارم وروايع المراسم وخلصه من اشراك رذايا الاخلاق وشباك دنايا الاعراق وهديه الى صراط مستقيم يحصل سالكه عن شرف الاقبال الى الله تعالى وقبول الله اياه والهداية اعلى مقاما واسنى مراما من الاجتبا فكان بالاجتبا نشدان الضلالة وبالهداية وجدان الدالة واتيناه في الدنيا حسنة نفت عن مجارى احواله وساوس الاهواء المردية المهدية وكفت عن مسارى افعاله هواجس ضمير الضمير النفسانية ووصفت بهاله موارد الوحى ومعاهد الوعى فاتيح له بها نوع العصمة من النار واسبح له بها خلة الخلة وانه في الاخرة لمن الصالحين لان يكرم بابتا السول كفا المسؤل وان ينعم بتبليغ المراد تسويغ المراد

من سورة

قوله تعالى سبحان الذى اسرى قيل سبحان مصدر اى اسبح الله تسبيحا او تقديره قوله سبحان الله ومعناه ابرى تعالى وانزهه عن النقايض براة

ثم قيل هو مصدر لم يستعمل فعله ولو استعمل لقيل سبح سبحانا كقولهم غفر غفرانا ثم لم يستعمل فعله ولو استعمل الا منصوبا مضافا وغير مضاف وهو لاينصرف لانه معرفة في آخره الف ونون زايدتان فهو كعثمان وسفيان ولكانه اجرى مجرى الاعلام ثم انتصابه كانتصاب المصادر للقايمة مقام افعالها من حيث لايذكر معها افعالها التى تنصبها وقد يستعمل على معنى التعجب قال الاعشى

اقول لما جاءنى فخره سبحان من علقمة الفاجر وقوله

اسرى بعبده اى ذهب ليلا يقال سرى يسرى سرى ومسرى و اسرى اسراءً ويقال اسراه واسرى به كما تقول اخذ الخطام واخذ بالخطام وانما ذكر ليلا مع ان السرى لايكون الا بالليل تاكيدا كما يقال قلت بلسانى وسمعت باذنى وقوله ليلا بمعنى بعض ليل على تقليل وقت الاسرى من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى اى بيت المقدس فكان ابعد منهم والمسجد الحرام هو الادنى منهم وبينهما مسيرة شهر قال الطبرانى حدثنا عمرو بن اسحق بن ابرهيم الحمصى حدثنا ابى حدثنا عمرو بن الحرث حدثنا عبد الله بن سالم عن الزبيدى حدثنا الوليد بن عبد الرحمن عن جبير بن نفير حدثنا شداد بن اوس قال قلت يا رسول الله كيف اسرى بك قال صليت لاصحابى صلوة العتمة

بمكة معتما فاتانی جبرئیل علیه السلام بدابة بیضا فوق الحمار ودون
البغل فقال ارکب فاستصعب علی فزاد باذنها ثم حملنی علیها
فانطلقت تهوی بنا یقع حافرها حیث ادرک طرفها حتی بلغنا ذات
نخل فقال انزل فنزلت ثم قال صل فصلیت ثم رکبنا فقال
تدری این صلیت قلت الله اعلم قال صلیت بیثرب صلیت بطیبة
ثم انطلقت تهوی بنا یقع حافرها حیث ادرک طرفها حتی بلغنا ارضا
بیضا فقال انزل فنزلت قال صل فصلیت ثم رکبنا فقال اتدری
این صلیت قلت الله اعلم قال صلیت بمدین عند شجرة موسی
ثم انطلقت تهوی بنا یقع حافرها حیث ادرک طرفها ثم مررنا بارض
بدت لنا قصورها فقال انزل فنزلت ثم قال صل فصلیت
ثم رکبنا فقال اتدری این صلیت قلت الله اعلم قال بیت لحم
حیث ولد موسی عیسی علیه السلام ثم انطلق بی حتی دخلنا المدینة
من بابها الیمانی فاتی قبلت المسجد فربط دابته و دخلنا المسجد
من باب فیه تمیل الشمس فصلیت من المسجد حیث شاء الله واخذنی
من العطش اشد ما اخذنی فاتیت باناءین فی احدهما لبن و
فی الاخر عسل ارسل الی بهما جمیعا فعدلت بینهما هدانی الله تعالی
فاخذت اللبن فشربت حتی قرعت بها جبینی وبین یدی شیخ

مثلی علی منبر له فقال اخذ صاحبک الفطرة وانه لمهدی ثم انطلق
بی حتی اتینا الوادی الذی فی المدینة فاذا جهنم تنکشف علی مثل
الدرا وی فقلنا یا رسول الله کیف وجدتها فقال مثل الحمة السخنة
ثم انصرف بی فمررنا بعیر لقریش بمکان کذا وکذا قد اضلوا بعیرا لهم
قد جمعهم فلان فسلمت علیهم فقال بعضهم هذا صوت محمد ثم اتیت اصحابی
قبل الصبح بمکة فاتانی ابو بکر فقال یا رسول الله این کنت البارحة
انه مسیرة شهر فصف لی ففتح لی مرآه کانی انظر الیه لا یسئلونی عن
شیء الا انبأتهم عنه فقال [illegible] اشهد انک رسول الله فقال
المشرکون انظروا الی ابن ابی کبشة یزعم انه اتی بیت المقدس
اللیلة فقال ان من اية ما اقول لکم انی مررت بعیر لکم بمکان
کذا وکذا قد اضلوا بعیرا لهم فجمعه فلان وینزلون کذا ویاتونکم
یوم کذا یقدمهم جمل آدم علیه مسح اسود وغرارتان سوداوان
فلما کان ذلک الیوم اشرف القوم ینظرون حتی کان قریبا
من نصف النهار اقبل العیر یقدمهم ذلک الجمل الذی وصفه
رسول الله صلی الله علیه وسلم قال البخاری حدثنا عبد العزیز بن
عبد الله حدثنی سلیمان عن شریک بن عبد الله انه قال سمعت
انس بن مالک یقول لیلة اسری برسول الله صلی الله علیه وسلم

من مسجد الكعبة جاءه ثلثة نفر قبل ان يوحى اليه وهو نائم في المسجد
الحرام فقال اولهم ايهم هو فقال اوسطهم هو خيرهم فقال آخرهم
خذوا خيرهم وكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى اتوه ليلة اخرى فيما يرى
قلبه وينام عينه ولا ينام قلبه وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم
فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بير زمزم فتولاه منهم جبرئيل
عليه السلام فشق ما بين نحره الى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه
ثم غسله بماء زمزم حتى انقى جوفه ثم اتى بطست من ذهب فيه
نور محشوة ايمانا وحكمة فحشى به صدره ولغاديده يعني عروق
حلقه ثم اطبقه ثم عرج به الى السماء الدنيا فضرب بابا من ابوابها
فناداها اهل السماء من هذا فقال جبرئيل عليه السلام قالوا
ومن معك قال محمد عليه السلام قالوا وقد بعث قال نعم قالوا فمرحبا
به واهلا يستبشر به اهل السماء لا يعلم اهل السماء بما يريد الله تعالى به في
الارض حتى يعلم فوجد في السماء الدنيا آدم فقال له جبرئيل هذا
ابوك آدم فسلم عليه فسلم عليه فرد عليه فقال مرحبا واهلا يا بني نعم
الابن انت فاذا هو في السماء الدنيا بنهرين تطردان فقال ما هذان
النهران قال النيل والفرات عنصرهما ثم مضى له السماء فاذا هو بنهر آخر
عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب بيده فاذا هو مسك اذفر فقال ما هذا

قال هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك ثم عرج به الى السماء فقيل من
هذا قال جبرئيل قالوا ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قالوا
وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا به واهلا ثم عرج الى السماء الثالثة
قالوا مثل ما قالت الاولى والثانية ثم عرج به الى السماء الرابعة فقالوا
مثل ذلك ثم عرج به الى الخامسة فقالوا مثل ذلك ثم عرج الى السماء السادسة
ثم الى السابعة فقالوا مثل ذلك كل سما فيها انبياء نوعت منهم ادريس
في الثانية وهرون في الرابعة وآخرون في الخامسة لم احفظ اسمه
وابرهيم في السادسة وموسى عليه السلام في السابعة بتفضيل كلام الله
فقال موسى رب لم اظن ان ترفع على احدا ثم علا به فوق ذلك
بما لا يعلمه الا الله حتى جاء سدرة المنتهى ودنى الجبار عز وجل رب
العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه خمسين
صلوة على امتك كل يوم وليلة ثم هبط حتى بلغ موسى فقال له
ان امتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم فالتفت
النبي صلى الله عليه وسلم الى جبرئيل كانه يستشيره في ذلك فاشار اليه
جبرئيل ان نعم ان شئت فعلا به الى الجبار تعالى وهو مكانه فقال
يا رب خفف عنا فان امتي لا تستطيع هذا فوضع عنه عشر صلوات ثم
رجع الى موسى فاحتبسه فلم يزل يردده موسى الى ربه تعالى حتى صارت

خمس صلوات ثم احتبسه موسى عند الخمس فقال يا محمد والله لقد راودت
بني اسرائيل قومي على ادنى من هذا فضعفوا عنه فتركوه فامتك
اضعف اجسادا وقلوبا وابدانا وابصارا واسماعا فلترجع فليخفف
عنك ربك كل ذلك يلتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبرئيل كانه يستشير
اليه عليه ولا يكره ذلك جبرئيل فرفعه عند الخامسة فقال يا رب ان امتي
ضعفاء اجسادهم وقلوبهم وابدانهم واسماعهم فخفف عنا فقال الجبار
عز وجل يا محمد قال لبيك وسعديك قال انه لا يبدل القول
لدي كما فرضت عليك في ام الكتاب وكل حسنة بعشر امثالها
فهي خمسون في ام الكتاب وهي خمس عليك فرجع الى موسى فقال كيف
فعلت فقلت خفف عنا اعطانا بكل حسنة عشر امثالها قال موسى
قد والله استحييت من ربي بما اختلف اليه قال فاهبط بسم الله فاستيقظ
وهو في المسجد الحرام وقال ابو عيسى حدثنا اسحق بن منصور حدثنا عبد
الرزاق اخبرنا معمر عن قتادة عن انس بن مالك ان النبي صلى الله
عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به ملجما مسرجا فاستصعب عليه
فقال جبرئيل امحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه فارفض
عرقا وقوله صليت صلوة العتمة جميعا اي مبطا موخرا بها وقوله
فاستصعبت على اي بدا منها شماس اي امتناع من ركوبها والبراق

اسم دابة

اسم دابة يركبها الانبيا وجبرئيل عليه السلام سمي بذلك لنصوع
لونها وشدة تلألؤها وبريقها وقيل سمي بذلك لسرعة سيرها وقوة
حركتها تشبيها بالبرق وقد نقل عن ابن عباس انه قال خلق الموت
على صورة كبش املح لا يمر بشيء ولا يجد ريحه شيء الا مات وخلق الحيوة
على صورة فرس بلقاء وهي التي كان الانبيا وجبرئيل عليه السلام يركبونها
خطوها مد البصر فوق الحمار ودون البغل لا تمر بشيء ولا تطأ شيا
ولا يجد ريحها شيء الا حي وهي التي اخذ السامري من اثرها فالقاها على
العجل فحي ثم البراق وان كان يركبه سائر الانبيا فلم يتصف بوضع
الحافر عند منتهى طرفه الا عند ركوب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانه صلى الله عليه وسلم صار بحيث لم يتقدم نظر علمه قدم حاله فان تقدم
النظر على القدم عنوان طغيان وتخلف القدم روع وريغ فلما اثمر
علمه الى عمله واستقر عمله على علمه اعتدال احواله وصار قالبه كقلبه
وقلبه كقالبه وظاهره كباطنه وباطنه كظاهره وترافقت فيما بينهما
ذريعة الشريعة وطريقة الحقيقة فلا جرم عرج به محمولا معتزا قدمه
ونظره في حجل الحياء والتواضع ناظرا الى قدمه وقادما على نظره و
لو لم يكن كذلك لتعوق في بعض السموات كما تعوق غيره من
الانبياء عليهم السلام ولما تجلى بجمال كمال الاعتدال وتحلى بزينة السكينة

حالا وفعالا انعكس حكم معناه وقلبه وباطنه على دعواه وقالبه وظاهره
فاحتوى الكل من انوار المعارف واحتوى الجمع على اسرار المعالم فحمل
على براق يضع حافرها عند منتهى نظره ومن تمام وصف البراق كونه ملجما
مسرجا لم يكن يسترسل في حلبة مراده وكان بحيث لا يلحق راكبه
اذية ولكان تصور البراق الموصوف وتمثيله من عكس نفسه المطمئنة و
يدل على ما ذكرناه انه لما استصعب عليه فاعلم بكرامته على الله تعالى و
ملازمته مواقف الحيا والتواضع فانعكس اثر حيائه على البراق فارفض
عرقا خجلا مما صدر منه من الاستصعاب وارفضاض العرق وترششه
وكل متفرق ذاهب ارفض والحمة ما يبقى من الالية بعد الذوب و
السخن الحار يقال يوم سخن وساخن وليلة سخنة وسخانه اى حارة
والحمة العين الحارة يستشفى بها الاعلاء والمرضى وفى الحديث العلم
كالحمة يرغب فيها البعداء دون القرباء وقولهم انظروا الى ابن ابى
كبشة وهو رجل من خزاعة خالف قريشا فى عبادة الاوثان و
عبد الشعرى العبور فشبهوه به لمخالفته اياهم فى الدين وقيل انه
كان جد النبى صلى الله عليه وسلم لامه وهو وهب بن عبد مناف
بن زهرة ابو آمنة وكان يدعى ابا كبشة ولما لم يمكنهم الطعن فى نسبه
نسبوه الى جده من قبل امه عداوة له واراد وا انه نزع اليه فى الشبه

وقوله فى الرواية الاخرى قال اولهم ايهم هو اى اشار الى فسالهم
عن حالى اى اى رجل هو فاجابه الثانى بانه خيرهم فعقب الثالث بانه
هو المقصود اذ هو خيرهم قوله وكانت تلك الليلة اى لم يحدث
منهم تلك الليلة الا هذه الكلمة والضمير فى كانت عادت الى الكلمة او
معناه انه كانت تلك الليلة رويا منام ولم يرهم بالعين وقوله
تنام عينه ولا تنام قلبها اشارة الى ما يراه الانبيا فى المنام وحى لا حاجة
فيه الى التعبير فان حواس النائم وان عزلت عن التصرفات والاخذ
عنها نيران الحركات لكن الدواعى الثائرة من الاشغال وان
انقطعت الاشغال فهى تغبره فى وجه عين القلب فتحول بينها وبين
روية الحقايق الا على موازنة مثال لها فيلقى ملك المنام الى الروح واقعة
عينية والحواس معزولة عن قبولها فيتلقيها القوة الخيالية المعتكفة
بطبعها فى عالم الاجسام والاشباح المتطلعة الى عالم الارواح بسير
من عالم الشهادة الذى هواها وسكنها بحسب الموازنة مثلا ينتقش
اوابد الحقيقة وشوارد الواقعة لئلا يصير غرضه للنشات الى الوصل
على المعبر فيكشف هو عنها قشر المثال ويعبر عن وجه الحقيقة فكان
النائم ينصب شبكة المثال بواسطة الخيال ويعجب بالشبكة عن الحقيقة
والمعبر يستكشف من وراء ستر المثال عيان الحقيقة وحاشا لمنصب النبوة

ان يحتاج فيها عند تلقى الامور الغيبية والعلوم الفيضية الى معاونة
مداد او نصب عدد وعدد فانه قد خلص صفا قلوبهم عن ان يعلق به
صدا الاشتغال فلهذا كان كل ما يلقى اليه الملك فى المنام فهو كما يلقى
اليه فى اليقظة فيتلقاه كما هو بحيث لا حاجة الى كشف القناع بيد التعبير
عن وجه الحق والى ذلك الاشارة فى رواية بينا انا عند البيت بين
النائم واليقظان اذ سمعت قائلا يعنى كنت بالنسبة الى اشارة
سماع القول وتلقيه كاليقظان وان كنت نائما بالصورة ويحتمل
ان يكون الاشارة فى ان تنام عينه ولا ينام قلبه الا ان الانبياء
عليهم السلام لا يلزمهم الوضوء اذا ناموا على طهارة وقد ورد بذلك
حديث وقوله فتوليه منه جبريل اى باشره هو معالجته وتقلده هو بنفسه
دونهم واللبة موضع النحر والنحر فى اللبة كالذبح فى الحلق والنحر موضع
القلادة ايضا والتور اناء يشرب فيه والتغاديد اللحمات التى بين الجيد
وصفحة العنق واحدها لغدود وقوله ثم اطبقه اى الامه بحيث غطاه
ولم يبق اثر الشق من قولهم اطبقت عليها اذا اوصدته وانما استفتح
جبرئيل من حيث ان معه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلهذا احتاج الى الاستفتاح
وضرب الباب ولو كان هو وحده لما احتاج الى ذلك وقوله فى
ذكر النهرين النيل والفرات عنصرهما اى اصلهما واختلفت الروايات

فى منازل

فى منازل الانبياء عليهم السلام وذلك لا يوجب تناقضا فان السموات
كالدرجات وهى معارج للسالكين المتوجهين وانواع القربات وازواع
المزالف معارج ومدارج للتقريب والتقرب وقد يكون الواصل فى معظم المناصب
وكبر المراتب لكن يفوقه بعض اقرانه فى بعض الامور كما ان من يحسن
انواعا من العلوم لكن يفضله غيره فى علم واحد او علمين وانما قلنا ذلك
فان علو درجات الانبياء عليهم السلام من نتائج استظهار غوارب الاخلاق
الرضية وآثار توام مشارب الاعراق الزكية وقد يتقدم واحد فى
جملة من الخصال وثمة من الخلال يحوز بها قصب السباق ويفوز بها عن
نصب الاخلاق لكنه يتخلف عن اقرانه او بعضهم فى بعض الاخلاق او يرد من
الاحوال فيتقاعد به التقاصر عن اقتعاد جياد المطابقة فى تلك الحلبة فضلا عن
اقتداح زناد المسابقة وقد صرح بذلك فى رواية رؤيته موسى عليه
السلام فى السماء السابعة ان ذلك بتفضيل كلام الله وبما تقدمه
ابرهيم عليه السلام فى التحقق بحلة الخلة والتخصص بشرايط التبتل و
التوكل والتخلص بوسائط استتمام الاستسلام راه من هذا الوجه
فى السماء السابعة واما من حيث لم يحصل له لذاذة استماع كلام الله تقدمه
موسى عليه السلام ولهذا لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تفضيل
بعض الانبياء على بعض فلربما يتفاضلون فى خصال ويتساوقون فى اخرى

فاطلاق الحكم بالتفاضل والتساوق من غير تثبت رمي في عماية وجري
في غواية وقوله دنى فتدلى قال الخطابي وهو الذي يعلم من انصف
ولم يعتسف انه الذي قصر باع تباع خطوة عن ادراك شاوه في هذا
الشان ان هذه القصة بطولها انما هي حكاية يحكيها انس بن مالك
ويخبر عنها من تلقاء نفسه لم يعزها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا رواها
عنه وحاصل الامر في التدلي واطلاق اللفظ به على الوجه الذي تضمنه
الخبر انه راى انس او راى رواية شريك بن عبد الله فانه كثير التفرد
بمناكير الالفاظ في مثل هذه الاحاديث اذ رواها من حيث لا يتابعه
عليها سائر الرواة وايما صح هذا القول منه فقد خالفه فيه علماء
السلف من تقدم منهم او تاخر ثم قال والذي قيل في هذه الاية
اقوال احدها انه دنى يعني جبريل من محمد فتدلى اي قرب منه و
قيل معنى قوله دنا فتدلى على التقديم والتاخير اي تدلى او دنا وذلك
ان التدلي سببا للدنو وقال بعضهم تدلى له جبريل بعد الانتصاب والارتفاع
حتى راه النبي صلى الله عليه وسلم متدليا من غير اعتماد على شيء ولا تمسك بشيء
وقال بعضهم معنى قوله دنى يعني جبريل فتدلى محمد صلى الله عليه وسلم ساجدا
لربه شاكرا على ما اراه من قدرته ولم يثبت في شيء مما ذكر روي عن السلف
ان التدلي مضاف الى الله تعالى جل دنا عن صفات المخلوقين ونعوت

المربوبين المحدودين وقد روى هذا الحديث عن انس من غير طريق
شريك فلم يذكر فيه الفاظ البشعة وذلك مما يقوى الظن انها صادرة
من قبل شريك هكذا اسرده الخطابي والذي يجب الاعتناء به ان من
امعن الفكر وانعم النظر في تفسير الاية وسياقها لم يخف عليه ان الاستواء
وكونه بالافق الاعلى اضافة الى جبريل وهو في حال تلقي الوحي
والعلوم الغيبية وان التدلي والدنو اضافة اليه وذلك في حالة
القاء الوحي وابلاغه واذا نطق الرسول بما يوحي اليه جبريل وتلقاه
من الحضرة الالهية فاجدر ان لا يمتزج بكلامه شائبة الهوى المحال
وداعية الضلال وقوله في رواية شريك فعلا به الى الجبار
تعالى وهو مكانه قال الخطابي في هذه اللفظة المكان لا يضاف
الى الله تعالى اذ هو المكون للمكان وانما هو مكان النبي صلى الله عليه
وسلم ومقامه الاولى الذي اقيم فيه ولا يخفى ما في القلب من هذا التاويل
ولعل اللائق ان يقال اللطف الذي خصصت قبل المراجعة ما فقدته
وقت المراجعة بل تلطف عودا وبدءا مع ان الروحانيات امكنة مغايرة
لامكنة الجسمانيات والاعراض اذ الاعراض امكنتها الجواهر والاجسام و
امكنتها الاجسام ثم هي تحل بالامكنة او تتمكن فيها وليس كذلك الروحانيات
فانها لا تتمكن ولا تحل ولا يزاحم بعضها بعضا ويدلك على ما ذكرناه ان

اضوا المصابيح عند تعدد المصابيح لا يزاحم بعضها بعضا ولا تكرر و
لا تتمكن في الامكنة بدليل انه لو اطفى المصابيح في كرة زالت الاضوا دفعة
واحدة من غير انتزاع والطف الاجسام الهوا وهو يحل ويتمكن من الامكنة
بدليل انه لو نفخت في زق بحيث امتلا الا يجد فيه مساغا لهوا آخر حتى يخلو
مما امتلا به ثم مراجعة رسول الله صلى الله عليه وسلم في باب الصلوة وامر موسى
عليه السلام بها لما علما ان الامر الاول غير مفروض حتما وانما هو معروض علما
منه موضع البقيا والتخفيف في التوظيف ولكان ما يعز آخرا هو تمام الكل
وما امر به اولا فهو تمام الفضل وباب مسئلة الله تعالى من قبيل التذلل
بعرض الافتقار او التذليل لمحض الاضطرار وهو الباب المدعو الى قرعه
بانامل الضراعة واستفتاحه بوسائل الشفاعة فيكون نوعا من العبادة
وقد كان لموسى من تقدمة المعرفة بامور المتعبدين من الامم والموانع التي
يشق احتمالهم اياها وقلة استقلالهم باعبائها لم يكن لمحمد صلى الله عليه
وسلم فاقدم على ذلك من جهة النصح والشفقة له وللامة فانجح له بهو
بطلبته ونودي قد خففت عن عبادي فهي خمس في التخفيف خمسون في التضعيف
ويحتمل ان الصلوة الخمسين اريد بها جميع انواع الصلوة مفروضاتها ومسنوناتها
التي بها يتهيأ لوسائل التقرب ووسائل التحبب في اليوم والليلة وهي خمسون
وبعضها المفروضات الخمسة وتوابعها من المسنونات احدى عشرة

ب جميع

فهو

فضميمة فرض الصبح واحدة وضميمة الظهر اربع وضميمة العصر ثنتان وضميمة
المغرب واحدة والوتر ثنتان فبلغ الفرايض مع توابعها ستة عشر
وصلوة الليل ست وصلوة الضحى ست وبين المغرب والعشا ثلث و
تحية المسجد عند دخوله لكل صلوة خمس وبين الاذان والاقامة خمس و
شكر الوضوء خمس وصلوة التسبيح واحدة والاستخارة وصلوة الحاجة و
التوبة ثلث والمجموع خمسون فيتفصى عن عهدة الواجب بالخمس ويفوز
بالنجاة ويسعى في عهدة النوافل فيحوز بها الدرجات لا حصر لها و
قد اختلف الناس في ان المعراج كان روحانيا ومعناه انه راى في المنام
او كان في اليقظة لكن حصلت له حالة شاهد فيها ملكوت السموات والارض
لكنه لم يرتفع بجسده الى بيت المقدس والسموات او انتقل بجسده وروحه من
مكة الى مسجد الاقصى ثم منه الى السموات والى كل قول من الاقاويل الثلثة
ذهب فريق واحتج القايلون بانه كان في النوم بقوله تعالى وما جعلنا
الرويا التي اريناك الا فتنة للناس واراد بها المعراج وبرواية شريك
بن عبد الله عن انس انه جاءه ثلثة نفر قبل ان يوحى اليه وهو نائم في
المسجد الحرام ثم قال في آخر الحديث فاستيقظ وهو في المسجد الحرام و
ايضا ان الجسد جرم ثقيل فكيف يعقل صعوده الى السموات والعرش
في زمان قليل ويجابون بان الرويا كما يعبر بها عن الروية في المنام

فقد يعبر بها عن رؤية العين وقد اختلف المفسرون في زمان نزول الآية
وذهب الاكثرون الى ان الرؤيا التي ذكرت بها اريد انه يدخل مكة هو و
اصحابه آمنين ففرحوا بذلك ولم يعين لهم الوقت فلما صدوا عام الحديبية
اشتد على كثير من الناس وقالوا اين تاويل الرؤيا حتى صار عمر الى ابي بكر
متعجبا فقال ابو بكر قال انكم تدخلونها هذه السنة قال لا قال فستدخلونها
من بعد فدخلوها في العام المقبل فصارت رؤياه فتنة للناس حين رجع
من الحديبية لانه اشتبه على كثير منهم وصكام وكيف يقال انه صلى الله عليه
وسلم ادعى ان معراجه كان رؤيا منام فصارت رؤياه فتنة للناس
ولا يخفى ان اليهود والنصارى والمشركين وعام الناس يرون في
المنام امثال ذلك واعجب منه ولا ينكر تلك الرؤيا احد فتبين بذلك
انه ادعى صلى الله عليه وسلم الرؤية في اليقظة ولهذا انكره جمع
من المشركين ومن احتج بان الجسم الثقيل لا يتصور صعوده الى السموات
والعرش فلا يخفى ان نزول الروحانيات التي من طبيعتها الاعتلاء
من السماء الى الارض مستبعد واذا استلمنا جواز نزول جبرئيل مع كونه روحانيا
لزم ان يسلم جواز صعود محمد صلى الله عليه وسلم مع كونه جسما ثقيلا وايضا
فلقد ذكر الله تعالى في القرآن ان الذي عنده علم من الكتاب اتى بعرش
بلقيس من اليمن الى الشام في اقل من طرفة العين فكيف يبعد من محمد

صلى الله

صلى الله عليه وسلم واتيه الرحمن علم القران المجيد ان يصعد الى ما فوق
الفلك في الليلة الواحدة ومعلوم ان الرائي لا يرى الا عند خروج الشعاع
من العين واتصاله بالمرئي ولما فتحنا العين رأينا زحل من الفلك
السابع فقد ذهب شعاع العين في تلك اللحظة اللطيفة من عين الرائي
الى فلك زحل فلم يستبعد ان يذهب محمد صلى الله عليه وسلم الى ما فوق
السموات في الليلة الواحدة واذا تقرر ما ذكرناه فقد ذهب اكثر المحققين
الى ان له صلى الله عليه وسلم معراجين احدهما في المنام والاخر في اليقظة
فانه قد صحت الروايتان والاولى الجمع فكان الذي خصص به في اليقظة
تاويل الرؤياه واستوفى بها اقسام الحظوة برؤية الآيات كما قال لنريه
من آياتنا فارى في الحالين ملكوت السموات والارض فصارت الارض
مزوية والسموات مطوية ليشاهد منهما عجائب الحكمة وغرائب
القدرة فيترقى من علم اليقين الى عين اليقين ثم الى حق اليقين
وليس وراء عبادان قرية فانه جاوز صلى الله عليه وسلم في معراجه الفرش
والعرش واندرج تحت معراجه الزمان والمكان فتراءى له المكونات
متضمنا بها فحصل له علم ما كان وسيكون قوله تعالى واذا اردنا
ان نهلك قرية الاية هذه الارادة على مجاز المعلوم من عاقبة الامر
امرنا مترفيها اي امرناهم على لسان رسولهم بالطاعة ففسقوا اي خرجوا عن

امرنا كقول القائل امرته فعصى وقيل معناه كثرناهم وانكر ابو عمرو ذلك
وقال يقال امّرت بالتشديد وامرت بمعنى كثرت وقال ابو عبيدة
امرت بالتخفيف وامّرت بالتشديد كثرة واستدل بقوله صلى
الله عليه وسلم خير المال مهرة مامورة اي كثيرة النتاج او سكة مابورة
والسكة الطريقة المصطفة من النخل والمابورة الملقحة وقيل امرنا
اي جعلنا مترفيهم امراء وقرئ امّرنا بالتشديد اي اكثرناهم او جعلناهم
امراء وقوله وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن فالحمد من جهة خلقته
او في معنى صنعته وهي حاجته في حدوثه الى صانع محدث له وتسبيحه انه لم يكن
بحاجة الى شيء دعته الى احداثه اذ استغنى عن الكل وما تقتضي
وقوله حجابا مستورا قيل هو مفعول وبمعنى الفاعل وهو مستبعد
وقيل معناه حجابا على حجاب كالاول مستور بالثاني كما قال وجعلنا
على قلوبهم اكنة ولا شبهة انه يكون مستورا عن اعين الناظرين
اي الحجاب مستور عن الاعين فلا يكون الحجاب محسوسا وهذا ابلغ ما يكون
من الحجاب اذ الحجاب المرئي ربما يمكن دفعه وقوله لاحتنكن ذريته
اي اصيب حنك ذريته باللجام كانه قال لالجمن ذريته عن المراد بهم
الا الى مرادي او هو ماخوذ من قولهم احتنك الجراد الارض اي استولى
بحنكها عليها فاكلها واستاصلها فيكون معناه لاستولين عليهم استيلاء

الجراد

الجراد على النبات وانما ذكر ذريته وعداوته لآدم عليه السلام كان من
عباد الله الذين نفى عنهم سلطنة الشيطان وعلم ان في ذريته من لا يكون
متصفا بها بين الصفتين او قال ذلك تعزيرا لآدم عليه السلام ليأسهم
تغافلا وتساهلا فيفتنهم هو فرض عزته ويعتز محض عزته وقوله
فتهجد به نافلة لك فالنافلة الزيادة وبهذا يقال لولد الولد نافلة
قال تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة فلما كان يعقوب ولد
ولده سماه نافلة وقد وضح ان صلوة الليل هي على النبي صلى الله عليه
وسلم واجبة لا نافلة وهي في حق الامة نافلة لا واجبة وقد قال له
فتهجد به نافلة لك وذلك اشارة الى معنى لطيف وهو ان النوافل
التي امر بها في حق الامة جبر لنقيصة الفرايض ليقع تماما للنصاب
وجابرا للثواب لما تطرق اليها من شوائب الزلل ونوائب الخلل
فصلوة الليل في حق الامة وان كانت غير واجبة فهي المامور بها لتكميل
الفرايض ليست نافلة من هذا الوجه اي ليست زيادة بل مستحقة
واما في حق الرسول صلى الله عليه وسلم ففرايضه بالغة اعلى ذرى الكمال
واقوى عرى التمام فلا حاجة الى جبرها اذ لا كسر ولا الى اتمامها اذ لا نقصان
فيقع تهجده نافلة اي زيادة له ولامته في الثواب بها ليقع وسيلة
الشفاعة لامته وانما اوجب عليه ليثاب به ثواب الواجب فان ثواب الواجب

يضعف على ثواب النفل بسبعين ضعفا وقوله عسى ان يبعثك ربك
مقاما محمودا وهو مقام الشفاعة للجماعة وقيل هو ان يعطى لواء الحمد وقد
قال صلى الله عليه وسلم اول زمرة يلج الجنة الحمادون ولكان الله تعالى
يحمده الخلايق وهو يحمد الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك هو الغاية
القصوى من بلوغ المرام والنهاية العظمى من علو المقام وقوله
وقل رب ادخلني مدخل صدق فالمدخل لاسم والمدخل المكان ولربما
يكون المكان مكان صدق والدخول غير دخول صدق والصدق
اذا كان سابق الدخول وسابقه انفع والجمع من ان يكون الصدق
لازم المكان فانه اذا كان دخوله دخول صدق وكل موضع ياتيه بعده
صدق الداخل بركة التبديل وسعى عليه هلكة التخذيل اذ يصير المأخوذ
بدخوله مشهد الخير ومعهد البر واذا كان الدخول عريا عن الصدق فلا
يفيده صدق الموضع جدوى الخير بل يزيده عدوى الشر فكانه
قال ادخلني فيما امرتني به باقرار وتوفيق لا سوبه شائبة تعويق واخرجني
عما نهيتني عنه بامداد نعمة عصمة لا يشوبها نايبة حومة او نقمة قوله
واجعل لي من لدنك سلطانا اتسلط به على من يبادئني بسوء او
يعاديني من اهواء نفسي وابناء جنسي نصيرا ان يكون ذلك السلطان
ناصرا لي ومنصورا من عندك وانما فسرنا كذلك فان الفعيل قد يستعمل

بمعنى الفاعل وبمعنى المفعول ايضا كالشهيد يستعمل بمعنى الشاهد
وبمعنى المشهود قال تعالى فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف
في القتل انه كان منصورا وقد قال تعالى ونجعل لكما سلطانا
فلا يصلون اليكما بآياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون وقوله
وقل جاء الحق وا سعا سبيله بادعا دليله والحق اذا تصور له فباح
المساغ منفتحة ابوابه وتهيا له نجاح البلاغ مرشحة لذلك اسبابه وزهق
الباطل اذ الحق نافٍ له كاف والباطل مقام عهده مزلة دحض
وابرام عقده مزلة نقض فمخاضه لا يحيض وحياضه لا تربص ان الباطل
كان زهوقا فكني بالباطل العاطل ان تطمس جادته وتحسم مادته
وتسيب مراكبه وتعطل مشاربه فينحف من اصله وفضله ولا يجاف
وتختطف فرعه بل جمعه ولا خاطف بحيث لا يبقى له عدق باذخ و
لا عرق راسخ ياتي على عقودها بالانحلال بعد الابرام وعلى عهودها بالاضمحلال
بعد الاحكام ونظيره ذلك من افعده الامراض والاعراض عن جلب الشفاء
بطلب الدواء لكنه جد به عزم لازم فحمل على الحمية شعاره وقنية
الرعية دثاره فارتث بطواه وحواه من الداء طاقات قواه و
احتثت الطبيعة المستقيمة المقيمة للانتعاش بعد الافتراش فيعود الى
حسن الولاية وين الكلاية فتصير تلك العزيمة شافية عن الدوى

نافية كافية للحوى من غير مداجة بالمعالجة فكون فى ازالة المرض
واحالة الوصب بسد حدده وذلك بقطع مدده اذ كانة الطبيعة مستقرة
فى قرارها مستمرة على مريرتها والزاهق الذاهب الذى لايبقى له
عين ولا اثر وقوله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات كآية
هى العلامة الظاهرة وهى تستعمل لكل شئ ظاهر هو ملازم لشئ آخر لا يظهر
ظهوره فمتى ادرك مدرك العلامة الظاهرة منهما توصل به الى ادراك
كالآخر الذى لم يدركه بذاته ثم هى تستعمل فى المحسوسات اذا اعلام
الطريق التى يستدل بها على الطريق يقال لها آيات ومن هذا
يقال للبنا العالى آيه وتستعمل ايضا فى المعقولات فان من رأى
شيئا مصنوعا علم انه لابد له من صانع ولهذا كلما ذكر الله تعالى مجموع
مصنوعه عقبه بقوله ان فى ذلك لايات اى آيات يستدل
بها على ادراك صورة محسوسة او على صفة محدوسة او على حكم او على علم و
لايخفى ان المرئيات انما يتصور ادراكها بشيئين احدهما فى المبصر بظهوره
وترائيه للناظر والثانى فى الباصرة بنفوذ كالشعاع منها نحو المبصر من غير
حائل واذا تقرر ذلك فقد نقل جمهور المفسرين ان الآيات التسع هى
اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنون
وانفلاق البحر وقال ابو عيسى الترمذى حدثنا محمود بن غيلان

حدثنا يزيد بن هرون عن شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة
عن صفوان بن عسال ان يهوديين قال احدهما لصاحبه اذهب
بنا الى هذا النبى نسأله قال لاتقل انه نبى فانه ان سمعنا نقول نبى كانت
له اربع فاتيا النبى صلى الله عليه وسلم فسألاه عن تسع آيات بينات
فقال عليه السلام لا تشركوا بالله شيئا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى
حرم الله الا بالحق ولا تسرقوا ولا تمشوا ببرئ الى ذى سلطان فيقتله
ولا تاكلوا الربا ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف شك شعبة
وعليكم اليهود خاصة ان لا تعدوا فى السبت فقبلا يديه ورجليه و
قالا نشهد انك نبى قال فما يمنعكما ان تسلما قالا ان داود عليه السلام
دعا الله ان لا يزال فى ذريته نبى وانا نخاف ان اسلمنا ان تقتلنا
اليهود قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وقد يظن ان بين مقتضى
الحديث وما نقله المفسرون تناقضا وليس كذلك فانه كما صح ان تسمى
المعجزات الظاهرة التى يستدل بها على صحة دعوى الانبياء عليهم
السلام آيات لكونها ظاهرة مرئية فيصح ان يسمى ما يرفع الحوائل بين
الناظر والمناظر آيات اذ به يتمكن الرائى من الرؤية فانه لو ظهر المبصر
لكن حال دون الناظر ودون المناظر حائل فلا يفيد ظهوره بالرؤية
دون رفع الحائل فاذن مقتضى الحديث ان الآيات رفع الحوائل فان

الشرک والکبائر مما یحول بین الناظر والمناظر کما قال تعالی وجعل علی بصره غشاوة وقال الذین کانت اعینهم فی غطاء عن ذکری وما ذکره المفسرون اشارة الی المعجزات الظاهرة فی انها ایات مرئیة وکان التنزه عن الشرک والکبائر آیات یستدل بها علی رویة الآیات ومما ینبهک علی ذلک قوله تعالی واقسموا بالله جهد ایمانهم لئن جاءتهم آیة لیؤمنن بها قل انما الآیات عند الله وما یشعرکم انها اذا جاءت لا یؤمنون فمن ارتفعت الحوائل دون ابصاره آمن قبل ظهور المعجزات لدیه ومن منعت الحوائل دون بصره فلا تنفعه رؤیة الآیات کما قال تعالی وان یروا کل آیة لا یؤمنوا بها ولا ریب ان النور الداخل غناؤه اکثر فی الرویة من النور الخارج فالاعمی لا یفیده تظاهر الانوار والبصیر لا یمنعه ضعف الانوار وقلته عن اصل الرؤیة ومما تعوق فرعون برویة السحر الحائل عن رویة معجزة موسی ظن المعجزة سحرا فقال انی لاظنک یا موسی مسحورا ثم اعترافهما بنبوته صلی الله علیه وسلم وامتناعهما عن الاسلام من قبیل انما اعترفا بانه نبی الی العرب خاصة ولهذا لم نحکم باسلامهما بهذ الاعتراف

من سورة الکهف

قوله تعالی واذکر ربک اذا نسیت یحتمل ان یکون المراد اذا نسیت نفسک اوجنسک فان ذکر الله اذا لم یکن مصدره نسیان غیر الله ربما افضی ذکر الغیر الی نسیان الله وعصیانه وذلک کالایمان بالله انما یصح بالکفر بغیر الله

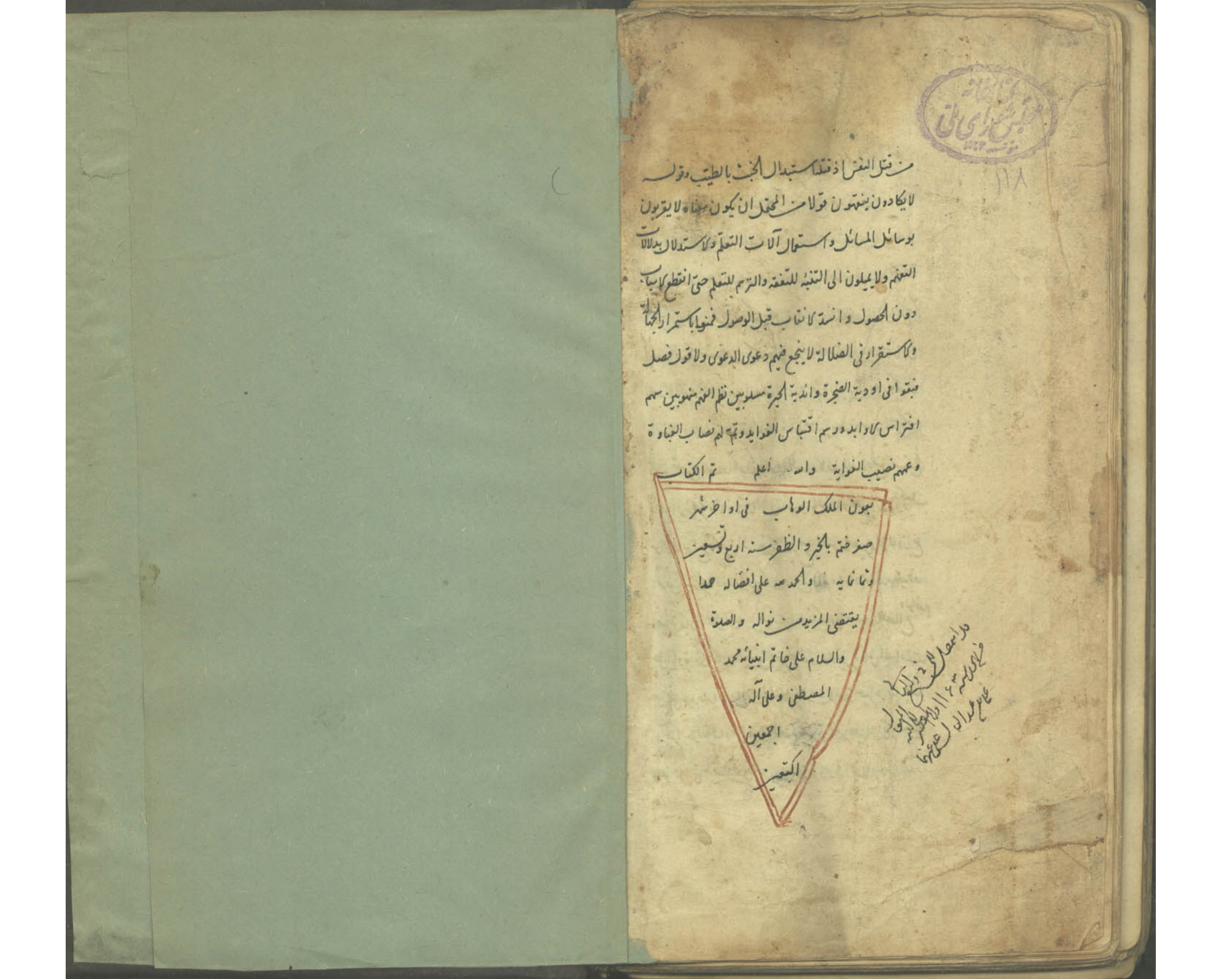
کما قال تعالی فمن یکفر بالطاغوت ویؤمن بالله وقوله تعالی هنالک الولایة لله الحق وقد قرئ بالفتح وبالکسر قیل هما لغتان کالوکالة والوکالة والدلالة وقیل الولایة بالفتح مصدر الولی ای یتولون الله تعالی فی مثل تلک الحال اذا استمر علیهم داب الباس واحدقت علیهم نایب البلایا فزعوا الی الله تعالی منیبین الیه مجتنبین له متبرئین عما سواه واذا قرئ بالکسر سمعی فیکون الصفة لله واذا رفع فهو نعت الولایة وقوله واذ قال موسی لفتیه یوشع بن نون وهو ابن اخیه فیما قیل لا ابرح ای لا اثبت فی البراح وهو المکان المتسع الظاهر الذی لا بنی فیه فان برح معناه ثبت فی البراح وهو کقولهم ازال حتی اذا بلغ مجمع البحرین بحر الروم وبحر فارس یبتداء احدهما من المشرق والآخر من المغرب فیلتقیان ویحتمل ان یراد بالبحرین الخضر والیاس لغزارة علمهما او الخضر وموسی اذ التقیا وذلک لان موسی علیه السلام تبحر فی علم الشریعة والظاهر الذی به مهد بساط الاحکام وعنده عقد مناط الاقسام وبه التصدی للمناجح والتهدی الی المصالح فی الدارین فان الخضر علیه السلام تبحر بعلم الحقیقة والباطن الذی به تحقیق الاقضیة وتوثیق الابنیة اذ بعلم الظاهر التصور وبعلم الباطن التصدیق ویستنبح فی علم الظاهر القضایا من المقدمات القضایا وفی علم الباطن یستخرج المقدمات من

وعلم الظاهر كالمعيار الذي يستدل به على الاقدام من توظيف التكليف
وموازاة المجازاة وعلم الباطن سبيل الوصول ودليل الحصول اذ العلم
يدلك على المداخل والحكم ينبيك عن المخارج وقضا العلم بشهادة الاسباب
على الغيب ومضا الحكم عن الشهود الحق الصريح والصدق الصحيح فاذا التقى
البحران فيا لها من مطلع ترااى لديه العواقب والروادف وتوافق لديه
الخير والقدر وتوافق عنده الغيب والشهادة ولما كان كذلك كان جريا
بان يدأب ذاهبا وينصب واصبا في تحريه اذ هو المقصد الاقصى والمشهد
الاعلى في الدنيا ولهذا قال لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا
اي حينا يتطاول امداده ويتقاصر اعداده فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما
اي تركاه موضوعا فاضطرب الحوت وكان قد قيل له احمل حوتا في
مكتل فحيث فقدته فثم مطلوبك وفي تزويده الحوت اشارة الى ان
نفس المتعلم لابد لها من الطرب في سمت الصمت وتعلم السكوت من الحوت
والتبرك بترك التحرك عند المعلم وكونها خاوي الوفاض عن السوال والاعتراض
حتى تخلص قلبه الى محض العلوم وفيض الحكم وحصل له شيم بارقة الفهم
وينتفي عنه ضيم طارقة الوهم فان تكلم النفس عند التعلم مظنة الشبه وفي
حركتها مظنة العمه وذلك لانه ما من حيوان الا وله لسان او صوت
الا السمكة واذا اتخذ منه الزاد فلا نطق ولا حركة فاتخذ سبيله في البحر سربا

لما احياه الله تعالى بان اصابه رشاش ماء الحيوة فقد قيل كان ثم عين تسمى
ماء الحيوة لا يصيب ذلك الماء شيئا الا حيي ولا يخفى انه اذا اجتمع علم الشريعة
التي هي الذريعة الى قطع المسافة وكلام عن المخافة معقولا ومعمولا به
وعلم الحقيقة التي بها الوصول والحصول تذوقا ثم تحققا به فعندهما يحيى القلوب
الميتة ولم تندفع الاهواء النفسانية بموتها لا تتجه للآراء الروحانية ماخذ
ولا منفذ واذا سكت النفس استمع القلب وقوله سربا اي مسلكا
ومذهبا وهو مفعول كقوله اتخذت طريق مكان كذا فلما جاوزا قال
لفتيه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ولما كانا يسعيان لنار في
طلب العلم كانا محمولين بالعواطف الملكية ومقبولين باللطايف الروحانية
فلم يتحرك منهما نابض وصب وما عرض لهما عارض نصب فلم يصبهما مذقة مشقة
فلما جاوز المورد المقصود والمعهد المشهود صارا عرضة للتعب وفرضة
للنصب والسير اذانا به التوري عن الفايدة ومراقبة التحري للعايدة
فعقباه سامة الحسور وخامة القصور ومن هذا عدلا عند الاستراشة
الى الاستغاثة قال ارايت اذ اوينا الى الصخرة فنزلنا تلك الساعة
قصدا الى الاستراحة فاني نسيت الحوت نام موسى عليه السلام حين نزلوا
فكره ان يوقظه ويخبره بذلك ثم اذا استيقظ نسي ان يخبره وما انسانيه
الا الشيطان الذي هو المسبب الى النسيان المامور به والعصيان في

المزجور عنه وانما نطرق النسيان اليها ليقع التعيين بعد الابهام و
التبيين بعد الايهام فاتخذ سبيله في البحر عجبا فكان الحوت سربا ولموسى عجبا
فتنة عجبا قال ذلك ما كنا نبغي اذ به ربط التوصل في هذا السفر وشرط
التحصيل لهذا الخطر فارتدا على آثارهما قصصا وكل من عداورا الى غايته
فلابد من ردة باصرته على حافرته ولا عني بنزول حوبة وشمول خيبة
كان من شداد ون غايته فلابد من شدة نحو الوصول الى الحصول
ولا مني بالقصور والحسور فوجدا عبدا من عبادنا حصل له من اجتهاد طوف
العبادة الظفر باحاد في صرف العبودية وتعوض من حرية عما سوى الله
عبودية الله وتعرض بنعقد المثول لوعد القبول اتيناه رحمة من عندنا
صار بها راحما عبادنا ومرحوما عندنا وعلمناه من لدنا علما لم يسبقه تكلف
الكسب ولم يجعه تعسف السلب فصرف الحروف بمعزل عن تعليمنا والة العالم
قاصرة عن تفهيمنا بل يقع ذلك باسهام من الهام على قدر فراغ القلب
عما سواه وبلاغ بذل الجهد اليه يتوقف به صاحبه على صلاح حاله ويتعرف
به وجه نجاح مآله ولا يحتاج فيه الى دليل لكونه مقطوعا به عنده ولو طلب
منه تعبيد محجة لتمهيد حجة لا يجد اليه سبيلا اذ لا يفهمه القاصر ولا يجره الماهر
بذلك ولا يخفى ان منزلة العلم من الحكم منزلة الشهادة التي يترتب عليها
حتم القضاء وجزم المضاء فيه لئلا يكون الامر عمة لا يكشف وجه مأخذه

وبهمة لا يعرف كنه منافذه ولو لم يتقيد بالشهادة لكان فرصة لبهمة
التهمة او عرضة لعنة الظنة لكن اذا وضح الامر بحيث كفى الانكار
ونفى الاجمال فلا حاجة الى الاسترشاد بالاستشهاد ويقال العلم
يشبه بالتوقف عن القبلة بالاعتماد على الاجتهاد بوسايط الالات
وشرايط الدلالات وذلك كله للغائب فاما الحاضر الذي حظي بعيان
الكعبة فقد استغنى عن استعمال آلة واستدلال بدلالة فاذن
العلم كالخبر والحكم كالعيان ومما لا ريب فيه ان بين طوري الكون
والفساد ودوري الابادة والاعادة عقبة التناوب ونسبة التراقب
فتارة يتضمن الفساد الكون فيكون الفساد كالحل الذي وضع النتائج
وجمع الوشايج وتارة يتاذن الكون بالفساد فيمسخ الصور ويجعل
مواد لانواع الخلق المستحدث وينسخ السور فيصير جواد الاوزاع
الوفق المنتظر واذا تقرر ذلك فكل ما ظاهره فساد لو اقدم عليه ذو
بصيرة فيكون بمعزل عن ان ينكر اذ ربما يكون مستعقبا للصلاح ولو اقدم
على ابادة فكذلك لا يليق تغيير صنيعه ولا تغييره فان المبهمات
هي التي لا يدخلها الاعراب والمظهرات لا يعد تغير اعرابها لحنا
اذ تغير العوامل لها ومن هذا الوجه لم يكن الخضر عليه السلام مستحقا
للائمة فيما اتى به من خرق السفينة اذ هو رفع الصلاح وفيما اقدم عليه



من قتل النفس اذ فقد استبدال الخبث بالطيب وقوله
لايكادون يفقهون قولا من المحتمل ان يكون معناه لايقربون
بوسائل المسائل واستعمال آلات التعلم والاستدلال بدلالات
التفهم ولايميلون الى التنبه للتفقه والترسم للتعلم حتى انقطع الاسباب
دون الحصول وانسد الانقاب قبل الوصول فمنوا باستمرار الجهالة
والاستقرار في الضلالة لاينجع فيهم دعوى الدعوى ولا قول فصل
فبقوا في اودية الضجرة واندية الحيرة مسلوبين نظم الفهم منهوبين سهم
افتراس الاوابد ورسم اقتباس الفوائد وتم لهم نصاب الغباوة
وعمهم نصيب الغواية والله اعلم تم الكتاب

بعون الملك الوهاب في اواخر شهر
صفر ختم بالخير والظفر سنه اربع وتسعين
وثمانمايه والحمد لله على افضاله حمدا
يقتضي المزيد من نواله والصلوة
والسلام على خاتم انبيائه محمد
المصطفى وعلى آله
اجمعين
الكتعين